رسالة الملائكة للمعري
فهارس الشواهد
(الآيات القرآنية ، الأحاديث ، الأمثال ، الشعر)

د. عبد الإله نبهان*

نُشرت رسالة الملائكة ، لأبي العلاء المعري ، بتمامها لأول مرة ، على يد محمد سليم الجندي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق . وقد صنع لها فهارس للأبواب والأعلام والأماكن والقبائل .

وبقيت شواهدها : الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، والأشعار ، دون فهرسة !

د. عبد الإله نبهان نهد للمهمة ، فكانت هذه الفهارس .

« المجلة »

* عضو هيئة تدريس كلية الآداب بجامعة البعث – سورية . حقق مجموعة من كتب التراث في اللغة والنحو ، ونشر المعهد له « غوامض الصحاح » للصفدي .

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) صنف طائفة من نفيس الرسائل ، اشتهر منها رسالة الغفران . وكان من رسائله الأخرى « رسالة الملائكة » وهي رسالة كتبها أبو العلاء جوابًا عن ستة عشر سؤالا وجهها إليه أبو القاسم علي بن محمد بن همام المعري . وقدّم قبل إجابته مقدّمة ذكر فيها إحدى وعشرين مادة لغوية ، بحث في أصولها وأوزانها وأحكامها وما يتعلق بها . وهذه المواد هي :ملك ،عزرائيل ،منكر ونكير ،موسى ،إرْزَبّة ،الجدث ،الريم ، الزّبانية ،غسلين ،جهنّم ،سقر ،مخاطبة الواحد بصيغة المثنى ،يارخو ،الكمثرى ، سفرجل ، سندس ، طوبى ، الحيوان ، الحور ، الإستبرق ، العبقري .

وبعد هذه المباحث بدأ الإجابة على مسائل أبي القاسم ، وهذه المسائل هي : « القول في إياك ، القول في آية وغاية وثاية ، القول في « اسم » . القول في اثنين واثنتين ، القول في سيد وميت ، القول في ترك إمالة (يا) إذا كان حرف نداء ، القول في قول الراجز « أين الشظاظان وأين المربعة » ، القول في قراءة ابن عامر على ماحكي في بعض الروايات : أفئيدة ، القول في مسألتين ذكرهما النحاة ، القول في مسألة : هذا هذا هذا هذا ، القول في قول الراجز : ياأيها الضب الخذوّذان ، القول في مهيمن ، القول في اللفظ المنقول من كتاب المراغي ، القول في يأجوج ومأجوج ، القول في السمّهى ، القول في الحديث : أنا فرط القاصفين » .

واشتملت رسالة الملائكة المطبوعة على اثنتي عشرة مسألة تامة ، وعلى قسم من المسألة الثالثة عشرة ، والباقي غير موجود ، بمعنى أنه ساقط من النسخة المخطوطة الوحيدة التي حُققت عليها الرسالة .

وسميت هذه الرسالة بـ « رسالة الملائكة » لأن أول بحث فيها كان عن لفظ (مَلَك) ثم ذكر بعده جملةً من أسماء الملائكة .

احتج أبو العلاء في بحثه اللغوي الصرفي في رسالة الملائكة بطائفة من الشواهد الشعرية ، كنت فهرستها لنفسي ليسهل عليّ تتبع المسائل بوساطتها ، وشاءت المصادفة أن أطلع أخي الأستاذ فيصل عبد السلام الحفيان على هذا الفهرس ، فرغب

إليّ بإعداده للنشر لتعمّ فائدته ، وأشار أن تقترن فهرسة الأبيات بتخريجٍ لها ، ولم يكن لي إلا أن أستجيب ، وكانت رحلة ممتعة شاقة ، لا يدري مشقّتها إلا من حُشر في مضائقها ، فكان هذا الفهرس ، ولا أكتم إخواني الباحثين في التراث بأنه قد فاتني تخريج أبيات معدودة ، على الرغم مما بذلته من جهد ، فتركت أمرها للمصادفات .

وبعد إعداد هذا الفهرس رأيت أن أصدّره بفهرس للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث والأمثال ، ليغدو الفهرس إلى التمام أقرب ، ففهرست الآيات بحسب ورودها في السور ، وخرّجت قراءاتها .

أما ترتيب فهرس الشعر فكان على القوافي ، بدءًا بالهمزة وانتهاءً بالياء ، وتم الترتيب في كل حرف بحسب حركة الروي : المضموم فالمفتوح فالمكسور فالساكن ، وفي كل روي كان الترتيب يتم بحسب التسلسل المعروف لبحور الشعر ، وتم الترتيب في كل بحر بحسب تتالي أضربه مع مراعاة تقديم القوافي المجردة على المؤسسة والمردوفة في كل ضرب .

نُشرتْ هذه الرسالة بتمامها لأول مرة على يد الأستاذ المرحوم محمد سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان ماطبع قبل ذلك باسم رسالة الملائكة على يد العلامة المرحوم عبد العزيز الميمني أو على يد المستشرق إغناطيوس كراتشكو فسكي أو بعناية الأستاذ كامل كيلاني ، إنما هو مقدمة هذه الرسالة فقط .

وقد عُني المرحوم الجندي بضبطها والتعليق على مواضع منها ، وصنع فهرسًا لأبوابها ، وآخر لأعلامها وأسماء الأماكن والقبائل فيها ، ولم يصنع فهرسًا لشواهدها ، فندبت نفسي لهذه المهمة ، خدمة لهذه الرسالة .

وأرجو أن يكون لهذا الفهرس الفائدة المتوخاة منه ، وآمل أن يلقى القبول لدى أهل العربية والباحثين في اللغة ، ولدى المنقبين في العلائيات على وجه أخص . والله من وراء القصد .

استخدمنا بعض الرموز في التعليقات ، هي :

ق = قصيدة .

ب = بيت .

ط = طبعة .

تح = تحقيق .

الفهـــارس

١ - الآيات منسوقة على السور

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فمن تبع هُدَيَّ (١) فلا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ﴾	٣٨	البقرة	١٨٢
﴿ وفومها(٢) وعدسها وبصلها ﴾	٦١	البقرة	١٦
﴿ وقولوا للناس حُسنىٰ (٣) ﴾	٨٣	البقرة	٣٤
﴿ مايفرّقون به بين المرِ(٤) وزوجِه ﴾	١٠٢	البقرة	١٦٠
﴿ فأمتّعه قليلًا ثم إضطره(٥) ﴾	١٢٦	البقرة	١٢٦
﴿ الأنجيل(٦) ﴾	٣	آل عمران	٢٠٣
﴿ ولله على الناس حج(٧) البيت ﴾	٩٧	آل عمران	١٩٠
﴿ يوم تِبْيَضُّ وجوه وتِسْوَدّ(٨) ﴾	١٠٦	آل عمران	١٢٧
﴿ فلإمّه(٩) السدس ﴾	١١	النساء	١٣٥
﴿ إنْ تكونوا تِيلمون ﴾(١٠)	١٠٤	النساء	١٢٧
﴿ مهيمن ﴾(١١)	٥١	المائدة	٢٣٠
﴿ فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾(١٢)	٣٤	الأعراف	٩
﴿ اثاقلتم إلى الأرض ﴾(١٣)	٣٨	التوبة	٩١-٩٢
﴿ بسم الله مجراها ومرساها ﴾(١٤)	٤١	هود	٢٤٠
﴿ ولا تِركنوا إلى الذين ظلموا فتِمسكم النار ﴾(١٥)	١١٣	هود	١٢٧
﴿ وأعتدت لهنّ متكآء ﴾(١٦)	٣١	يوسف	٢١٧
﴿ واسأل القرية ﴾(١٧)	٨٢	يوسف	٢٢٢
﴿ إنه مَنْ يتقي ويصبر ﴾(١٨)	٩٠	يوسف	٢٠٤
﴿ طِيبى (١٩) لهم وحسن مآب ﴾	٢٩	الرعد	٧٧
﴿ أفئيدةً ﴾(٢٠)	٣٧	إبراهيم	٢٠٢
﴿ أفئدة من الناس تهوي إليهم ﴾(٢١)	٣٧	إبراهيم	٢٢٢
﴿ إمّا أن تعذّب وإما أن تتخذ فيهم حسنى ﴾(٢٢)	٨٦	الكهف	٣٤
﴿ ألا يسْجدوا ﴾(٢٣)	٢٥	النمل	١٩٥
﴿ قالوا اطّيرنا بك وبمن معك ﴾(٢٤)	٤٧	النمل	٩١
﴿ فذانيك برهانان ﴾(٢٥)	٣٢	القصص	٢٠٤
﴿ ربّ أرجعون ﴾(٢٦)	٩٩	المؤمنون	٢٢٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكؤون ﴾[٢٧]	٥٥-٥٦	يس	٤٤
ساق ﴿ يوم يُكشف عن ساق ﴾[٢٨]	٣٣	ص	١٢-١٣
﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾[٢٩]	٢١	ق	٢٤
﴿ وقال قرينُه هذا مالديّ عتيد ، ألقيا[٣٠] في جهنّم كلّ كفّار عنيد ﴾	٢٣-٢٤	ق	٢٥
﴿ في بطون إمّهاتكم ﴾[٣١]	٣٢	النجم	١٣٥
﴿ عادًا لّولى ﴾[٣٢]	٥٠	النجم	٩٣
﴿ غِسْلين ﴾[٣٣]	٣٦	الحاقة	٢٥٦
أُقتت ﴿ وُقّتت ﴾ ﴿ وإذا الرسُل أُقتت ﴾[٣٤]	١١	المرسلات	١٣٠
﴿ أرأيت[٣٥] إن كذب وتولى ﴾	١٣	العلق	٥٩
﴿ أرأيت[٣٦] الذي يكذب بالدين ﴾	١	الماعون	٥٩
﴿ أَلِلاه ﴾[٣٧]			٢٦١

٢ - الأحاديث

١ - وفي الحديث أن يهوديًا رأى عليًا عليه السلام يبتاع جَهازًا فقال له : بمن تزوجت ؟ فقال : بفاطمة بنت محمد ﷺ . فقال اليهودي : لقد تزوجت بامرأة[١] ... ص ١٦١

٢ - وفي الحديث أنه مرّ بقومٍ يرتبعون حجرًا . وفي رواية أخرى : يربعون حجرًا ... ص ١٩٩

٣ - الأمثال وماجرى مجراها

نص المثل	الصفحة
أجهل من صعل الدوّ	٥٤
أحير من ضبٌ[(١)]	٥١
أطرق كرا[(٢)]	٥
حياك الله وبيّاك[(٣)]	٣٢
خيل لو كان لها فوارس	٤٨
دهدرّين سعدُ القين[(٤)]	٥٤
شكاة فأين الحارث بن كلدَة	٤٧
الصيفَ ضيعت اللبن[(٥)]	٤٨
قضيّة ولا أبا حسن لها[(٦)]	٤٧
لا هيثم الليلة للمطيّ[(٧)]	٤٧
لا يكذب الرائدُ أهله[(٨)]	٤٩
لو كان معي ملء السقاء لسلكت في الأرض القاء	٤٩
من شبٍ إلى دبّ	٤٩

٤ - الأشعار
منسوقة على القوافي

(ءُ)

الوافر :

وآنيتُ العِشاءَ إلى سُهيلٍ أو الشِّعرى فطالَ بي الأَناءُ[١]

« الحطيئة » ١١

[أصكُّ مصلّمُ الأذنين أجنى] لهُ بالسّيِّ تَنّومٌ وآءُ[٢]

« زهير » ١١٢

لددتُهمُ النصيحةَ أيّ لدٍّ فمجّوا النُصحَ ثم ثَنوا فقاؤوا

فلا واللهِ لأيرجى لما بي ولا للما بهِمْ أبدًا دواء[٣]

« مسلم بن معبد » ١٩٤

(ءِ)

الكامل :

ياعُثمُ أدركني فإنّ ركيّتي صَلَدتْ فأعْيَتْ أنْ تبضّ بمائها[٤]

« أبو زبيد » ٢٧

(بُ)

الطويل :

سواسيةٌ سودُ الوجوه كأنما بَطونهمُ من كثرة الزادِ أَوْطُبُ[٥]

« ؟ » ٢٠

فهذي سيوفٌ ياصُدَيّ بن مالكٍ كثيرٌ ولكن أينَ بالسيف ضارب[٦]

« ؟ » ٤٦

لقد منّت الخذواءُ منّا عليهم وشيطانُ إذْ يدعوهمُ ويثوّب[٧]

« طفيل الغنوي » ٢٥٠

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لملأكٍ تنزّلَ من جوّ السماء يصوب[٨]

« علقمة » ٦

(بَ)

الكامل :

يلدسْنَ جندلَ حائرٍ لجنوبه فكأنّما تنفي سنابكُها حبا[٩]

« أبو دؤاد » ٢٧٩

الرجز :

إنّـا بذلنـا دونَهـا الضِّرابـا لما وجدنـا ماءَهـا طُيّابـا[10]

« ؟ » ١٧٢

أمّ الحُلَيْسِ لعجوزٌ شَهْرَبَـهْ[11]

« رؤبة » ١٩٣

(بِ)

الطويل :

ومنّا لقيطٌ وابنَماه وقَعْنبٌ مؤرّثُ نيرانِ المكارم لا المُخْبي[12]

« الكميت » ١٥٥

خليلَيّ مرّا بي على أمّ جُنْدب لأقضي حاجات الفؤادِ المعذّبِ[13]

ألم ترياني كلّما جئتُ طارقًا وجدتُ بها طِيبًا وإنْ لم تطيّب

« امرؤ القيس » ٢٦

فلمّا دخلناه أضفنا ظهورنا إلى كلّ حاريٍّ جديدٍ مشطّب[14]

« امرؤ القيس » ١٠٧

وماشنّ من وادي الفتين مشرّقًا فهِمْيانه لم ترْعه أمّ كاسب[15]

« ؟ » ٢٥٨

البسيط :

ولّى حثيثًا وهذا الشيبُ يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقيب[16]

« سلامة » ٢٦٧

الرجز :

ياليتَ أمَّ العمروِ كانتْ صاحبي مكانَ مَنْ أنْشَا على الركائبِ[17]

ورابعتنـي تحتَ ليـلٍ ضاربِ بساعدٍ فَعمٍ وكفٍّ خاضب

« ؟ » ٢٠٠

(بْ)

الرجز :

جاء بصيدٍ عَجَبٍ من العَجَبْ أُزَيْرق العينين طوّالِ الذنبْ[18]

« ؟ » ١٧٢

أعوذُ باللهِ من آل العقرابْ المصفيات الشايلات الأذنابْ[19]

« ؟ » ٢١٥

(تِ)

الكامل :

زَعمتْ تُماضرُ أنني إمّا أمتْ يَسْدُد أُبينُوها الأصاغرُ خَلّتي

« علباء » ١٤٦

(جَ)

الرجز :

إذا أخذتَ النهبَ فالنَّجا النجا   **أخشى عليك طالبًا سفنّجا**[٢١]

« ؟ » ٦٠

من طللٍ أقفرَ ثم أنهجا[٢٢]

٢٦٣

(حُ)

الطويل :

وقد كنتَ تخفي حُبَّ سمراء حقبةً   فَبُحْ لانَ منها بالذي أنت بائحُ[٢٣]

« عنترة » ٩٤

(حَ)

الوافر :

فقلت لصاحبي : لاتحبِسانا   بنزعِ أُصوله واجتزّ شِيحا[٢٤]

« مضرّس أو يزيد » ٢٦

وما إنْ زالَ طيفُك لي عَنيقًا   إلى أنْ حَيْعلَ الداعي صباحا[٢٥]

٢٧٠

(حِ)

الوافر :

[وأنتَ من الغوائل حينَ تُرمْى]   وعن شَتْمِ الرجال بمُنْتَزاحِ[٢٦]

« ابن هرمة » ٢١٧

(دُ)

الطويل :

[يلومونني في حبّ ليلى عواذلي]   ولكنني من واحدٍ لكميدُ[٢٧]

١٩٣

البسيط :

حتى كأنّ حزونَ القُفّ ألبسَها   منْ وشي عبقر تجليلٌ وتنجيدُ[٢٨]

« ذو الرمة » ٤٣

الوافر :

أحبُّ المؤقدين إلــيّ مُــؤْسى   وحزرةُ لو أضاءَ لي الوقود[٢٩]

« جرير » ١٢

(دَ)

الطويل :

دعانيَ من نَجْدٍ فإنّ سنينَه لَعِبْنَ بنا شِيبًا وشيّبْننا مُرْدا[30]

« الصمة » ٢٥٧

البسيط :

وللقِسيّ أزاميلٌ وغمْغَمةٌ حسَّ الشمالِ تسوقُ الماءَ والبردا[31]

« عبد مناف الهذلي » ٢٠٩

يا أمَّ طلحةَ إنّ البينَ قد أفِدا [قل الثواءُ لئن كان الرحيلُ غدا][32]

« عمر بن أبي ربيعة » ٢٢٤

تنفي الحصىٰ زيمًا أطرافُ سُنبكِها نفيَ الغرابِ بأعلى أنفه الغَرَدَهْ[33]

« ؟ » ٢٣٧

الوافر :

.... وريح المرد قوشة والشهودا[34]

« ؟ » ٢٤٠

الكامل :

يَدَيان بَيْضاوان عندَ محرّقٍ قد تمنعانِك أن تُضامَ وتضْهدا[35]

« ؟ » ١٦٨

قد أصبحوا لايمنعونك نقرة حتى تمدّ إليهمُ كفُّ اليدا[36]

« ؟ » ١٦٦

الرجز :

يا ربَّ سارٍ باتَ ماتوسّدا إلا ذراع العنْس أو ظهر اليدا[37]

« ؟ » ١٦٧

لو أن عمرًا همّ أن يرقودا[38]

« ؟ » ٢٢٠

(دِ)

الطويل :

وذي نَخَواتٍ طامحِ الطرفِ جاذبت حبالي فلوّىٰ من عِلابيّه مدّي[39]

« دوسر » ١٥

فكنت كمهريق الذي في سِقائه لرقراق آلٍ فوقَ رابيةِ صَلْدِ[40]

« العديل بن الفرخ » ٢٤٤

أقبا الكُشوح أهضمانِ كلاهما كعالية الخطيّ واري الأزاندِ[41]

« أبو ذؤيب » ٢١٠

(دَ)

الوافر :

ألم يأتيك والأنباءُ تنمي ... بما لاقت لبونُ بني زياد[٤٢]

« قيس بن زهير » ٢٠٦

أقولُ لها وضوء الصبح بادٍ: ... ألم تحْزُنْك حيعلةُ المنادي[٤٣]

« ؟ » ٢٧٠

(دْ)

الرمل :

وشبابٍ حَسَنٍ أوجُههم ... من إيادِ بنِ نزارِ بن مَعَدْ[٤٤]

« أبو دواد » ١٥٥

(رُ)

الطويل :

فقلت اصطبحها أو لغيري فاهدِها ... فما أنا بعد الشيب ويبك والخمرُ[٤٥]

تجاللت عنها في السنين التي مضت ... فكيف التصابي بعدما كلأ العمر

« الأقيشر » ٥

[ترى الشرّ قد أفنى دوابرَ وجهه] ... كضبِّ الكُدَى أدمى أنامِلَه الحفرُ[٤٦]

« خالد بن الطيفان » ٢٢٩

وأخرى أتت من دون نُعم ومثلُها ... نهى ذا النهى لو ترعوي أو تفكر[٤٧]

« عمر بن أبي ربيعة » ٣٥

وكنتُ أرجّي بعد نعمان جابرًا ... فلوّأ بالعينين والأنف جابر[٤٨]

« ؟ » ٢١٩

رأت رجلًا أيما إذا الشمسُ عارضت ... فيضحى وأيما بالعشيّ فيخصر[٤٩]

« عمر بن أبي ربيعة » ٢٦٩

إلى السلفِ الماضي وآخرُ واقفٌ ... إلى رَبْرَبٍ حيرٍ حسانٍ جآذِرُه[٥٠]

« ؟ » ٣٩

وما حملَ البختيُّ عام غِياره ... عليه الوُسوقُ برُّها وشعيرها[٥١]

أتى قريةً كانت كثيرًا طعامُها ... كرفغ التراب كل شيء يميرها

فقيل : تحمّلْ فوق طوقك إنّها ... مطبّعةٌ من يأتها لا يضيرها

« أبو ذؤيب » ٢٠٠

الكامل :

تمشي الدفقّى من مخافة شدقمٍ   يمشي العجيلى والخنيف ويضبرُ(٥٢)

٢٤٣

(رَ)

الكامل :

إنّا لنضرب جعفرًا بسيوفنا   ضرب الغريبة تركب الآسارا(٥٣)

١٣٦

(رِ)

الطويل :

لقيت ابنة البكريّ زينبَ عن عُفْر   ونحن حرامٌ مُسي عاشرة العشر(٥٤)

فقبلتها ثنتين كالثلج منهما   وأخرى على لوحٍ أحرّ من الجمر

« أبو العميثل » ١٤٢

وكنت إذا جاري دعا لمضوفةٍ   أشمّر حتى ينصف الساق مئزري(٥٥)

« أبو جندب » ٧٣

أبوهم أبي والأمهات أمهاتنا   فانعم ومتّعني نفيسَ بن جَحْدَر(٥٦)

« حاتم الطائي » ١٣٤

البسيط :

يالعنةُ الله والأقوام كلّهمِ   والصالحين على سمعان من جار(٥٧)

١٩٦

الوافر :

أطعتُ الآمرينَ بصرم سلمى   فطاروا في عضاه اليستعور(٥٨)

« عروة بن الورد » ٢٤٦

الكامل :

والسترُ دون الفاحشات ولا   يلقاك دق الخير من ستر(٥٩)

« زهير » ٥٥

الخفيف :

وسواعيدُ يُخْتلَيْنَ اختلاءً   كالمغالي يطرْنَ كلّ مطير(٦٠)

« عمرو بن الأهتم » ٢٠٧

(رْ)

الطويل :

....   بخاتي قطارٍ مدّ أعناقها السفرْ(٦١)

« ؟ » ٢٨٥

الكامل :

قِــفْ بالديــار وقــوفَ زائــرْ ... وتــأيَّ إنك غيــرُ صاغــرْ[62]

« الكميت » ٧٥

الرجز :

هل تعرف الدار بأعلى ذي القورْ ... قد درست غير رمادٍ مكفورْ[63]

مكتئب اللــون مريــحٍ ممطــور ... أزمــانَ عينــاء سرور المسرور

حوراء عيناء من العِين الحِير

« منظور بن مرثد » ٣٩

المتقارب :

لنــا صرخــة ثم إصماتــة ... كما طــرّقتْ بنفــاسٍ بِكِــرْ

« أوس بن حجر » ٢١٥

(سُ)

الطويل :

هنيئًا لأربـاب البيــوت بيوتُهــم ... وللعـزَب المسكين مايتلــمسُ[65]

« أبو الغطريف » ٧١

الوافر :

فثــار الزاجــرون فثــار منهم ... تِقرّابًــا وصادفــه ضبــيس[66]

« أبو زبيد » ٩٢

(سَ)

الطويل :

وداويتُهــا حتــى شتَتْ حَبَشيــةً ... كأنَّ عليها سُنْـدُسًا وسُدوسا[67]

« يزيد بن خذاق » ٣٠

(سِ)

المنسرح :

فَنهــزَةٌ مَــنْ لَقُــوا حسبَنَهُــمُ ... أشهى إليه من بـارد الـدبسِ[68]

« أبو زبيد » ٢١٤

(سْ)

السريع :

إمّــا تــري رأسيَ أزرى بــه ... مأسُ زمانٍ ذي انتكاسٍ مؤوسْ[69]

« الأفوه » ١٣

(صُ)

الطويل :

[كـأن سراتـه وجُـدّة ظهـره]   كنائنُ يجري فوقهن دليصُ (٧٠)

« امرؤ القيس » ٢٤١

(صْ)

الكامل :

ككنانـــة الزُّغْـــرِيّ جلْـــــ   ـلَلَها من الـذهب الـدُّلامصْ (٧١)

« أبو دواد » ٢٤١

(طِ)

الوافر :

أبـيتُ على مَعَـارِيَ فاخـراتٍ   بهن مُلـوَّبٌ كـدمِ العِبَـاط (٧٢)

« المتنخل » ٢١٢

(عُ)

الطويل :

كـأن المحال الغـرَّ في حجـراتها   عذارى على طايات مصر تطلّعُ (٧٣)

« ؟ » ١٢٠

الكامل :

تركـوا هَـويّ وأعنقـوا لهواهــمُ   فتُخِرّموا ولكلّ جنبٍ مصرعُ (٧٤)

« أبو ذؤيب » ١٨٣

(عَ)

الطويل :

فإنْ تزجراني يابنَ عفـان أنزجرْ   وإن تدعاني أحمِ عرضًا ممنّعا (٧٥)

« سويد » ٢٥

الوافر :

أنـا ابـن التـاركِ البكـري بشرٍ   عليـه الطيـرُ ترقُبُـه وقوعـا (٧٦)

« المرّار » ١٨٤

الرجز :

أينَ الشظاظـانِ وأيـن المِرْبعـهْ   وأيـن وَسْقُ الناقـةِ الجلنفعـهْ (٧٧)

١٩٧

(فُ)

الطويل :

يشبهها الرائي المشبّه بيضةً ... غدا في الندى عنها الظليم الهجنّفُ[(٧٨)]

« جران العود » ٢٢

(فِ)

البسيط :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ ... نفيَ الدراهم تنقادُ الصياريف[(٧٩)]

« الفرزدق » ٢١٠

(قُ)

الطويل :

إني بما قد كلّفتني عشيرتي ... من الذبّ عن أعراضها لحقيق[(٨٠)]

« غيلان بن حريث » ١٠٩

(قَ)

البسيط :

.... حلّت عليه إياة الشمس أوراقا[(٨١)]

« أبو دواد » ٧٦

الرمل :

فلئن قومٌ أصابوا غرّةً ... وأصبنا من زمانٍ رَنَقا[(٨٢)]

لَلَقد كنّا لدى أرحُلنا ... لصنيعين لباسٍ وتقى

« ؟ » ١٩٤

(قِ)

" سيط :

طيف ابنة الحرّ إذْ كُنّا نواصلها ... ثم اجتنبت بها بعد التفرّاق[(٨٣)]

« تأبط شرًا » ٩٢

الوافر :

حسبت بُغام راحلتي عَناقًا ... وماهو ويْب غيرك بالعناق[(٨٤)]

« ذو الخرق الطهوي » ٢٢٣

(قْ)

الرجز :

إذا العجــوز غضبت فطلّــقْ ولاترضّاهــا ولا تُملّــقْ[٨٥]

« رؤبة » ٢١٨

(كَ)

الرجز :

والله سماك سمّــا مبــاركا آثــرك الله بــه إيثــاركا[٨٦]

« أبو خالد القناني » ١٢٩

دار لسعدى إذهِ من هــواكا[٨٧]

« ؟ » ١٩٨

يابتــا عــلك أو عساكا[٨٨]

« رؤبة » ٢٦٣

(كِ)

الطويل :

أقول وقد ناءت بهم غربة النوى نوىً خيتعور لاتشِط ديـارُكِ[٨٩]

٨

(لُ)

الطويل :

بِخَيْـلٍ عــليها جِنّــةٌ عبقريــة جديرون يومًا أن ينالوا ويستعلوا[٩٠]

« زهير » ٤٣

عــليهنّ فـرسانٌ كــرامٌ لباسهــم سَوابيغُ زغْفٌ لاتخرّقها النبـلُ[٩١]

« زهير » ٢٠٧

لقد بسملتْ ليلى غداةَ لقيتُهـا فياحبّذا ذاك الحبيبُ المبسمـلُ[٩٢]

« عمر بن أبي ربيعة » ٢٧٠

بأبي امرءًا والشامُ بيني وبينـه أتتني ببشرى بُردُه ورسائلُـه[٩٣]

١٥٧

وكائنْ تَرى من يلْمعيٍّ مُحَظْربٍ وليسَ له عند العزائم جُـول[٩٤]

ومن مرثعـنٌ في الأمور مـواكل وهــوَّ بسمْـل المعضلات نبيــل

« طرفة » ٩٧

البسيط :

أبلغ يزيدَ بني شيبانَ مألُكــةً أبا ثُبيتٍ أمَا تنفكُّ تأتكـل[٩٥]

« الأعشى » ٧

إذْ هي أحوى من الرِّبْعيّ حاجبُه ... والعين بالإثمد الحاريّ مكحول[٩٦]

« طفيل الغنوي » ٩٨

الوافر :

لقــد لقــيتْ قريظــة ماسآهــا ... وحــلّ بدارهــا ذلُّ ذليــل[٩٧]

« كعب بن مالك » ١٣٦

(لَ)

الطويل :

ألكني إلى قومي السلام رسالــةً ... بآية ماكانوا ضعافًا ولاعُـزْلا[٩٨]

« عمرو بن شأس » ٧

خرجنا من النقبين لاحيّ مثلنـا ... بآيتنا نزجي العتاق المطافـلا[٩٩]

« البرج بن مسهر » ٧٤

(لِ)

الطويل :

كـأني بفتخـاء الجنـاحين لقـوةٍ ... دفوفٍ من العقبان طأطأت شيمالي[١٠٠]

« امرؤ القيس » ٢١٣

فـإن شفـائي عبرة مهراقـــة ... [فهل عند رسمٍ دارسٍ من معوّل][١٠١]

« امرؤ القيس » ٢٤٤

[إذا قامتا تضوّع المسك منهمـا ... نسيمَ الصبا] جاءت بريا القرنفل[١٠٢]

« امرؤ القيس » ٢٦٣

إذا ذابت الشمسُ اتّقى صقراتِها ... بأفنان مربوع الصريمة مُعْبِلِ[١٠٣]

« ذو الرمة » ٢٣

فمتْ كمدًا أو كلْ غير شهوةٍ ... أفانينَ علْقىٰ مُـرّةً بأميـل[١٠٤]

٧٩

البسيط :

يـأبى لحار فلا يبغي بـه بـدلًا ... أبٌ بريٌّ وخال غير مجهول[١٠٥]

« زهير » ١٣٩

الوافر :

كـأن ملاءتـيّ على هجــف ... يَعُنّ مـع العشيـة للرئـال[١٠٦]

« الأعلم الهذلي » ٢٢

فلا وأبيك لاينجو نَجائي غداة لقيتُهم بعضُ الرجال[107]

هواءٌ مثلُ بعلك مستميتٌ على ما في إعائك كالخيال

« الأعلم الهذلي » ١٠٠

إذا اختصم الصِّبى والشَّيْبُ عندي فأفْلَجْتُ الشبابَ فلا أبالي[108]

حلولُ الشيب مالم أجن ذنبًا يكون سواه أتَوَجلِ خَلالِ

« أبو صخر » ١٥٥

وجدت أبي قد آورثه أبوه خلالًا قد تُعدّ من المعالي[109]

« ؟ » ٢٦١

الرجز :

بشِيَةٍ كشيةِ المرجلِ[110]

« العجاج » ٢٣٩

الخفيف :

فإذا ساطنٌ عصاه عكاه ثم يرتو عليه بالأغلال[111]

« أمية » ٢٤٩

(لْ)

الرجز :

رب ابن عمّ لسُليمى مشمعِلْ طباخ ساعات الكرى زادَ الكسِلْ[112]

« ؟ » ١٩٨

خودٌ أناة كالمهاة عطبولْ كأنما نكهتها القرنولْ[113]

« ؟ » ٢١٩

الرمل :

فتآيا بطريرٍ مرهفٍ جفرة المخزم منه فسعلْ[114]

« لبيد » ٧٥

فتولوا فاترًا مشيهمُ كروايا الطبع همّت بالوَحلْ[115]

« لبيد » ٢٠١

المنسرح :

لاعهدَ لي بالنيضالْ كأنني شيخٌ بالْ[116]

« ؟ » ٢١٣

(مُ)

الطويل :

فلا أعرفنِّ الشيخَ يصبح قاعـدًا بأوحدَ لامالٌ لديه ولا ابنُمُ[117]

« ؟ » ١٥٦

الوافر :

ولا جثّامـةٌ في الرحْـل مـثلي ولا بـرمٌ إذا أمسـى نـؤومُ[118]

« الوليد بن عقبة » ٥٥

الرجز :

وعامُنـــا أعجبنـــا مقدمـــه يكنى أبا السمْح وقِرْضابٌ سُمُه[119]

١٢٩

الخفيف :

ورهــنتُ اليديــن عنهم جميعًــا كلُّ كفٍّ لها جزٌ مَـقْسُومُ[120]

« حسان بن ثابت » ١٥٣

فهي شوهـاءُ كالجُوالـق فوهــا مستجَافٌ يضلّ فيه الشكيمُ[121]

« أبو دُواد » ١١٨

(مَ)

الطويل :

ولستُ أرى مَرْءًا تطول حياتــه فتُبقي له الأيام خالاً ولاعمّا[122]

« ؟ » ١٥٩

وماهاجَ هـذا الشوقَ إلا حمامـةٌ دعتْ ساقَ حُرٍّ ترحةً وترنّما[123]
من الأُرقِ حماءُ العِلاطين باكرتْ عَسِيبَ أشاءٍ مطلعَ الشمس أسحما

« حميد بن ثور » ١١

فدع عنك ذكر اللهو واعمدْ بمدحةٍ لخير معدّ كلّها حيث ماانتمى[124]
لأجودهـا كفًّـا وأكرمهـا أبًــا وأحسنها وجهًـا وأرفعهـا سُمــا

١٢٩

[وهل لي أمٌّ غيرُها إنْ ذكرتُها] أبى الله إلا أنْ أكونَ لها ابنما[125]

« المتلمس » ١٥٦

[فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا] ولكنْ على أعقابنا يقطرُ الدما[126]

« الحصين بن الحمام » ١٦٤

فلن أذكر النُعمانَ إلا بصالحٍ فإنّ له عندي يديًا وأنعما(١٢٧)

« ضمرة بن ضمرة » ١٦٦

الرجز :

فإنه أهلٌ لأن يؤكرما(١٢٨)

« أبو حيان الفقعسي » ٢٥٩

الرمل :

كأطومٍ فقدتْ بُرْغُزَها أعقبتها الغُبْسُ منه عدما(١٢٩)
غفلت ثم أتت تطلبه فإذا هيْ بعظام ودِما

« ؟ » ١٦٤

(مِ)

الطويل :

أبا معقلٍ إن كنت أُشحت حلّةً أبا معقلٍ فانظُر بسهمك مَنْ ترمي(١٣٠)

« معقل الهذلي » ١١

لعمرُ أبي الطير المرِبّة بالضّحى على خالدٍ أن قد وقعْنَ على لحم(١٣١)

« أبو خراش » ١٦١

ألا ياسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحياتٍ وإن لم تكلّمي(١٣٢)

« العجاج » ١٩٥

هجاؤك إلّا أنّ ماكان قد مضى عليّ كأثواب الحرام المُهْينم(١٣٣)

« أوس بن حجر » ٢٤٤

أثافيّ سفعًا [في معرّس مرجلٍ ونؤيًا كجذم الحوض لم يتثلّم](١٣٤)

« زهير » ٢٨٣

البسيط :

من كلِ أغبرَ كالراقودِ حُجْزَتُه إذا تعشّى عتيق التمرِ والثومِ(١٣٥)

« الفرزدق » ١٧

الكامل :

قد كنت أحسبُني كأغنى واحدٍ قدمَ المدينةَ عن زراعة فُوم(١٣٦)

« أبو محجن » ١٧

الرجز :

.... وغيرُ سفعٍ مثّلٍ يحامِ(١٣٧)

« غيلان بن حريث » ١١٠

.... ولم يَلُحْها حَزَنٌ على آبنمِ(١٣٨)

« العجاج » ١٥٦

.... قواطنًا مكة من ورق الحمي(١٣٩)

« العجاج » ١٩٧

لو أنَّ عندي مائتي درهامِ لابتعتُ دارًا في بني حَرَام(١٤٠)

وعشتُ عيشَ الملك الهُمامِ وسرتُ في الأرض بلا خاتام

« ؟ » ٢١١

(نُ)

الطويل :

رويدَ عليًا جدّ ماثْدي أمّهم إلينا ولكن ودّهم متماينُ(١٤١)

« مالك بن خالد » ٥٩

هي البازل الكوماء لاشيء غيره وشيطانة قد جُنّ منها جنونُها(١٤٢)

« ؟ » ٢٥١

الرجز :

مثل القلات ضُربت قُلينُها(١٤٣) ....

« ؟ » ٢٥٦

(نَ)

البسيط :

لما استبدّ بهم شيحانُ مبتجحٌ بالبين عنك بهم يرآك شنآنا(١٤٤)

« ؟ » ٨٣

الوافر :

أتظلم جارتيك عِقال بَكْرٍ وقد أوتيت مالاً وابنمينا(١٤٥)

« ؟ » ١٥٧

ولا تصْلَي بمطروقٍ إذا ما سرى في القوم أصبح مستكينا(١٤٦)

« ابن أحمر » ٢١٦

الكامل :

وأتت صواحبها فقلن : هذا الذي منح المودّة غيرنا وجفانا(١٤٧)

« جميل » ٩٥

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إليّ قطينا(١٤٨)

« جرير » ٢٢٥

الهزج :

ومِعْـــــزَى هدِبًـــــا يعلـــــو قِـــران الأرض سودانـــــا[١٤٩]

« ؟ » ٢٣٨

الرجز :

فقـلـت : مهـلاً لاتلومـي ياهنـــه أنا ابن ثنتين وسبعين سنـة[١٥٠]

« ؟ » ١٤٢

قـد وردتْ إلاّ الذُّهيـد هينـــا إلا ثـــلاثين وأربعينـــا[١٥١]
قليصات وأبيكرينا

« ؟ » ١٤٨

لم يبـــق فيها غير موقِدنّـــه وغير آثـــارٍ بها سفعنّـــه[١٥٢]
لاتهزئيْ منـــا سليمـــى إنّـــه إنّـــا لوقّافـــون بالثغـــر تّـــه

« ؟ » ٢٦٥

المجتث :

إني سمعت بليــــــــــلٍ نحو الرصافـــة رنّـــه[١٥٣]
خـــــرجت أسحب ذيلي انظـــــور ماشأنهنّـــــهْ

« الوليد بن يزيد » ٢٢٠

(نِ)

الطويل :

لعمري لقد نبهت من كان نائمًا وأسمعتَ مَنْ كانت له أذنانْ[١٥٤]

« صخر » ٢

البسيط :

فأيقـن آكـدر إذْ صاروا ثَمَنْيـةً أن قد تفرّد أهل البيت بالثمن[١٥٥]

« أبو زبيد » ١٣٤

الوافر :

ومـاذا يـدّري الشعـراء منـي وقد جاوزت حدّ الأربـعين[١٥٦]

« سحيم بن وثيل » ٢١

رأيت عرابـة اللـوسّي يسمـــو إلى الغايات منقطع القريـن[١٥٧]

« الشماخ » ١٦٠

فلـو أنـــا على حجـرٍ ذبحنـــا جرى الدميان بالخبر اليـقين[١٥٨]

« علي بن بدال » ١٦٣

الكامل :

بان الحمول فما شأونك نقرةً ‏ ولقد أراك تُشاء بالأظعان[159]

« الحارث بن خالد » ٨

ياللرجال لحادث الأزمان ‏ ولنسوة من آل أبي سفيان[160]

« ؟ » ١٣٥

تلقى الضِفِنَّةَ من بنات مجاشعٍ ‏ ولها إذا انحلّ الإزارُ حرانِ[161]

« جرير » ٢٦٦

درس المنا بمُتالعٍ فأبانِ ‏ [بالحُبْس بين البيد والسُّوبان][162]

« لبيد » ٢٧٨

[أفواقها حذة الجفير كأنها] ‏ أفواه أفرخةٍ من النغران[163]

« ؟ » ٢٢١

الرجز :

نبهتُ ميمونًا بأشمذين ‏ فقال لي وأنّ أنتين[164]

أما ترى ماقد أصاب عيني ‏ من الشظاظ ومن الحنونين

« ؟ » ١٩٩

قد تعلم العيسُ العتاق أني ‏ أحدو بها منقطعًا شسعني[165]

« ؟ » ٢٦٤

وأنت يابنيّ فاعلم أنّي ‏ أحبّ منك موضع الوشحنّ[166]

وموضع الإزار والقفنّ

« دهلب بن قريع » ٢٦٤

(نْ)

الرجز :

كأنما هُوْ حبشيّ ماثلٌ ‏ عارٍ عليه من تلادٍ هِذمانْ[167]

« النظار الأسدي » ٦٨

يأيها الضبّ الخنوّذان[168]

« ؟ » ٢٢٩

(يُ)

الكامل :

وكأنها بين النساء سبيكةٌ ‏ تمشي بسدّة بيتها فتُعِيُّ[169]

« ؟ » ١٠٥

الرجز :

وقـد نُـرى إذ الحيـاةُ حِـيُّ   وإذ زمـانُ النـاس دغفلـيُّ (١٧٠)

« العجاج » ٧٣

تلفّـه الريـاح والسُّمـيُّ (١٧١)

« العجاج » ١٣٧

(يَ)

الطويل :

إذا متُّ فاعتادِي القبورَ وسلّمي   على الريمِ أُسقيتِ السحابَ الفواديا (١٧٢)

« مالك بن الريب » ١٨

ذهبنَ بمِسواكي وغادرنَ مُذهبًا   من الصوغِ في صُغرى بنان شماليا (١٧٣)

« سحيم » ٣٤

تُريديـنَ ليّـاني وأنتِ مليّـةٌ   وأُحْسِنُ ياذاتَ الوشاحِ التقاضيا (١٧٤)

« ذو الرمة » ١٠٠

جـزاني يديـيّ أنـني كنـت ربّمـا   جفوتُ له في الزاد بعضَ عياليا (١٧٥)

١٦٦

وتضحكُ مني شيخـة عبشميـة   كأن لم ترى قبلي أسيرًا يمانيا (١٧٦)

« عبد يغوث » ٢١٩

فيازيدُ عللنا بِمَنْ يسكن الـغضا   وإنْ لم يكنْ يازيد إلا أمانيا (١٧٧)

٢٨٢

تراغيتـمْ يـوم الـزبير كأنّكـم   ضباع بذي قارٍ تمنّى الأمانيا (١٧٨)

« جرير » ٢٨٢

[وقِدْرٍ كرأل الصحصحان وثيّة]   نصبت لها بعد الهدوّ الأثافيا (١٧٩)

« الراعي » ٢٨٣

الوافر :

ألا مَـنْ مبلـغ الحرّيـن عنّـي   مغلغلـةً وخصّ بها أُبيّـا (١٨٠)

يطـوّف بي عِـكبّ في معـدٍّ   ويطعـن بالصّملّـة في قفيّـا

« المنخل اليشكري » ١٨٥

(يِ)

الرجز :

لا هيثَـــمَ الليلـــةَ للمطـــيِّ [ولا فتًى مثل ابن خيبريِّ] (١٨١)

٤٧

(يْ)

الرجز :

إنّ بني يربوعَ أربـــابَ الشّوي قـومٌ يلبّـونَ السَّويـقَ بالمنـي (١٨٢)

مَن يشربِ المنِـيَّ يحْبَلْ بصبي

١١٦

١ - التعليقات على الآيات

(١) احتج المعري بقراءتهم « هُدَيَّ » قال ابن جني : إنها قراءة النبيّ ﷺ وأبي الطُفيل وعبد الله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفيّ . وقال : هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم ، أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم ياءً . انظر المحتسب ١ : ٧٦ والكشاف ١ :٩٧ .

(٢) أشار أبو العلاء هنا إلى القراءتين : وفومها ، وثومها . ذكر ابن خالويه في شواذّه ص ٦ وثومها بالثاء عن ابن مسعود وابن عباس . وفي المحتسب ١ :٨٨ يقال : الثوم والفوم بمعنى واحد كقولهم : جدث وجدف ... ويقال : الفوم : الحِنطة .

انظر معاني القرآن للفراء ١ :٤١ والكشاف ١ : ١٠٨ وتفسير القرطبي ١ : ٤٥٠ وتفسير الفخر الرازي ١ : ٣٦٦ والبحر المحيط ١ :٢٣٣ .

(٣) احتج أبو العلاء بقراءتهم « حسنى » بغير تنوين . هي قراءة الحسن والأخفش وأبيّ وطلحة بن مصرف . انظر شواذ ابن خالويه ص ٧ والكشاف ١ :١١٩ .

(٤) الإشارة هاهنا إلى قراءة الحسن « المرِ » بالتخفيف ، ونسبها ابن جني إلى قتادة أيضًا ، وقال : إنها على التخفيف القياسي . المحتسب ١ : ١٠١ والبحر ١ : ٣٣٢ .

(٥) الاحتجاج في هذا الموضع بقراءة يحيى بن وثاب « إضطره » بكسر الهمزة . انظر شواذ ابن خالويه ص ٩ والكشاف ١ : ١٣٩ ومعاني الفراء ١ : ٧٨ والبحر ١ : ٣٨٤ .

(٦) الأَنجيل – بفتح الهمزة – وهي قراءة الحسن . انظر شواذ ابن خالويه ص ١٩ والمحتسب ١ : ١٥٢ والقرطبي ٤ : ٦ والفخر الرازي ٢ : ٤١٢ والبحر ٢ : ٣٧٨ والإتحاف ٢٠٢ وقد وردت كلمة الإنجيل في طائفة من الآيات في السور ، فقد وردت في الآيات ٣ ، ٤٨ ، ٦٥ من آل عمران ، وفي الآيات ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠ من المائدة وفي الآية ١٥٧ من الأعراف والآية ١١١ من التوبة والآية ٢٩ من الفتح والآية ٢٧ من الحديد .

(٧) ذكر أبو العلاء هذه الآية في سياق الفكرة التي كان يناقشها وفحواها أن القراءة لا تحمل على ما يجوز في كلام العرب ، فهم لا يُطالبون أن يقرأوا : « ولله على الناس حِجٌّ البيتَ » .

(٨) القراءة المشار إليها « تبيضّ ..وتِسودّ » بكسر تاء المضارعة ، وهي قراءة يحيى بن وثاب . انظر الكشاف ١ : ٣٠٧ والقرطبي ٤ : ١٦٧ والبحر ٣ : ٢٢ .

(٩) الإشارة إلى قراءتهم « فلإمه » بكسر الهمزة . وهي قراءة حمزة والكسائي والأعمش انظر كتاب السبعة ٢٢٨ والتيسير ٩٤ والتبصرة ١٧٩ والحجة لابن خالويه ١٢٠ والكشاف ١ : ٣٧٣ وتلخيص العبارات ٨١ والقرطبي ٥ : ٧٢ والفخر ٣ : ١٥٨ والبحر ٣ : ١٨٤ .

(١٠) تيلمون أصلها : تألمون . وتيلمون هى قراءة نسبت إلى يحيى بن وثاب . انظر المحتسب ١ : ١٩٨ . والكشاف ١ : ٤٣٥.

(١١) في هذه الموضع فصل أبو العلاء القول في كلمة « مهيمن » وقد وردت هذه الكلمة مرةً في المائدة وأخرى في سورة الحشر ، الآية ٥٩ .

(١٢) ذكرها وقد وردت على لسان أحد الملائكة . *

(١٣) ذكرها ليدل بها على أن « اثّاقلتم » أصلها : تثاقلتم .

(١٤) ذكرها ليتحدث صرفيًا عن كلمتي مجراها ومرساها .

(١٥) أشار في هذه الآية إلى القراءة بكسر تاء المضارع في « تركنوا .. وتمسكم » وهي قراءة يحيى بن وثاب قال ابن جني في المحتسب ١ : ٣٣٠ : ومن ذلك قراة يحيى والأعمش وطلحة بخلاف ، ورواه إسحاق الأزرق عن حمزة « فتمِسَّكم » بكسر التاء . وهذه لغة بني تميم . وذكر الزمخشري أن بني تميم يكسرون حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم . انظر الكشاف ٢ : ٣٣٨ والبحر ٥ : ٢٦٩ .

(١٦) الاستشهاد ههنا بقراءة الحسن « متكآء » بزيادة الألف . انظر شواذ ابن خالويه ٦٣ والمحتسب ١ : ٣٣٩ والكشاف ٢ : ٣٦٢ والبحر ٥ : ٣٠٢ والإتحاف ٣١٦ .

(١٧) ذكرها شاهدًا على حذف المضاف والتقدير : واسأل أصحاب القرية .

(١٨) « إنّه من يتقي » قراءة ابن كثير وقُنبل . انظر كتاب السبعة ٣٥١ والتيسير ١٣١ والنشر والحجة لابن خالويه ١٩٨ والقرطبي ٩ : ٢٥٦ والفخر ١٨ : ٢٠٤ والبحر ٥ : ٣٤٢ والإتحاف ٣٢٠ .

(١٩) الاحتجاج هنا بقراءة مكوزة الأعرابي . وذكرها ابن خالويه في شواذه : ٦٧ ونسبها إلى مكورة – بالراء – وفي البحر ٥ : ٣٩٠ : بكرة الأعرابي وفي الكشاف ٢ : ٤١٢ مكوزة . وانظر الفخر ١٩ : ٥١ .

(٢٠) أفِئيدة . هذه قراءة ابن عامر . انظر التيسير ١٣٥ والنشر ٢ : ٢٨٨ والبحر ٥ : ٤٣٢ والإتحاف ٣٢٨ .

(٢١) ذكرها في معرض حديثه عن كلمة فؤاد وجمعها .

(٢٢) ذكر المعري أن بعض القراء قرأ « حسنى » بغير تنوين . وقد مرّ مثلها في التعليق رقم ٣ . و لم أجد نصًا عليها في الكهف في كتب القراءات التي رجعت إليها .

(٢٣) ذكر هذه الكلمة من الآية على أنها مما تركت فيه الإمالة . وقد قرأها الكسائي « ألا » بالتخفيف و لم يجعل فيها (أن) ووقف على « ألايا » ثم ابتدأ : اسجدوا . أما سائر القراء فقد شددوا اللام في « ألّا » . كتاب السبعة : ٤٨٠ وانظر التبصرة ٢٨١ والنشر ٢ : ٣٢٣ وتلخيص العبارات ١٣١والإتحاف ٤٠٨ .

(٢٤) استشهد بها ليدل على أن أصل : اطّيرنا : تطيرنا .

(٢٥) الاحتجاج بقوله : فذانيك . وهي قراءة ابن كثير وابن مسعود وشعبة . انظر القرطبي ١٣ : ٢٨٥ والبحر ٧ : ١١٨ .

(٢٦) ذكر المعري هذه الآية شاهدًا على خطاب المفرد (ربّ) بضمير الجمع « أرجعون » للتعظيم .

(٢٧) ذكر هذه الآية على لسان « رضوان » يصور نعيم أصحاب الجنة .

(٢٨) ذكر المعري أن بعض القراء قرأ (ساق) بالهمز . وهذا إشارة إلى قراءة ابن كثير ، قال ابن مجاهد :

(قرأ ابن كثير وحده « بالسؤق » بهمز الواو . وقرأ البزي بغير همز . وقال البزي : سمعت أبا الإخريط يهمزها ويهمز « عن سأقيها » [النمل ٤٤] وأنا لا أهمز شيئًا من هذا . وقال علي بن نصر عن أبي عمرو : سمعت ابن كثير يقرأ : « بالسؤوق » بواو بعد الهمزة . كذا قال عبيد الله بإسناده عن أبي عمرو . كذا في أصله. ورواية أبي عمرو عن ابن كثير ، هذه هي الصواب من قبل أن الواو انضمت فهمزت والأولى لاوجه لها) . وانظر التيسير ١٦٨ والتبصرة ٢٨٢ والحجة لابن خالويه ٣٠٤ والكشاف ٤ : ٧٢ والبحر ٧ : ٣٩٧ والإتحاف ٤٥٥ .

(٢٩) ذكر المعري هذه الآية ليبني عليها مسألة .

(٣٠) ذكر شاهدًا على مخاطبة الواحد بالتوحيد والتثنية ، فقد وحّد في « قرينه » وثنّى في « ألقيا » . وقرأ الحسن : « ألقيًا » بنونٍ خفيفة . قال ابن جني : هذا يؤكد قول أصحابنا في « ألقيا » أن أراد « ألقيًا » وأجرى الوصل فيه مجرى الوقف كقوله – أي الحجّاج –: ياحرسيّ اضربا عنقه . انظر المحتسب ٢ : ٢٨٤ وشواذ ابن خالويه ١٤٤ والقرطبي ١٧ : ١٦ والبحر ٨ : ١٢٦ .

(٣١) احتج بها دليلاً على أن العرب يكسرون همزة « أم » إذا وقعت قبلها كسرة أوياء . انظر التيسير ٩٤ والتبصرة ١٧٩ .

(٣٢) قال في كتاب السبعة ٦١٥ : قرأ نافع وأبو عمرو « عادًا لّولى » موصولة مدغمة ، واختلف عن نافع في الهمزة ، فرويت عنه : عادًا لؤلى ، كما رويت عادًا لّولى .. وانظر التيسير ٢٠٤ والتبصرة ٣٣٨ وتلخيص العبارات ١٥٤ والقرطبي ٧ : ١٢ والبحر ٨ : ١٦٩ .

(٣٣) وردت كلمة « غسلين » ليتحدث عنها حديثًا مفصلاً .

(٣٤) أشار المعري إلى القراءتين : وقتت وأقتت . جاء في كتاب السبعة ٦٦٦ : قرأ أبو عمرو وحده : وقتت بواو . وقرأ الباقون : أقتت . وانظر التبصرة ٣٦٨ والإتحاف ٥٣٠ .

(٣٥) ذكرها في معرض قوله : إن في مصحف ابن مسعود كافًا زائدة في الخط في كل (أرأيت) في القرآن وانظر الحاشية التالية .

(٣٦) انظر ماسبق ، ونضيف أن الفراء ذكر في معاني القرآن ٣ : ٥٠ : أريتك . وفي شواذ ابن خالويه أن قراءة ابن مسعود : أرأيتك ص ١٨١ .

(٣٧) ذكرها مشيرًا إلى قراءة ورش . انظر النشر ١ : ٤٠٢ .

٢ - التعليقات على الأحاديث

(١) الحديث في النهاية لمجد الدين بن الأثير « مرأ » ٤ : ٩٣ . وفسّر قوله : « بامرأة » بقوله : يريد امرأة كاملة . كما يقال : فلان رجلٌ أي : كامل في الرجال .

(٢) في الفائق للزمخشري ٢ : ٢٣ : النبي ﷺ مرّ بقوم يربعون حجرًا ، ويروى : يرتبعون فقالوا : هذا حجر الأشداء . فقال : ألا أخبركم بأشدكم ؟ : مَنْ ملك نفسه عند الغضب .

قال الزمخشري :

ربْعُ الحجر وارتباعه وإجذاؤه : رفعُه لإظهار القوة ، وسمّي الحجر المربوع : الربيعة والمُجذى ... وهما من ربع بالمكان وجذا فيه إذا وقف وثبت لأنه عند إشالته الحجر لابدّ له من ثبات واستمكانٍ في موقفه . وانظر النهاية لابن الأثير « ربع » ٢ : ٦٥ .

٣ - التعليقات على الأمثال

(١) المثل في الدرة الفاخرة ١ : ١٥٩ وجمهرة الأمثال ١ : ٤٠٠ ومجمع الأمثال ١ : ٢٢٧ والمستقصى ١ : ٩٠ .

(٢) كتاب سيبويه ١ : ٣٢٦ ، ٢ : ١٩٩ والزاهر ٢ : ٣٧٦ .

(٣) الأمثال لأبي عكرمة ٢٤ وإصلاح المنطق ٣١٦ والإتباع : ٢٤ والزاهر ١ : ١٥٥ والصحاح واللسان : بيا .

(٤) في كتاب الأمثال لأبي عبيد ٨٣ : قال الأصمعي : من أمثالهم في هذا : دُه دُرِّين سعدُ القينْ ومعناه عندهم الباطل . قال الأصمعي : ولا أدري مأأصله .

وانظر : الدرة الفاخرة : ٥٠٦ وجمهرة الأمثال ١ : ٤٤٨ ومجمع الأمثال ١: ٢٦٦ وفصل المقال ١٠٦ واللسان : دهدر .

(٥) الأمثال لأبي عبيد ٢٤٧ وللضبي ٧ والفاخر : ١١١ وجمهرة الأمثال ١ : ٥٧٥ والزاهر ٢ : ٢٣٥ ومجمع الأمثال ٢ : ٦٨ والمستقصى ١ : ٣٢٩ وفصل المقال ٣٥٧ والوسيط ٤٨ واللسان : صيف .

(٦) كتاب سيبويه ١ : ٣٥٥ .

(٧) انظره في فهرس الشعر (الحاشية ١٨١) .

(٨) الأمثال لأبي عبيد ٤٩ وجمهرة الأمثال ١ : ٤٧٤ ومجمع الأمثال ٢ : ٢٣٣ والمستقصى ٢ : ٢٧٤ واللسان : رود .

٤ - التعليقات على الأشعار

(١) ديوان الحطيئة : ٩٨ ق ٧ ب ٥٠ والمقصور والممدود للفراء : ٣٩ وابن ولّاد ٧١ وإصلاح المنطق ٢٤٣ برواية : وأكريت العشاء . وكذلك في المشوف المعلم ٢ : ٦٧٣ . وجمهرة اللغة ٣ : ٢٥٩ والزاهر ١ : ٣٩٧ و ٢ : ٢٢ ومعجم العين ٨ : ٤٠٢ وتهذيب اللغة ١٠ : ٣٤٣ و ١٥ : ٥٥٤ واللسان : كرا .

(٢) ديوان زهير بشرح ثعلب : ٦٤ وفي شرح الأعلم ١٢٤ والمقصورَ لابن ولاد : ١٢ والمنصف ٣ : ٨٤ والمسائل الحلبيات ٤١ وتهذيب اللغة ٩ : ٤٣٠ ، ١١ : ١٩٧ ، ١٤ : ٣٠٧ .

(٣) روى الفراء هذين البيتين في معاني القرآن ١ : ٦٨ عن بعض بني أسد . وذكرهما البغدادي في الخزانة ١ : ٣٦٤ ضمن قصيدة لمعبد بن مسلم الوالبي . وانظر : الخصائص ٢ : ٢٨٢ والمحتسب ٢ : ٢٥٦ والمقرّب ٥١ والإنصاف ٥٧١ وشرح المفصّل ٧ : ١٨ ، ٨ : ٤٣ ، ٩ : ١٥ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤ : ١٤٣ وهمع الهوامع ٢ : ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٥٨ والدرر اللوامع ٢ : ٩٥ ، ١٦١ ، ٢٢١ والبيت الأول ورد في تهذيب اللغة ١٤ : ٦٨ نقلًا عن الفراء .

(٤) البيت في الجمهرة ١ : ٣٣ واللسان : بضض .

(٥) لم أقع على هذا البيت .

(٦) أنشده ابن الأنباري عن أبي العباس ثعلب في كتابه المذكر والمؤنث : ١٨٢ وأنشده الفراء في معاني القرآن ١ : ١٦٤ ولم يعزه وكذلك ابن الشجري في أماليه ١ : ٢٦٧ .

(٧) ديوان الطفيل الغنوي : ٤٩ ق ٣ ب ٣٧ والخذواء : اسم فرسه . وشيطان هو شيطان بن الحكم . وعجز البيت في الحيوان ١ : ١٤٦ وذكر البيت في نسب الخيل ٣٨ وفي الحلبة ٢٢٦ وفي أسماء خيل العرب للغندجاني ٨٥ وفي الفائق ١ : ١٨٠ واللسان : شطن وخذو .

(٨) ورد هذا البيت في قصيدة لعلقمة بن عبدة ، وهي المفضّلية ١١٩ في شرح اختيارات المفضل للتبريزي ٣ : ١١٩ ولم يروه الأنباري في شرحه ولا صاحب الاختيارين ، ووضعه محققا الديوان في صلة الديوان : ١١٨ . ورجح التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٢٦ أنه لعلقمة ... وقيل فيه كلام كثير . انظر كتاب سيبويه ٢ : ٣٧٩ والجمل ٦٠ والمنصف ٢ : ١٠٢ والأمالي الشجرية ٢ : ٢٠ ، ٢٩٢ وشرح شواهد الشافية ٢٨٧ ، ٢٩٠ والصحاح واللسان والتاج : صوب ، ملك . وإصلاح المنطق ٧١ . ونسبه العكبري في المشوف المعلم ٢ : ٧٣٦ إلى لبيد ؟! وانظر أيضًا : تفسير أرجوزة أبي نواس ١٦٠ والاشتقاق ٢٦ وسفر السعادة ٢ : ٩٢١ وشرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام ٣٠ وحاشية على شرح بانت سعاد للبغدادي ١ : ٥٩٣ والزاهر ٢ : ٢٦٧ .

(٩) البيت في اللسان : حبحب غير معزوّ وروايته :

يُذرين جندلَ حائرٍ لجنوبها ... فكأنما تذكي سنابكها الحُبا

(١٠) روي البيت في معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٩٨ وفي المحتسب ٢ : ٢٣٠ وفيه : نحن بذلنا ، وعجز البيت روي في تهذيب اللغة ١٤ : ٤١ ، ٤٢ ، والبيت في اللسان : طيب . ولم تنسبه هذه المصادر إلى أحد .

(١١) ديوان رؤبة ١٧٠ وهو في الأصول لابن السراج ١ : ٢٧٤ وشرح المفصل لابن يعيش : ٣ : ١٣٠ ، ٧ : ٥٧ ، ٨ : ٢٣ ورصف المباني ٢٣٦ واللسان : شهرب . وشرح أبيات المغني ٤ : ٣٤٥ وخزانة الأدب ٤ : ٣٢٨ .

(١٢) البيت للكميت بن زيد . وهو في مجاز القرآن ١ : ٣٩١ والمقتضب ٢ : ٩٣ وجمهرة اللغة ٣ : ٤٨٦ والأضداد لابن الأنباري ١٧٥ والحجة للفارسي ١ : ١١٥ وشروح السقط ٣ : ١٣٠٨ واللسان والتاج : خبا .

(١٣) ديوان امرئ القيس : ٤١ ق ٣ ب ١ ، ٢ .

(١٤) ديوان امرئ القيس : ٥٣ ق ٣ ب ٤٩ وشرح شذور الذهب : ٣٢٥ .

(١٥) ورد هذا البيت غير معزوّ في شروح سقط الزند ٢ : ٨٠٤ وورد في معجم البلدان : « الفتين » نقلًا عن نوادر أبي عمرو الشيباني . وفسّره بأن أم كاسب هي امرأة ، وهِميانه : جباله . وماشَنّ : ما انفرد . وتصحفت كلمة « همِيانه » في معجم البلدان إلى : « هيمانه » بياءٍ قبل الميم .

(١٦) ديوان سلامة بن جندل : ٩١ ق ١ ب ٢ وورد البيت في تهذيب اللغة ١ : ٢٧٨ ، ١٠ : ٣٩ وفي التكملة واللسان والتاج : عقب . وانظر تخريجًا موسعًا لهذا البيت في الديوان : ٢٦٦ .

(١٧) الرجز في تهذيب اللغة ٢ : ٢٦٩ (ربع) ولم يعزه . وقد تعاورته المعجمات وكتب النحو . انظر على سبيل المثال : المسائل الحلبيات ٢٨٨ والمنصف ٣ : ١٣٤ وتفسير أرجوزة أبي نواس ٢٠٩ والمخصص ١٣ : ٢١٦ ، ١١ : ٢٢٠ واللسان والتاج : ربع والإنصاف ٣١٦ .

(١٨) الرجز في المحتسب ٢ : ٢٣١ وفيه : جاؤوا ... أزيرق العين وطوّال . وورد الرجز في « عبث الوليد » بالرواية نفسها التي ورد عليها في رسالة الملائكة .

(١٩) البيت بهذه الرواية في « عبث الوليد » ٣٣٥ . وروايته في ضرائر ابن عصفور :

أعوذ بالله من العقـرابِ الشائلات عُقَدَ الأذنـابِ

وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ١٦٨ واللسان : سبسب والتاج : عقرب .

(٢٠) هذا البيت من قصيدة نسبت في الأصمعيات إلى علباء بن أرقم ، وفي شرح الحماسة للمرزوقي إلى سلمى بن ربيعة . انظر الأصمعيات ١٨٢ ق ٥٦ وشرح الحماسة ٥٤٦ والمسائل المشكلة « البغداديات » ٣١١ ونوادر أبي زيد ١٢٠ ، ١٢١ والخزانة ٣ : ٤٠٧ والأمالي الشجرية ١ : ٤٣ ، ٢ : ٦٩ وشرح المفصل ٩ : ٥ ، ٤١ وقد ذكر محققا الأصمعيات تخريجًا مطولا لهذه القصيدة .

(٢١) الرجز في تهذيب اللغة ١١ : ٢٤٢ وفي اللسان : سفنج ، وشروح السقط ٢ : ٧٩٥ ولم يُعز .

(٢٢) هكذا أورده أبو العلاء على أنه من كلام العرب ، والنحاة يحتجون في هذا الموضع بقول

العجاج : من طللٍ كالأتحميّ أنهجا .

انظر سيبويه ١ : ٢٩٩ وشرح الأبيات المشكلة الإعراب للفارسي ١٨ والخصائص ١ : ١٧١ وسر صناعة الإعراب ٢ : ٥١٤ وشرح أبيات المغني ٦ : ١٦٧ وديوان العجاج ٢ : ١٣ .

(٢٣) ديوان عنترة : ٤٢ والبيت في الخصائص ٣ : ٩٠ والأمالي الشجرية ١ : ٧ .

(٢٤) ورد هذا البيت مفردًا في شعر يزيد بن الطثرية : ٦٥ وذكر محققه أن البيت متنازع بين يزيد وبين مضرّس بن ربعيّ . انظر الخلاف في ذلك في شرح شواهد الشافية ٤٨١ – ٤٨٤ وورد البيت في الصحاح : جزز ، وكذلك في اللسان . وفي تأويل مشكل القرآن ٢٩١ والصاحبي ١٤٠ وسر صناعة الإعراب ١ : ١٨٧ وشرح القصائد السبع ١٦ والممتع ٣٥٧ وشرح الملوكي ٢٢٦ وشرح المفصل ١٠ : ٤٩ ومعاني القرآن للفراء ٣ : ٧٨ .

(٢٥) لم أقع على البيت بهذه الرواية ووجدت في كتاب العين ١ : ٦٠ بيتًا مشابهًا وروايته :

فبات خيال طيفك لي عنيقًا ⠀⠀⠀ إلى أن حيعل الداعي الفلاحا

وبهذه الرواية ورد في اللسان : عنق وفي الفاخر : ٣١ .

(٢٦) البيت لإبراهيم بن هرمة . وهو في شعره المجموع ٩٢ ق ٢٤ ب ١٢ . وقد تعاورت الاستشهاد به كتب اللغة والنحو انظر على سبيل المثال : الصحاح واللسان : نزح . والمسائل الحلبيات ١١٢ وشرح الأبيات المشكلة الإعراب ٢٢ وسر صناعة الإعراب ٢٥ ، ٧١٩ والخصائص ٢ : ٣١٦ و ٣ : ١٢١ والمحتسب ١ : ١٦٦ ، ٣٤٠ والأمالي الشجرية ١ : ١٢٢ ، ٢٢١ ، ٢ : ١٥٨ والإنصاف ٢٥ وشرح شواهد الشافية ٢٥ .

(٢٧) عجز البيت وفيه موضع الشاهد ، ورد غير معزوّ في تهذيب اللغة ١٠ : ٢٤٨ برواية : « لعميد » وفي معاني الفراء ١ : ٤٦٥ : لكميد . وتعاورته كتب النحو : انظر : الإنصاف ٢٠٩ وسر الصناعة ١ : ٣٨٠ وعبث الوليد : ١٠٠ وشرح المفصل ٨ : ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ وخزانة الأدب ٤ : ٣٤٣ وشرح أبيات المغني ٤ : ٣٥٦ .

(٢٨) ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٦٦ ق ٤٦ ب ٢٣ وفيه : حتى كأنّ رياض ... واحتج بهذا البيت الأزهري . انظر تهذيب اللغة ١٠ : ٦٦٦ .

(٢٩) ديوان جرير ١ : ٢٨٨ ق ٤٤ ب ١٠ برواية فيها خلاف . واحتج به النحاة . انظر : الزاهر ١ : ١٣٤ والخصائص ٢ : ١٧٥ و ٣ : ١٤٦ ، ١٤٩ ، ٢١٩ وسر الصناعة ١ : ٧٩ والمنصف ١ : ٣١١ ، ٢ : ٢٠٣ والمحتسب ١ : ٤٧ وشرح أبيات المغني ٨ : ٧٦ وشرح شواهد الشافية ٤٢٩ .

(٣٠) ديوان الصمة ٦٠ ق ١٣ ب ٥ وفيه : دعُوني من .. والبيت في معاني الفراء ٢ : ٩٢ ومجالس ثعلب ١٤٧ ، ٢٦٦ والصحاح : نجد ، واللسان : « نجد ، سنه » وفي المسائل العضديات ١٢٥ وشرح الأبيات المشكلة ١٨٢ وضرائر الشعر ٢٢٠ والأمالي الشجرية ٢ : ٥٣ وشرح المفصل ٥ : ١١ والخزانة ٣ : ٤١١ .

(٣١) شرح أشعار الهذليين ٢ : ٦٧١ وفيه : حسّ الجنوب . وأنشده أبو العلاء في الصاهل والشاحج ٤٧٨ .

(٣٢) ديوان عمر ٤٨٩ ق ٣٦٠ ب ١ وفيه أيضًا ص ٣٩١ ق ٢١٨ ورد :

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا

وانظر أيضًا شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٣٧٢ .

(٣٣) البيت في الحيوان ٣ : ٤٢٥ ، ٤٥٤ وروايته :

تنفي الحصى صُعُدًا شرقي منسمها نفيَ الغراب بأعلى أنفه الغَرَدا

ونسبه الجاحظ لأبي دواد .

وأنشده أيضًا أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات ٨٠ ولم يعزه ، وروايته :

تنفي الحصى صُعُدًا عن حرْف سنبكها نفي الغراب بأعلى أنفه الغَرَدَهْ

وانظر المعاني الكبير ١ : ٢٥٧ وسفر السعادة ١ : ٤٧٠ .

(٣٤) لم أقع على البيت .

(٣٥) ورد البيت على هذه الرواية في المسائل العضديات ٢٧٣ والمنصف ١ : ٦٤ و ٢ : ١٤٨ والمقرب ٨٠ وشرح المفصل ٤ : ١٥١ ، ٥ : ٨٣ ، ٦ : ٥ ، ١٠ : ٥٦ . وورد في تهذيب اللغة ١٤ : ١٣٨ برواية : « قد تمنعانك بينهم أن تهضما » وكذلك في شرح القصائد السبع الطوال ٥٧ . وفي أمالي ابن الشجري ٢ : ٣٥ : أن تقهرا . وانظر الصحاح واللسان : يدي . والخزانة ٣ : ٣٤٧ .

(٣٦) البيت في جمهرة اللغة ٣ : ٤٨٥ وروايته « قد أقسموا لا يمنحونك بيعةً » وفي اللسان (يدي) غير معزو أيضًا ، وروايته : « قد أقسموا لا يمنحونك نفعة » .

(٣٧) الرجز في الجمهرة ٣ : ٤٨٥ وفي تهذيب اللغة ١٤ : ٢٣٨ وفي الصحاح واللسان : يدي وفي شرح المفصل ٤ : ١٥٢ والخزانة ٣ : ٣٥٥ والهمع ١ : ٣٩ والدرر ١ : ١٣ .

(٣٨) ورد هذا الرجز في الزاهر ٢ : ٣١٠ وفي تهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٥ ، ٦٧٣ نقلًا عن الفراء .

(٣٩) البيت من قصيدة رواها الأصمعي في أصمعياته ١٦٨ ق ٥٠ ب ١١ وفيه : « فرخّى من علابيه مدّي » وفي مجالس ثعلب ١ : ١٤٧ : فأرخى من علابيه شدّي .

(٤٠) البيت من قصيدة في الحماسة ، انظر شرح المرزوقي ٢ : ٧٢٩ ، ٧٤٠ . والعُديل بن الفرخ من شعراء عصر بني أمية . وقد ورد البيت في شروح السقط ١ : ١٠٣ وفي اللسان : هرق وانظر « شعراء أمويون » ١ : ٢٩٥ .

(٤١) البيت لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١ : ١٩٠ وفي اللسان : زند وكذلك في التاج ، وفي اللسان أيضًا : علا . وورد عجز البيت في المخصص ١١ : ٢٧ .

(٤٢) هذا البيت تعاورته كتب النحو ، وهو من قصيدة ذكرها البغدادي في الخزانة ٣ : ٥٣٦ ، ٥٣٧ وانظر الفاخر ٢٢٣ . والبيت في : سيبويه ١ : ١٥ ، ٢ : ٥٩ ونوادر أبي زيد ٢٠٣ والجمل ٣٧٣ والمسائل العسكريات ١٧٨ والعضديات ٣٣ والحلبيات ٨٥ وشرح الأبيات المشكلة ٢٣٣ ، ٢٧٩ والخصائص ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، والمحتسب ١/٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ والمنصف ٢ : ٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ وسر الصناعة ٧٨ ، ٦٣١ والأمالي الشجرية ١ : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٥ وشروح السقط ٤ : ١٤٤٩ والفصول والغايات ١٢٤ والإنصاف ٣٠ وشرح المفصل

٨ : ٢٤ ، ١٠ : ١٠٤ ومعاني الفراء ١ : ١٦١ و ٢ : ١٨٨ ، ٢٣٣ وتهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٩ .

(٤٣) البيت في كتاب العين ١ : ٦٠ والفاخر ٣١ وأمالي القالي ٢ : ٢٧٠ وشرح المفصل ٨ : ١١٤ واللسان : (جعل) .

(٤٤) البيت في شعر أبي دواد : ٣٠٥ برواية : وفتوٍ .. وفي السيرة النبوية ١ : ٧٤ وفي شرح الأبيات المشكلة الإعراب ٣٩٨ . وورد عجز البيت في شروح السقط ٣ : ٩٨٢ وورد أيضًا في الإبدال بتمامه ٢ : ٥١٩ وفي اللسان : خشع . وفي معاني الفراء ٣ : ١٠٥ .

(٤٥) روى هذين البيتين ضمن أبيات مع خلاف في رواية بعض الألفاظ ، أبو علي القالي في الأمالي ١ : ٧٨ ونسبها لأيمن بن خريم ، ووردت في عدد من المصادر معزوّة لآخرين . انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ٤٢٠ والحماسة البصرية ٢ : ٧٣ والمخصص ١٧ : ٨ وورد البيت الثاني في الزاهر ٢ : ١٨١ .

(٤٦) البيت من أبيات رواها الجاحظ في الحيوان ٦ : ٣٩ ، ٤٠ لخالد بن الطيفان ، ورواية العجز فيه : أفنى براثنه .. وورد هذا الشطر أيضًا في الحيوان ٥ : ٢٦ وروى الأبيات بتمامها الآمدي في المؤتلف والمختلف ٢٢١ .

(٤٧) ديوان عمر : ٩٣ .

(٤٨) البيت في تهذيب اللغة ١٥ : ٤٤٧ نقلا عن ابن الأعرابي ، ولم يعزه . ورواية العجز : « فلوّأ بالعينين والوجه .. » ونقله اللسان عن التهذيب « لوأ » .

(٤٩) ديوان عمر : ٩٤ وانظر البيت في الإبدال لأبي الطيب ٢ : ٤٥٥ والزاهر ١ : ٣٦٠ وشرح الأبيات المشكلة ٨٣ والمحتسب ١ : ٢٨٤ وشرح أبيات المغني ٣٦٠ و ٣٦٨ وخزانة الأدب ٤ : ٥٥٢ ومعاني الفراء ٢ : ١٩٤ والكامل ٩٨ ، ٣٨٤ ، ١١٥٣ .

(٥٠) ورد هذا البيت غير معزوّ في عدد من المصادر ، انظر شرح القصائد السبع الطوال ١٤١ والزاهر ١ : ١٢٠ والأمثال لأبي عكرمة : ٢٩ .

(٥١) الأبيات لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ والبيت الأخير احتج به الفارسي في المسائل الحلبيات ٣٢٩ ، ٢٤٠ وفي شرح الأبيات المشكلة ٥١٠ ، ٥٤٦ . وانظر سيبويه ١ : ٤٣٨ والأصول لابن السراج ٢ : ١٩٣ و ٣ : ٤٦٢ والمقتضب ٢ : ٧٢ وشرح المفصل ٨ : ١٥٨ وخزانة الأدب ٣ : ٦٤٧ .

(٥٢) ورد البيت في تهذيب اللغة ٩ : ٤٠ نقلًا عن ابن الأنباري وروايته :

يمشي العجيلى من مخافة شدقمٍ — يمشي الدّفقّى والخنيف ويضبر

وورد عجز البيت في التهذيب ١ : ٣٧١ . وانظر اللسان : دفق ، عجل .

(٥٣) ورد البيت في اللسان : « سأر » ولم يعزه .

(٥٤) البيتان في كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ١٠٠ وفيه : وأنشدنا ثعلب لأبي العميثل . وفي أمالي القالي ١ : ٩٨ ذكر البيت الأول ومعه آخر على أنهما لأبي العميثل . وفي كلا المصدرين : « لقيت ابنة السهميّ » وفي التشبيهات : « فكلمتها » بدلاً من قبلتها .

(٥٥) البيت في شرح أشعار الهذليين ١ : ٣٥٨ لأبي جندب . وانظر المحتسب ١ : ٢١٤ والزاهر ١ : ٣٥٩ وشرح المفصل ١٠ : ٨١ وشرح شواهد الشافية ٣٨٣ . واللسان : ضيف .

(٥٦) هذا البيت الذي ذكره المعري ملفق من بيتين لحاتم الطائي ، وردا في أخباره في كتاب الأغاني ١٧ : ٣٧٨ وهما قوله مخاطبًا النعمان :

فككتَ عديًّا كلها من إسارها ... فأفضلْ وشفّعني بقيس بن جحدر

أبـوه أبي والأمهـات آمهاتنـا ... فأنعمْ فدتك اليوم نفسي ومعشري

والبيتان في ديوانه : ٥٧ نقلاً عن الأغاني . وهما في النقائض ٢ : ١٠٨٣ .

(٥٧) البيت في سيبويه ١ : ٣٢٠ والكامل ١١٩٩ وشرح أبيات سيبويه ٢ : ٣١ والسمط ١٤٦ والأمالي الشجرية ١ : ٣٢٥ ، ٢ : ١٥٤ والإنصاف ١١٨ وشرح المفصل ٢ : ٢٤ ، ٤٠ ، ٨ : ١٢٠ وشرح أبيات المغني ٦ : ١٧١ والهمع ١ : ٧٤ ، ٢ : ٧٠ والدرر ١ : ١٥٠ ، ٢ : ٨٦ .

(٥٨) البيت في ديوان عروة : ٥٨ وفي المنصف ٣ : ٢٤ وفي معجم البلدان : « اليستعور » .

(٥٩) البيت في ديوان زهير بشرح ثعلب ٩٥ وفي شرح الأعلم ١١٦ ق ١٠ ب ١٩ .

(٦٠) البيت لعمرو بن الأهتم من قصيدة له في الوحشيات ٤١ ق ٥٤ ب ٥ . وهذا البيت أنشده المعري في الفصول والغايات ١٢٤ وابن عصفور في ضرائر الشعر ٣٧ وأبو حيان في الارتشاف ٣ : ٢٨٢ برقم ١١٥٦ .

(٦١) لم أقع على هذا الشعر .

(٦٢) البيت للكميت بن زيد ، وهو مطلع القصيدة ٣٢٢ في شعره المجموع ١ : ٢٢٣ وفي إصلاح المنطق ٣٠٤ والعضديات ٢٦٤ والمنصف ٢ : ١٤٢ والمشوف المعلم ١ : ٨٧ واللسان : أيا .

(٦٣) الرجز من أرجوزة رواها أبو زيد في نوادره : ٢٣٦ وتعاورت أبياتها كتب اللغة والنحو . انظر على سبيل المثال : إصلاح المنطق ٣٤٠ والمخصص ٦ : ٧٨ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٤٩٣ وشرح المفصل ٥ : ٢٢ والمنصف ١ : ٢٨٩ والزاهر ١ : ١٢٠ واللسان : روح ، كفر .

(٦٤) ديوان أوس بن حجر ٣١ ق ١٤ ب ١٢ والبيت في الصحاح واللسان والتاج « طرق » وفي المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥٣١ وفي الصاهل والشاحج : ٥٠٠ ويروى : ثم إصماتة ... وثم إسكاتة .

(٦٥) البيت في سيبويه ١ : ١٦٠ ونسب في شرح أبيات سيبويه ١ : ١٩٢ إلى أبي الغطريف الهدّادي .

(٦٦) من أبيات لأبي زبيد الطائي يصف الأسد . ورواية البيت في العُباب : « ضبس » :

فثار الزاجرون وزاد منهم ...

والبيت في طبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٠٠ ورسالة الغفران : ٣٦٠ .

(٦٧) البيت ليزيد بن خذاق من قصيدة له في المفضليات ٢٩٧ ق ٧٩ ب ٢ وفي حواشيه تخريج مفصّل لأبيات القصيدة ، ونضيف إليه : تهذيب اللغة ١٤ : ٢٢٧ والصحاح والعباب واللسان والتاج « سدس » .

(٦٨) البيت لأبي زبيد من قصيدة له وردت في الأغاني ١٢ : ١٣٦ وروايته :

فبهرة من لقـوا حسبتهم ... أحلى وأشهى من بارد الدبس

وانظر العباب « دبس » وطبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٠٨ .

(٦٩) شعر الأفوه المنشور في الطرائف الأدبية ١٦ : وي .

(٧٠) ديوان امرئ القيس : ١٨١ق ٣١ ب ١٥ والبيت في معاني الفراء ٢ : ٣٦٩ وتهذيب اللغة ١٠ : ٤٥٨ ولسان العرب « دلص » .

(٧١) شعر أبي دُواد : ٣٢٢ ق ٣٧ ب ٣ وفيه تخريج مستفيض ، نذكر منه : معجم البلدان : زغر واللسان : دلص .

(٧٢) البيت للمتنخل الهذلي ، مالك بن عويمر من قصيدة له في شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٢٦٨ ق ٣ ب ٨ والبيت في سيبويه ٢ : ٥٨ والخصائص ١ : ٣٣٤ ، ٣ : ٦١ والمنصف ٢ : ٦٧ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٣ : ٦٧ورسالة الغفران ٣٦٩ واللسان : عرا ، لوب ، عبط .

(٧٣) لم أقع على هذا البيت .

(٧٤) البيت من قصيدته العينية المشهورة . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٧ ق ١ ب ٧ والرواية فيه : سبقوا هَوِيّ . والبيت في المسائل العسكريات ٨١ والمحتسب ١ : ٧٦ والأمالي الشجرية ١ : ٢٨١ وشرح المفصل ٣ : ٣١ ، ٣٣ والمقرب ٤٦ والهمع ٢ : ٥٣ والدرر ٢ : ٦٨ .

(٧٥) انظر شرح القصائد السبع الطوال ١٦ وسمط اللآلئ ٩٤٣ والمخصص ٢ : ٥ وفي الأغاني ١٢ : ٣٤٣ قصيدة لسويد بن كراع على الروي المذكور ، لكن هذا البيت لم يرد فيها .

(٧٦) البيت للمرار الأسدي . انظر سيبويه ١ : ٩٣ وشرح أبياته ١ : ١٠٦ وفرحة الأديب ٣٧ وشرح المفصل ٣ : ٧٢ ، ٧٤ – والمقرب ٥٣ والخزانة ٢ : ١٩٣ ، ٣٦٤ ، ٣٨٣ والهمع ٢ : ٢٢٢ والدرر ٢ : ١٥٣ .

(٧٧) ورد الرجز في الزاهر ١ : ٤٥٥ وفيه : الناقة المطبعة . وورد في تهذيب اللغة ٢ : ٣٦٨ و ٣ : ٣٦٩ وفي اللسان : جلفع .

(٧٨) ديوان جران العود : ١٦ والبيت في تهذيب اللغة ٣ : ٣٧٢ .

(٧٩) البيت للفرزدق وهو في ديوانه ٥٧٠ وقد تعاورته كتب النحاة . انظر سيبويه ١ : ١٠ والمقتضب ٢ : ٢٥٨ والكامل ١ : ٣٢٩ ، ٢ : ٦٧٦ وشرح الأبيات المشكلة ٢٣٨ ، ٤٨٨ والمسائل الحلبيات ١١٥ والخصائص ٢ : ٣١٥ والمحتسب ١ : ٦٩ ، ٢٥٨ ، ٢ : ٧٢ ورسالة الغفران ٥٦٢ والأمالي الشجرية ١ : ١٤٢ ، ٢٢١ ، ٢ : ٩٣ ، ١٩٧ والإنصاف ٢٧ ، ١٢١ وشرح المفصل ١٠ : ١٠٦ والخزانة ٢ : ٢٥٥ .

(٨٠) البيت في سيبويه ٢ : ٤٠٨ وشرح أبيات سيبويه ٢ : ٤٤١ .

(٨١) شعر أبي دُواد : ٣٢٧ ق ٤٥ ب ٦ نقلاً عن رسالة الملائكة .

(٨٢) البيتان مما أنشده الفراء في معاني القرآن ١ : ٦٧ ونقلا عنه . انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٤ باب العيب في الإعراب . والصاحبي ٣٩ وضرائر الشعر ٧٠ وارتشاف الضرب ٣ : ٢٨٨ برقم ١١٨٣ وفي رواية البيتين خلاف . وانظر أيضًا خزانة الأدب ٤ : ١٦٢ والهمع ١ : ١٤٠ والدرر ١ : ١١٧ .

(٨٣) البيت لتأبط شرًا من قصيدة له في الأغاني ٢١ : ١٣٢ وهو في رسالة الغفران ٣٥٩ .

(٨٤) البيت لذي الخرق الطهوي من قصيدة له في النوادر لأبي زيد ١١٦ ومعاني الفراء ١ : ٦٢ ، ٢ : ١٢٤ والزاهر ٢ : ١٠١ ومجالس ثعلب ١ : ١٥٤ (١٨٥) والإنصاف ٣٧٢ ودلائل الإعجاز ٢٠٩ .

(٨٥) شرح الأبيات المشكلة للفارسي ٢٣٣ ، ٢٣٤ والعسكريات ١٤٩ والعضديات ٣٨ والحلبيات ٨٦ والخصائص ١ : ٣٠٧ والمنصف ٢ : ١١٥ والإنصاف ٢٦ وشرح المفصل ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٦ وشرح شواهد الشافية ٤٠٩ والهمع ٢ : ٥٢ والدرر ١ : ٢٨ .

(٨٦) الإنصاف ١٥ وشرح المفصل ١ : ٢٤ .

(٨٧) سيبويه ١ : ٩ والعسكريات ١٠٦ والخصائص ١ : ٨٩ والأمالي الشجرية ٢ : ٢٠٨ والإنصاف ٦٨٠ وشرح المفصل ٣ : ٩٧ وضرائر الشعر ١٢٦ وارتشاف الضرب ٣ : ٢٩٨ وخزانة الأدب ١ : ٢٢٧ و ٢ : ٣٣٩ و ٣ : ٤٤٣ وشرح شواهد الشافية ٢٩٠ والهمع ١ : ٦١ والدرر ١ : ٣٦ .

(٨٨) سيبويه ١ : ٣٨٨ ، ٢ : ٢٩٩ والمقتضب ٣ : ٧١ وشرح الأبيات المشكلة ١٩ ، ٩٢ ، ٥٣٢ والعضديات ٣٢٣ والحلبيات ٢١٩ والخصائص ٢ : ٩٦ والمحتسب ٢ : ٢١٣ والأمالي الشجرية ٢ : ٧٦ ، ١٠٤ والإنصاف ٢٢٢ وشرح المفصل ٢ : ١٢ ، ٣ : ١١٨ ، ١٢٠ ، ٧ : ١٢٣ ، ٨ : ٨٧ ، ٩ : ٣٣ وارتشاف الضرب ١ : ٤١٠ والخزانة ٢ : ٤٤١ والهمع ١ : ١٣٢ والدرر ١ : ١١٠ وديوان رؤبة ١٨١ .

(٨٩) البيت في اللسان « ختعر » عن ابن السكيت . ولم يعزه . وروايته : أقول وقد نأت ..

(٩٠) ديوان زهير بشرح ثعلب ١٠٣ وبشرح الأعلم ٣١ ق ٢ ب ١٣ والمحتسب ٢ : ٣٠٦ وشرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ٣٨ .

(٩١) ديوان زهير بشرح ثعلب ١٠٣ وبشرح الأعلم ٣١ ق ٢ ب ١٥ والرواية فيهما :

عليها أسود ضاريات لبوسهم ... سوابغ بيضٌ لاتخرقها النبْـلُ

واستشهد المعري به في شرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ٢٩٣ . وانظر الهمع ٢ : ١٨٢ والدرر ٢ : ٢٢٨ .

(٩٢) البيت منسوب لعمر بن أبي ربيعة . ديوانه : ٤٩٨ وانظر أمالي القالي ٢ : ٢٧٠ والزاهر ١ : ١٠٣ وتهذيب اللغة ١٣ : ١٥٥ وإعراب ثلاثين سورة ١١ ودقائق التصريف ٤٤٦ واللسان : بسمل والهمع ٢ : ٨٩ والدرر ٢ : ١١٦ .

(٩٣) ورد البيت في تهذيب اللغة ١٥ : ٢٨٧ واللسان : مرأ .

(٩٤) ديوان طرفة ١٨٧ ق ٦٩ ب ٤ ، ٥ . والبيت الأول ؟ جولُ .. في تهذيب اللغة ٥ : ٣٢٠ ، ٣٣١ و ٧ : ٦٥٢ واللسان : خضرب وحظزب وجول (عجز البيت فقط) وورد عجز البيت الثاني في تهذيب اللغة ١٥ : ٣٦٠ وفي اللسان : نبل .

(٩٥) ديوان الأعشى ٦١ ق ٦ ب ٤٥ والخصائص ٢ : ٢٨٨ .

(٩٦) ديوان الطفيل ٥٥ ق ب ٣ والبيت في سيبويه ١ : ٢٤٠ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٧٩ ، ٢٨٢ وللسجستاني ١٥٢ والمسائل البصريات ٦٦١ والمنصف ٣ : ٨٥ والإنصاف ٧٧٥ وشرح المفصل ١٠ : ١٨ .

(٩٧) ذكر العلّامة عبد السلام هارون أن البيت لكعب بن مالك وأحال إلى ديوانه ٢٥٣ . وورد البيت

في سيرة ابن هشام على أنه مطلع قصيدة لحسان بن ثابت ، وهو في ديوانه ٣٣٢ . وانظر سيبويه ٢ : ١٣٠ واللسان : سأي .

(٩٨) البيت لعمرو بن شأس . انظر سيبويه ١ : ١٠١ وشرح أبياته ١ : ٧٩ والخصائص ٣ : ٢٤٧ والمنصف ٢ : ١٠٣ وورد صدر البيت في شروح السقط ٤ : ١٦٧٢ وانظر شرح أبيات المغني ٦ : ٢٨١ واللسان : ألك . والهمع ٢ : ٥٠ والدرر ٢ : ٦٤ .

(٩٩) البيت أنشده أبو العلاء في شرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ٢٤١ وفيه : نزجي السّوام المطافلا . وذكر في الزاهر ١ : ١٧٣ واللسان : أيا .

(١٠٠) ديوان امرئ القيس ٣٨ ق ٢ ب ٤٩ برواية : شملال . وورد البيت في تهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٦ والزاهر ٢ : ٣١١ والإنصاف ٢٨ واللسان : دفف وشمل . والهمع ٢ : ١٥٦ والدرر ٢ : ١٠٧ .

(١٠١) ديوان امرئ القيس ٩ ق ١ ب ٦ وانظر سيبويه ١ : ٢٤٨ والمقتضب ٣ : ٢٩١ والمنصف ٣ : ٤٠ والزاهر ١ : ٣٠٦ والإبدال لأبي الطيب ١ : ٣٠٨ واللسان : هلل . والخزانة ٤ : ٦١ ، ٣٨٩ وشرح أبيات المغني ٦ : ٦٦ والهمع ٢ : ٧٧ ، ١٤٠ والدرر ٢ : ٩٢ ، ١٩٢ .

(١٠٢) ديوان امرئ القيس ١٠ وفيه : « إذا التفتت نحوي تضوّع ريحها » وفي شرح القصائد السبع ٢٩ : إذا قامتا . وانظر المنصف ٣ : ٢٠ ، ٧٥ والإبدال ٢ : ٤٦٨ والصاهل ٤٨٢ وشرح أبيات المغني ٧ : ٢٩٠ .

(١٠٣) ديوان ذي الرمة ٣ : ١٤٥٨ ق ٥٠ ب ١٣ وانظر أمالي القالي ١ : ١٤٤ والسمط ٣٩٢ والمنصف ٣ : ٩٢ وتهذيب اللغة ٢ : ٣٧٥ ، ٤٠٩ ، ٨ : ٣٦٥ ، ١٥ : ٢١ وشروح السقط ٣ : ١١٧٦ واللسان : ذوب ، صقر ، ربع .

(١٠٤) البيت لشاعر يخاطب جمله كما ذكر المعري في الفصول والغايات ١٥٦ .

(١٠٥) ديوان زهير بشرح ثعلب ٣٠٨ وروايته فيه :

« يأبى لحارث أن تخشى غوائله أب كريم وخالٌ غير مجهول »

ولم يرد البيت في رواية الأعلم للقصيدة .

(١٠٦) البيت للأعلم الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٣١٩ وفيه : « كأنّ ملاءتيّ على هزفّ » والهزفّ والهجفّ واحد . والبيت في اللسان : عنن .

(١٠٧) البيتان للأعلم الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٣١٨ ، ٣١٩ وعجز البيت الثاني « على مافي وعائك » .

(١٠٨) البيتان لأبي صخر الهذلي . شرح أشعار الهذليين ٢ : ٩٦٢ ق ١٣ ب ٥ ، ٦ ورواية صدر البيت الثاني : « بياض الرأس ما لم تأتِ أمرًا » .

(١٠٩) لم أقع على هذا البيت .

(١١٠) الرجز للعجاج ، وهو في ديوانه ١ : ٢٢١ الأرجوزة ١٢ ب ٢٧ والبيت في سيبويه ٢ : ٣٤٥ وشرح الشافية ٢ : ٣٣٧ وشرح شواهدها : ٢٨٥ واللسان : رجل ، مرجل .

(١١١) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٤٥ ق ٦٢ ب ٢٧ . والبيت في الاشتقاق ٣٨١ وجمهرة اللغة ٣ :

١٢٧ والمقاييس ٣ : ١٨٥ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ١٦٤ والصحاح واللسان والتاج : شطن ، عكا .

(١١٢) الرجز لجبار بن جزء أخي الشماخ . ديوان الشماخ ٣٨٩ ق ٢٤ ب ٣ والبيت الثاني في حاشية الصفحة ٣٩٠ وانظر سيبويه ١ : ٩٠ ومجالس ثعلب ١٥٢ ومعاني الفراء ٢ : ٨٠ وتهذيب اللغة ٢ : ٩٥ وشروح السقط ١ : ١٣٠ والأمالي الشجرية ١ : ١٢٥ وشرح المفصل ٢ : ٤٦ ، ٣ : ٢٠ وخزانة الأدب ٢ : ١٧٢ .

(١١٣) الرجز في تهذيب اللغة ٩ : ٤١٦ والخصائص ٣ : ١٢٤ والمحتسب ١ : ٢٥٩ والصاهل والشاحج ٤٧٦ والأمالي الشجرية ٢ : ١٥٨ والإنصاف ٢٤ ، ٧٤٩ واللسان : قرنفل .

(١١٤) نسبه المعري للبيد ، وذكر الدكتور إحسان عباس في شرح ديوان لبيد ٢٠٠ : أن هذا البيت مختلف في نسبته ، فقد نسبه اللسان والتاج في « أيا » للبيد ، وفي « جفر » للنابغة الجعدي ، وجاء في « سعل » غير منسوب . ونسبه الجوهري في « جفر » للجعدي أيضًا ، وفي المخصص ٥ : ٧٥ ورد غير منسوب .

(١١٥) ديوان لبيد ١٩٦ ق ٢٦ ب ٧٧ وتهذيب اللغة ٢ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

(١١٦) ذكره في تهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٦ غير معزوّ ، وروايته :

« لا عهد لي بنيضالِ أصبحتُ كالشنّ البالي »

ومثله في الإنصاف ٢٩ ولكنه قيّد قافيته . وانظر الزاهر ٢ : ٣١٠ واللسان : نضل .

(١١٧) لم أقع على هذا الشعر في موضع آخر .

(١١٨) البيت من قصيدة للوليد بن عقبة بن أبي معيط يحضّ فيها معاوية بن أبي سفيان على قتال علي بن أبي طالب ، والبيت بروايته التي أوردها أبو العلاء تقريبًا في كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي ٦٠ وانظر تاريخ الطبري ٤ : ٥٦٤ والحماسة البصرية ١ : ١١٥ .

(١١٩) الرجز في الزاهر ١ : ١٤٨ والمنصف ١ : ٦٠ والأمالي الشجرية ٢ : ٦٦ والإنصاف ١٦ وشرح المفصل ١ : ٢٤ وورد البيت الأول منه في التهذيب ٩ : ٣٨٥ والثاني في ٩ : ٣٨٥ و ١٣ : ١١٧ ولم يعز . وانظر اللسان : سما .

(١٢٠) ديوان حسان : ٤٣٤ .

(١٢١) البيت في وصف الفرس لأبي دواد . ديوانه ٣٤٣ ق ٦١ ب ٣٤٣ وورد البيت في تهذيب اللغة ٦ : ٣٥٩ و ١١ : ٢١٠ وفي الصحاح واللسان : شوه . وفي شرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ١٢٧ .

(١٢٢) لم أقع على هذا الشعر .

(١٢٣) ديوان حميد بن ثور ٢٤ ق ١ ب ٧٨ و ٧٩ وفي ديوانه تخريج وافٍ لهما . وورد البيت الأول في تهذيب اللغة ٣ : ٤٣١ وورد الثاني في ٢ : ١٠٩ ، ١٦٧ .

(١٢٤) الشعر في نوادر أبي زيد ١٦٦ والمقتضب ١ : ٢٣٠ والمنصف ١ : ٦٠ والأمالي الشجرية ٢ : ٦٦ واللسان : سما .

(١٢٥) البيت للمتلمس من قصيدة له في الأصمعيات ٢٨٦ ق ٩٢ ب ٣ وانظر المقتضب ٢ : ٩٣ والخصائص ١ : ٥٨ و ٢ : ١٨٢ وشرح المفصل ٩ : ١٣٣ .

(١٢٦) البيت من قصيدة له في الحماسة ١ : ١٩٨ وقد تداوله النحاة انظر المسائل العضديات ٢٧٠ والحلبيات ٨ والبصريات ٦٢٦ وجمهرة اللغة ٣ : ٤٨٤ والمنصف ٢ : ١٤٨ والأمالي الشجرية ٢ : ٣٤ ، ١٨٧ وشرح المفصل ٤ : ١٥٣ و ٥ : ٨٤ والخزانة ٣ : ٣٥٢ وشرح شواهد الشافية ١١٤ .

(١٢٧) البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي . انظر نوادر أبي زيد ٥٣ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٧٦ والمسائل الحلبيات ٣٠ والبصريات ٥٧٤ وسر صناعة الإعراب ٢٤٠ وشرح الملوكي ٤١٢ وشرح المفصل ٥ : ٨٤ و ١٠ : ٥٦ واللسان : « زنم » ونسبه في « يدي » إلى الأعشى وليس في ديوانه .

(١٢٨) انظر المقتضب ٢ : ٩٨ والمنصف ١ : ٣٧ و ٢ : ١٨٤ والخصائص ١ : ١٤٤ والمخصص ١٦ : ١٠٨ والإنصاف ١١ ، ٢٣٩ ، ٣٧٥ ، وشرح الملوكي ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ وارتشاف الضرب ١ : ١١٨ والخزانة ١ : ٣٦٨ وشرح شواهد الشافية ٥٨ والصحاح واللسان والتاج « كرم » والهمع ٢ : ٢١٨ والدرر ٢ : ٢٣٩ .

(١٢٩) البيتان من ثلاثة أبيات رواها الزجاجي في مجالس العلماء ٣٢٦ عن ثعلب . وانظر المنصف ٢ : ١٤٨ والعضديات ٢٧٠ والأمالي الشجرية ٢ : ٣٤ والخزانة ٣ : ٣٥٢ واللسان : أطم وبرغز . والهمع ١ : ٣٩ والدرر ١ : ١٣ .

(١٣٠) البيت مطلع قصيدة لمعقل بن خويلد يخاطب بها عبد الله بن عُتيبة ذا المجنّين . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٣٨٣ والمعاني الكبير ٨٥٠ ، ١١٢٧ .

(١٣١) البيت لأبي خراش الهذلي من قصيدة يرثي بها خالد بن زهير . انظر شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٢٢٦ وقد ورد البيت في شروح السقط ١ : ٣٢٤ و ٢ : ٨٧٥ و ٤ : ١٥٧٧ وفي الخزانة ٢ : ٣١٦ و ٣ : ١٨ وفي الخزانة التي نشرها العلامة هارون ٥ : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ و ٦ : ٢٠٨ و ١١ : ٤٧ .

(١٣٢) ديوان العجاج : ٤٤٢ . الأرجوزة ٢٤ ب ١ وانظر كتاب القوافي للأخفش بتحقيق الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ : ٧ وجمهرة اللغة ٢ : ٢٦٦ وشرح الأبيات المشكلة ٧٩ والمسائل العضديات : ٢٧٨ وسر الصناعة ٩٠ والصاهل والشاحج ٥١٧ وشروح السقط ٢ : ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ والموشح ٦ ، ٢٢ ، ٣٤١ والقوافي للتنوخي ١٣٠ والكافي للتبريزي ١٦٤ وضرائر الشعر ٢٢٣ والخصائص ٢ : ١٩٦ ، ٢٩٧ وشرح الشافية ٣ : ٢٠٥ وشرح شواهدها ٤٢٨ والممتع في التصريف ٣٢٤ وشرح المفصل ١٠ : ١٣ .

(١٣٣) ديوان أوس ١٢١ ق ٤٨ ب ٢٤ واللسان : كون . والمعاني الكبير ٧٩٩ ، ١١٧٦ .

(١٣٤) البيت من معلقة زهير . ديوانه بشرح ثعلب ٧ وبشرح الأعلم ٦ ق ١ ب ٥ والمنصف ٣ : ٨٢ والمحتسب ١ : ٩٤ وشرح المفصل ١٠ : ١٠٣ .

(١٣٥) ديوان الفرزدق ٢ : ١٨٦ ط دار صادر . من قصيدة أولها :

ياظميَ ويحكَ إني ذو محافظة   أنمي إلى معشرٍ شمّ الخراطيمِ

وهي في هجاء مرّة بن محكان .

(١٣٦) البيت لأبي محجن . انظر حياته وشعره للأستاذ محمود فاخوري ق ٢٨ ب ٢ . ق ٣٠ ب ١ وانظر

البيت في الأغاني ١٩ : ٢ « عن زراعة فول » والمحتسب ١ : ٨٨ والهمع ١ : ٥٦ والدرر ١ : ١٣٨ وتخريج البيت مفصّل في كتاب الأستاذ الفاخوري المشار إليه .

(١٣٧) كتاب سيبويه ٢ : ٤٠٨ .

(١٣٨) ديوان العجاج ١ : ٤٤٨ ، الأرجوزة ٢٤ ب ٢٣ والرجز في تهذيب اللغة ٦ : ١٤٠ واللسان : بنو .

(١٣٩) ديوان العجاج ١ : ٤٥٣ ، الأرجوزة ٢٤ ب ٤٧ وانظر كتاب سيبويه ١ : ٥٦ وأمالي القالي ٢ : ١٩٩ والمسائل العسكريات ٨٥ والخصائص ٢ : ١٣٥ ، ٤٧٣ والمحتسب ١ : ٧٨ والإنصاف ١٥٩ وشرح المفصل ٦ : ٧٤ ، ٧٥ وتهذيب اللغة ٤ : ١٦ ، ١٥ : ٣٨١ واللسان : حمم . والهمع ١ : ١٨١ و٢ : ١٥٧ والدرر ١ : ١٥٧ ، ٢ : ٢١٨ .

(١٤٠) الرجز بتمامه في التكملة والذيل والصلة للصاغاني : درهم . ولم يعزه . وانظر الصحاح واللسان والتاج : درهم .

(١٤١) البيت لمالك بن خالد الهذلي وينسب للمعطل الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٤٤٧ وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٢٤ والمقتضب ٣ : ٢٠٨ ، ٢٧٨ وتهذيب اللغة ١٠ : ٤٦١ و١٤ : ٢٦٢ و١٥ : ٥٢٩ وشرح الأبيات المشكلة ٢٨ والمسائل الحلبيات ٢١٢ وشرح المفصل ٤ : ٤٠ واللسان : جدد ، مين .

(١٤٢) لم أقع على هذا البيت .

(١٤٣) معاني القرآن للفراء ٢ : ٩٢ وعنه أنشده اللسان « قلا » : « مثل المقالي ضربت قِلِينُها » .

(١٤٤) البيت في نوادر أبي زيد ١٨٤ والمسائل الحلبيات ٨٤ والمحتسب ١ : ١٢٩ وسر الصناعة ٧٧ ، ٦٢٨ وشرح المفصل ٩ : ١١٠ وشرح الملوكي ٣٧٢ واللسان : بجح وشيح ورأي .

(١٤٥) البيت في جمهرة اللغة غير معزو ٣ : ٤٨٦ قال ابن دريد : تقول في الواحد : ابنمٌ ، وابنمان وابنُمُون . وتقول في الخفض : ابنمين .. وأنشد البيت .

(١٤٦) شعر عمرو بن أحمر ١٦١ ق ٥٣ ب ١٩ والبيت في المسائل الحلبيات ١١٦ والخصائص ٣ : ٣١٧ والكامل ٦٤٤ وسمط اللآلئ ٩٥٣ وأساس البلاغة : طرق . واللسان : رضض وطرق .

(١٤٧) ديوان جميل : ٢١٨ نقلا عن رسالة الملائكة . وأنشده ابن جني في سر الصناعة ٢ : ٥٥٤ نقلاً عن أبي الحسن ولم يعزه . وجاء في اللسان (ذا) أن اللحياني أنشده عن الكسائي لجميل . وذكر البغدادي في شرح شواهد الشافية ٤٧٧ أن قائله مجهول . وورد البيت في الصحاح (ها) والممتع ٤٠٠ والمقرب ٢ : ١٧٨ وشرح المفصل ١٠ : ٤٢ ، ٤٣ واللسان : « ها » .

(١٤٨) ديوان جرير ١ : ٣٨٨ ق ٦٦ ب ١٨ والكامل ١٠٧٤ و ١٠٧٥ ومجالس ثعلب ٦٦٥ والأمالي الشجرية ٢ : ٢٧٦ .

(١٤٩) البيت في سيبويه ٢ : ١٢ وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ٣٠ والتكملة للفارسي ١٩٠ وسر الصناعة ٢ : ٦٩٢ والمنصف ١ : ٣٦ و٣ : ٧ وشرح المفصل ٥ : ٦٣ و٩ : ١٤٧ وشرح الملوكي ١٢٩ .

(١٥٠) لم أقع على هذا الرجز .

(١٥١) انظر الرجز في سيبويه ٢ : ١٤٢ . وقد ورد مفرقًا ومجتمعًا في المصادر التالية : تهذيب اللغة ٣ : ١٨٨ و ٥ : ٣٥٧ وشرح الأبيات المشكلة ١٥٧ والصاهل والشاحج ٦١٨ ومعاني الفراء ٣ : ٢٤٧ والمخصص ٧ : ٦١ ، ١٣٧ واللسان : بكر ، يمن ، دهده . وخزانة الأدب ٣ : ٤٠٨ .

(١٥٢) لم أقع على هذا الرجز .

(١٥٣) البيتان من أبيات في شعر الوليد بن يزيد ١٢٨ ق ١٠٢ ب ١، ٢ والأغاني ٧ : ١٧ والصاهل والشاحج ٤٧٧ وضرائر الشعر ٣٦ .

(١٥٤) البيت لصخر بن عمرو من قصيدة له رواها الأصمعي في أصمعياته ق ٤٧ ب ٥ . ورويت القصيدة تامة ومجتزءًا منها في عدد من المصادر . انظر مثلاً الشعر والشعراء : ٢٦٢ في ترجمة الخنساء والأغاني ١٥ : ٧٩ والخزانة ١ : ٢٠٩ .

(١٥٥) ضرائر الشعر : ٩٨ .

(١٥٦) البيت من قصيدة سحيم بن وثيل رواها الأصمعي في أصمعياته ق ١ ب ٦ والبيت في طبقات فحول الشعراء ٧٢ ، ٥٧٩ والمقتضب ٣ : ٣٣٢ و ٤ : ٣٧ وشرح الأبيات المشكلة ١٨٣ والعضديات ١٢٤ وإصلاح المنطق ١٥٦ والكامل ٦٣٤ وسر الصناعة ٦٢٧ والمشوف المعلم ١ : ٢٧٠ وشرح المفصل ٥ : ١١ ، ١٣ والخزانة ٣ : ٤١٤ والهمع ١ : ٤٩ والدرر ١ : ٢٢ واللسان (دري) .

(١٥٧) ديوان الشماخ ٣١٩ ق ١٨ ب ٢٣ وفيه : عرابة الأوسي . وانظر الشعر والشعراء : ٢٣٥ والكامل ١٦٧ ، ٨٢٣ ، ٨٢٥ والعقد ٢ : ٢٨٨ والأغاني ٩ : ١٥٦ والمصون ١٨٠ .

(١٥٨) البيت لعليّ بن بدّال من أبيات ، وقد تعاورت الاستشهاد به كتب اللغة والنحو والأدب . انظر : المقتضب ١ : ٢٣١ و ٢ : ٢٣٨ و ٣ : ١٥٣ ومجالس العلماء ٣٢٨ وتهذيب اللغة ٧ : ٦٢٥ والمنصف ٢ : ١٤٨ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٥٠٣ وجمهرة اللغة ٢ : ٣٠٣ و ٣ : ٤٨٤ والمجتنى ٩٨ والعضديات ٢٧٢ والأمالي الشجرية ٢ : ٣٤ والإنصاف ٣٥٧ وشرح شواهد الشافية ١١٢ والخزانة ٣ : ٣٤٩ والممتع ٦٢٤ وشرح المفضليات ٧٦٢ وشرح المفصل ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ و ٥ : ٨٤ و ٦ : ٥ و ٩ : ٢٤ وشرح الملوكي ٢٨٢ و ٤١٠ و ٤١٤ واللسان : دمي .

(١٥٩) البيت للحارث بن خالد . ورد مفردًا في شعره : ١٠٧ ق ٤٣ نقلاً عن المصادر اللغوية . وانظر البيت في جمهرة اللغة ١ : ١٨١ و ٣ : ٢٨٤ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٥٠٠ والعضديات ٩٧ والمنصف ٣ : ٧٧ والصاهل ٤٩٨ واللسان : « شأي » والمزهر ١ : ٤٧٩ .

(١٦٠) البيت في الضرائر : ٩٨ .

(١٦١) ديوان جرير ٢ : ١٠١٠ ق ٤٩ ب ٢٥ وروايته :

تلقى ضِفنّ مجاشع ذا لحية   وله إذا وُضع الإزار حرانِ

(١٦٢) ديوان لبيد ١٣٨ ق ١٦ ب ١ وانظر تهذيب اللغة ١٥ : ٥٣٤ والعضديات ٢١٧ والعسكريات ١١٦ والخصائص ١ : ٨١ و ٢ : ٤٣٧ والمحتسب ١ : ٨٠ وشرح شواهد الشافية ٣٩٧ والهمع ٢ : ١٥٦ والدرر ٢ : ٢٠٨ .

(١٦٣) أنشده صاحب اللسان : « فرخ » عن ابن الأعرابي .

(١٦٤) لم أقع على هذا الرجز .

(١٦٥) تهذيب اللغة ١ : ٤٠٣ واللسان : شسع .

(١٦٦) الرجز لدهلب بن قريع . انظر تهذيب اللغة ٥ : ١٤٦ ، ٩ : ١٨١ ، ١٩١ وضرورة الشعر للسيرافي ٥٢ والصحاح : وشح والضرائر ٣١ والارتشاف ٣ : ٢٨٠ وما يجوز للشاعر ٢٣٠ واللسان : وشح وقفن والهمع ٢ : ١٥٧ والدرر ٢ : ٢٢٠ .

(١٦٧) لم أقع على هذا الرجز .

(١٦٨) لم أقع على هذا الرجز .

(١٦٩) البيت في معاني القرآن ١ : ٤١٢ و ٣ : ٢١٣ وتهذيب اللغة ٣ : ٢٥٨ والمنصف ٢ : ٢٠٦ والمحتسب ٢ : ٢٦٩ واللسان : عيي ونسبه صاحب التاج « عيي » إلى الحطيئة و لم أعثر عليه في ديوانه . وأنشد ابن عقيل البيت في المساعد ٤ : ٢٦٠ وورد في الهمع ١ : ٥٣ والدرر ١ : ٣١ .

(١٧٠) ديوان العجاج ١ : ٤٨٦ ق ٢٥ ب ١٩ ، ٢٠ وتخريج الأبيات في الديوان ٢ : ٤٠٨ ، ٤٠٩ ونضيف إليه أن البيت ١٩ (حِيّ) في شرح الأبيات المشكلة ٣٥٤ والتهذيب ٥ : ٣٨٥ والبيت ٢٠ (دغفليّ) في التهذيب ٨ : ٢٣٩ .

(١٧١) ديوان العجاج ١ : ٥١٢ ق ٢٥ ب ١١٨ وتخريجه في الديوان ٢ : ٤١٢ ونضيف إليه : التكملة لأبي علي الفارسي ١٦٤ ، ١٦٧ والمخصص ٩ : ٤ ، ١١٦ وشرح المفصل ٥ : ٤٤ و ١٠ : ٣٠ واللسان : سما .

(١٧٢) البيت لمالك بن الريب المازني من قصيدته التي رواها القالي في أماليه ٣ : ١٣٧ والبغدادي في الخزانة ١ : ٣١٧ ومابعدها وفي ج ٢ : ٢٠٣ ط هارون . والبيت الذي أنشده أبو العلاء ورد في شروح السقط ٤ : ٦٨٧ وتهذيب اللغة ٥ : ٢٨١ وسفر السعادة ٢ : ٦٨٧ .

(١٧٣) ديوان سحيم ٢٦ ورواية صدره : « تعاوزْن مسواكي وأبقين مُذهبًا » .

(١٧٤) ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٠٦ ق ٤٣ ب ١٧ والبيت في الزاهر ١ : ٣٠٥ وتهذيب اللغة ١٤ : ٤٤٥ وشرح المفضليات ١٥٩ والاشتقاق ٢٥ والصحاح والتاج : لوى واللسان أيضًا والمخصص ١٤ : ٨٦ وشرح المفصل ٤ : ٣٦ و ٦ : ٤٥ .

(١٧٥) نسب المعري إنشاده إلى الفراء .

(١٧٦) البيت من قصيدةلعبد يغوث بن وقاص الحارثي رواها المفضل في المفضليات ١٥٥ ق ٣٠ ب ١٢ وانظر البيت في الجمل ٢٥٧ وأمالي القالي ٣ : ١٣٢ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٨٣ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٥٤٦ والمسائل العسكريات ١٤٩ والحلبيات ٨٤ والمحتسب ١ : ٦٩ وسر الصناعة ١ : ٧٦ والزاهر ٢ : ٣١٧ وشرح المفصل ٥ : ٩٧ و ٩ : ١١١ و ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٧ .

(١٧٧) لم أقع على البيت .

(١٧٨) ديوان جرير « بشرح الصاوي » : ٦٠٦ وهو من قصيدته التي أولها :

ألا حيّ رهبى ثم حيّ المطاليا فقد كان مأنوسًا فأصبح خاليا

وقد أخلّ بالبيت ديوانه المطبوع بشرح محمد بن حبيب .

(١٧٩) البيت للراعي النميري . ديوانه ٢٩١ ق ٧٣ ب ١٧ والبيت في عبث الوليد للمعري ٢٥ وتهذيب اللغة ١٥ : ٦٥٢ واللسان والتاج (وأى) وكذلك الصحاح . وفي المعاني الكبير ١ : ٣٧٠ وفي المخصص ٥ : ٥٣ و ٧ : ٥٧ .

(١٨٠) الأبيات للمنخّل اليشكري ، بعث بها إلى ابنيه قُبيل موته ، وهي في الأغاني ٢١ : ٥ مع خلاف في رواية بعض الألفاظ . وانظر المسائل البصريات ٨٤٩ والعسكريات ٢٦ وسر الصناعة ٢ : ٧٠١ والخصائص ١ : ١٧٧ والمحتسب ١ : ٧٦ وشرح المفصل ٣ : ٣٣ والزاهر ١ : ٣٩٠ ومعاني الفراء ٢ : ٣٩ ورسالة الهناء ٩٢ وشعر أبي دواد ٣٥١ ق ٦٩ ب ٣ واللسان : عكب وحرر وسفر السعادة ١ : ٣٢٦ .

(١٨١) موضع الشاهد في البيت الأول (لا هيثم) انظر سيبويه ١ : ٣٥٤ والمقتضب ٤ : ٣٦٢ والمسائل المنثورة ٩٧ والحلبيات ٢٠٤ و ٣١١ والأمالي الشجرية ١ : ٢٣٩ وشرح المفصل ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ و ٤ : ١٢٣ والارتشاف ٢ : ١٧٠ والخزانة ٢ : ٩٨ والهمع ١ : ١٤٥ والدرر ١ : ١٢٤ .

(١٨٢) لم أقع على الرجز .

المراجع

- الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي ، تح عز الدين التنوخي . المجمع العلمي بدمشق ١٩٦٠ .
- أبو محجن الثقفي « حياته وشعره » ، محمود فاخوري . جامعة حلب ١٩٨٢ .
- إتحاف فضلاء البشر ، لأحمد بن محمد الدمياطي . المطبعة العامرة بمصر ١٢٨٥هـ .
- ارتشاف الضرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تح د . مصطفى أحمد النماس . القاهرة ١٩٨٩ .
- أسماء خيل العرب ، للأسود الغندجاني ، تح د. محمد علي سلطاني . مؤسسة الرسالة بدمشق ١٩٨١ .
- الاشتقاق ، لابن دريد ، تح عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٨ .
- إصلاح المنطق ، لابن السكيت . تح عبد السلام هارون وأحمد شاكر . دار المعارف بمصر .
- الأصمعيات ، للأصمعي ، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .
- الأصول في النحو ، لأبي بكر بن السراج ، تح عبد الحسين الفتلي . بيروت ١٩٨٥ .
- الأضداد لابن الأنباري ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم . الكويت ١٩٦٠ .
- الأضداد لأبي الطيب اللغوي ، تح د. عزة حسن . مجمع اللغة بدمشق ١٩٦٣ .
- إعراب ثلاثين سورة ، لابن خالويه . دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ .
- الأمالي ، لأبي علي القالي . دار الكتب المصرية .
- الأمالي الشجرية . طبعة الهند ١٣٤٩هـ .
- الأمثال ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تح د. عبد المجيد قطامش . جامعة الملك عبد العزيز ١٩٨٠م .
- الأمثال . لأبي عكرمة الضبي ، تح د. رمضان عبد التواب . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٤ .
- الأمثال ، لأبي فيد السدوسي ، تح د. رمضان عبد التواب . الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف ، لكمال الدين ابن الأنباري ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد . مصر ١٩٦١ .
- أنوار التنزيل = تفسير البيضاوي .
- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي . ط . الرياض .
- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تح السيد أحمد صقر . القاهرة ١٩٧٣ .
- تاج العروس ، للمرتضى الزبيدى . ط . الكويت .
- التبصرة في القراءات ، لمكي بن أبي طالب . معهد المخطوطات – الكويت ١٩٨٥ .
- التشبيهات ، لابن أبي عون ، عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان . ط . كمبردج ١٩٥٠ .
- تفسير أرجوزة أبي نواس ، لابن جني ، تح الشيخ محمد بهجة الأثري . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٩ .
- تفسير البيضاوي . مكتبة الجمهورية المصرية بلا تاريخ .

- تفسير الرازي . (المطبعة البهية بمصر) .
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : دار الكتب المصرية .
- التكملة . لأبي علي الفارسي ، تح د. حسن شاذلي فرهود . الرياض ١٩٨١ .
- التكملة والذيل والصلة ، للصاغاني .
- تلخيص العبارات بلطيف الإشارات ، لابن بليمة ، تح سبيع حمزة حاكمي . مكة ١٩٨٨ .
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري .
- التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ، تح أوتو برتزل . إستانبول ١٩٣٠ .
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي .
- جمهرة اللغة ، لابن دريد . دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد .
- حاشية على شرح بانت سعاد ، لعبد القادر البغدادي ، تح نظيف محرم خواجة . فيسبادن ١٩٨٠ .
- الحجة في القراءات ، لابن خالويه ، تح عبد العال سالم مكرم. بيروت ١٩٧١ .
- الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تح بدر الدين قهوجي ورفاقه . دمشق ١٩٨٤ .
- الحلبة في أسماء الخيل للصاحبي التاجي ، تح د. حاتم صالح الضامن . مجلة المجمع العراقي مجلد ٣٤ .
- الحماسة البصرية ، تح د. مختار الدين أحمد . الهند ١٩٦٤ .
- الحيوان ، للجاحظ ، تح عبد السلام هارون . ط البابي الحلبي ١٩٤٥ .
- خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادي . ط بولاق .
- الخصائص ، لابن جني ، تح محمد علي النجار . دار الكتب المصرية . القاهرة .
- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ، لحمزة الأصفهاني ، تح د. عبد المجيد قطامش . دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .
- الدرر اللوامع للشنقيطي . دار المعرفة – بيروت .
- ديوان الأعشى الكبير ، تح د. محمد محمد حسين . دار الآداب بالجماميز .
- ديوان امرئ القيس ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ .
- ديوان أوس بن حجر . تح د. محمد يوسف نجم . دار صادر – بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تح د. نعمان محمد أمين طه . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- ديوان حاتم الطائي ، دار صادر – بيروت .
- ديوان الحطيئة ، تح د. نعمان أمين طه . البابي الحلبي – القاهرة ١٩٥٨ .
- ديوان حميد بن ثور . تح عبد العزيز الميمني . الدار القومية – القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان ذي الرمة ، تح د. عبد القدوس أبو صالح . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٢ .
- ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب) ، تح وليم بن الورد . دار الآفاق – بيروت ١٩٧٩ .

- ديوان سلامة بن جندل ، تح د.فخر الدين قباوة . حلب ١٩٦٨ .
- ديوان الصمة ، تح د. عبد العزيز محمد الفيصل . النادي الأدبي بالرياض ١٩٨١ .
- ديوان الطفيل الغنوي ، تح محمد عبد القادر أحمد . دار الكتاب الجديد ١٩٦٨ .
- ديوان العجاج ، تح د. عبد الحفيظ السطلي . دمشق ١٩٧٩ .
- ديوان عروة بن الورد ، تح عبد المعين الملوحي . وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٦ .
- ديوان علقمة الفحل ، تح لطفي الصقال ودرية الخطيب . حلب ١٩٦٩ .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان عنترة ، تح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي . المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري ، تح عائشة عبد الرحمن = بنت الشاطئ . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- رسالة الهناء ، لأبي العلاء المعري ، تح كامل كيلاني . بيروت ١٩٧٩ .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد عبد النور المالقي ، تح أحمد محمد الخراط . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٥ .
- الزاهر ، لأبي بكر الأنباري ، تح د. حاتم صالح الضامن . بغداد ١٩٧٩ .
- السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، تح . د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
- سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تح د. حسن هنداوي . دار القلم - دمشق .
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، لعلم الدين السخاوي ، تح محمد أحمد الدالي . مجمع اللغة بدمشق ١٩٨٣ .
- سيبويه . (كتاب سيبويه) ، ط بولاق ١٣١٧هـ .
- شرح الأبيات المشكلة الإعراب ، لأبي علي الفارسي ، تح د. حسن هنداوي . دار القلم - دمشق ١٩٨٧ .
- شرح أبيات مغني اللبيب ، لعبد القادر البغدادي ، تح عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق . دار المأمون بدمشق ١٩٨١ .
- شرح اختيارات المفضل ، للخطيب التبريزي ، تح د. فخر الدين قباوة . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٢ .
- شرح أشعار الهذليين ، للسكري ، تح عبد الستار أحمد فراج . دار العروبة - القاهرة .
- شرح حماسة أبي تمام ، للمرزوقي ، تح أحمد أمين وعبد السلام هارون . مصر ١٩٦٧ .
- شرح ديوان ابن أبي حصينة ، لأبي العلاء المعري ، تح د. محمد أسعد طلس . المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٧ .
- شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد .
- شرح شواهد الشافية ، لعبد القادر البغدادي ، تح محمد نور الحسن ورفاقه . القاهرة .
- شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنباري . تح عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٦٣
- شرح قصيدة بانت سعاد ، لابن هشام . المطبعة العامرة ١٢٩٠هـ .
- شرح المفصل ، لابن يعيش . دار الطباعة المنيرية بمصر .

– شرح المفضليات ، لأبي محمد الأنباري ، تح ك ي لايل . بيروت ١٩٢٠ .
– شروح سقط الزند ، للتبريزي والبطليوسي والخوارزمي . الدار القومية – القاهرة ١٩٦٤ .
– شعر إبراهيم بن هرمة ، تح محمد نفاع ، وحسين عطوان . مجمع اللغة بدمشق ١٩٦٩ .
– شعر زهير بن أبي سلمى ، صنعة الأعلم ، تح د. فخر الدين قباوة . حلب ١٩٧٠ .
– شعر الكميت بن زيد ، جمع وتقديم د. داود سلوم . بغداد ١٩٦٩ .
– شعر يزيد بن الطثرية ، صنعة د. حاتم صالح الضامن . دار التربية – بغداد ١٩٧٣ .
– الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس ، تح السيد أحمد صقر . البابي الحلبي ١٩٧٧ – القاهرة .
– الصاهل والشاحج ، لأبي العلاء المعري ؛ تح بنت الشاطئ . دار المعارف بمصر .
– ضرائر الشعر ، لابن عصفور ، تح السيد إبراهيم محمد . دار الأندلس ١٩٨٠ .
– طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، تح محمود محمد شاكر . القاهرة ١٩٧٤ .
– الطرائف الأدبية ، لعبد العزيز الميمني . دار الكتب العلمية – ببيروت .
– العباب الزاخر واللباب الفاخر ، للصاغاني ، تح الشيخ محمد الحسن آل ياسين . بغداد ١٩٨٧ .
– عبث الوليد ، للمعري ، تح ناديا علي الدولة . الشركة المتحدة للتوزيع .
– العين ، للخليل بن أحمد ، تح د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي . بغداد .
– الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة .
– الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، تح عبد العليم الطحاوي . القاهرة ١٩٦٠ .
– فصل المقال في شرح الأمثال ، لأبي عبيد البكري ، تح د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين . بيروت ١٩٧١ .
– الفصول والغايات ، للمعري ، عني به محمود حسن زناتي . القاهرة ١٩٣٨ .
– فهارس كتاب الأصول في النحو ، د. محمود محمد الطناحي . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٨٦ .
– فهارس كتاب سيبويه ، محمد عبد الخالق عضيمة . مصر ١٩٧٥ .
– فهارس معجم تهذيب اللغة ، عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٦ .
– القوافي ، للأخفش « سعيد بن مسعدة » ، تح أحمد راتب النفاخ . بيروت ١٩٧٤ .
– الكشاف عن غوامض التنزيل ، للزمخشري . القاهرة ١٩٥٣ .
– لسان العرب ، لابن منظور . دار صادر – بيروت .
– مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، تح فؤاد سزكين . دار الفكر ١٩٨١ .
– مجمع الأمثال ، للميداني ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد . مصر ١٩٥٩ .
– المحتسب ، لابن جني ، تح علي النجدي ناصف ورفاقه . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٦هـ .

– مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ، تح ج. برجستراسر . مصر ١٩٣٤ .
– المخصص ، لابن سيده الأندلسي . دار الفكر – بيروت ١٩٧٨ .
– المذكر والمؤنث ، لابن الأنباري ، تح د. طارق الجنابي . بغداد ١٩٧٨ .
– المسائل البصريات للفارسي ، تح د. محمد الشاطر . القاهرة ١٩٨٥ .
– المسائل الحلبيات ، تح د. حسن هنداوي . دمشق ١٩٨٧ .
– المسائل العسكريات ، للفارسي ، تح إسماعيل أحمد عمايرة – الجامعة الأردنية ١٩٨١ .
– المسائل العضديات ، للفارسي ، تح شيخ الراشد . دمشق ١٩٨٦ .
– المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات . للفارسي ، تح صلاح الدين السنكاوي . بغداد ١٩٨٣ .
– المستقصى في الأمثال ، للزمخشري . بيروت ١٩٧٧ .
– المشوف المعلم ، لأبي البقاء العكبري، تح ياسين محمد السواس . جامعة أم القرى ١٩٨٣ .
– معاني القرآن ، للفراء ، تح أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار . دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٥ .
– معجم البلدان ، لياقوت . دار صادر – بيروت ١٩٧٧ .
– معجم شواهد العربية ، عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٧٢ .
– معجم القراءات القرآنية ، د. عبد العال سالم مكرم و د. أحمد مختار عمر ، جامعة الكويت ١٩٨٢ – ١٩٨٥ .
– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي . مصر . كتاب الشعب .
– المقتضب ، للمبرد ، تح محمد عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .
– المقرّب ، لابن عصفور ، تح أحمد عبد الستار الجواري . بغداد .
– المقصور والممدود ، للفراء . تح عبد الإله نبهان ومحمد خير البقاعي . دار قتيبة – دمشق ١٩٨٣ .
– المقصور والممدود ، لابن ولاد النحوي ، ط أمين الخانجي . القاهرة .
– الممتع في التصريف ، لابن عصفور ، تح د. فخر الدين قباوة . حلب ١٩٧٠ .
– المنصف شرح تصريف المازني ، لابن جني ، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين . القاهرة ١٩٥٤ .
– الموشح ، للمرزباني ، تح علي محمد البجاوي . مصر ١٩٦٥ .
– النبات ، لأبي حنيفة الدينوري ، تح برنهارد لڤين . ڤيسبادن ١٩٧٤ .
– نسب الخيل في الجاهلية والإسلام ، لابن الكلبي ، تح نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن . بغداد ١٩٨٥ .
– النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، تح محمد أحمد دهمان . دمشق ١٣٤٥ .
– النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير . مصر ١٣٢٢هـ .
– النوادر ، لأبي زيد الأنصاري . بيروت ١٨٩٤م .
– همع الهوامع ، لجلال الدين السيوطي . دار المعرفة ببيروت .
– الوحشيات « الحماسة الصغرى » ، لأبي تمام ، تح عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
– الوسيط في الأمثال . « منسوب للواحدي » ، تح د. عفيف عبد الرحمن . الكويت ١٩٧٧ .

الفوائد المشوق هو مقدمة تفسير ابن النقيب !

د. زكريا سعيد علي*

« الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » لابن قيم الجوزية .. هكذا وردت النسبة في المطبوعة التي صدرت منذ ثمانين سنة عن مطبعة السعادة في مصر والآستانة ..

من أين جاءت هذه النسبة ؟!

كل الشواهد تؤكد أنه ليس لابن قيم الجوزية ، فالأسلوب ليس أسلوبه وكتب القدماء لم تنص على أن لابن قيم الجوزية كتابًا بهذا الاسم . بدأ الشكَّ بكر عبد الله أبو زيد ..

وجاء د.زكريا سعيد علي صاحب هذا البحث – لينظر في الكتاب : سندًا وتوثيقًا ، ومتنًا نظراتٍ مدقِّقة محققة . ويصل إلى نتائج طيبة ، وأقوال قاطعة .

---

* مدرس بقسم البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة . حصل على الدكتوراه عام ١٩٩٢م عن رسالة بعنوان « بلاغة القرآن عند المفسرين حتى نهاية القرن السادس الهجري » . له قيد الطبع : تحقيق الجزء الأول من البحر المحيط ، وشرح مقدمة ابن النقيب في علم البيان .

قال بعض النقاد : « إن الأسلوب هو الرجل نفسه » . وإذا كان الأمر كذلك فليس من الممكن أن تتحد الشخصية ويختلف الأسلوب ، ولا أن يعرف الرجل الواحد بأسلوبين مختلفين في وقت معًا ... ومن المشهور أيضا أننا إذا عرفنا لرجل أسلوبا معينا استطعنا الاستدلال بالأسلوب على الرجل »[1] .

من هنا بدأ شكي في نسبة الكتاب الموسوم بـ «الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان» إلى الإمام ابن قيّم الجوزية وقد وجدت قبلي من شك في نسبة هذا الكتاب إليه معتمدًا على هذا التباين الأسلوبي بين أسلوب الكتاب وبين أسلوب الشيخ ابن القيم، وهو الأستاذ بكر عبد الله أبو زيد في كتابه « ابن قيم الجوزية حياته وآثاره » ، يقول : وهذا الكتاب لم أر من نسبه إلى ابن القيم قبل طبعه[2] . وفي النفس من نسبة هذا الكتاب لابن القيم شيء لذلك ولمغايرة أسلوب الكتاب ومنهجه للطريقة المعهودة من ابن القيم – رحمه الله تعالى – في عامة مؤلفاته من التحقيق والحيوية وأساليب الترجيح والحفاوة بالسنّة ونصوص السلف ، فالكتاب خلو من ذلك ، فكله مبنّي على دقائق التفريع والأنواع والتقاسيم للحقيقة والمجاز بأسلوب لايتواطأ مع أساليب ابن القيم المعهودة من منهجه التأليفي ... »[3] .

وعندما هدأت نفسي من اضطراب الشك شغلني سؤال : كيف أتحول من هذا الشك إلى طريق علمي مؤسس على البرهان وقواعد العلم أصل به إلى نفي نسبة الكتاب عن ابن القيم ، حتى إذا تحقق ذلك انتقلت إلى السؤال : فلمن إذن يكون هذا الكتاب ، وما الدافع وراء هذه النسبة إلى ابن القيم ؛ أعن تبييت قصد أم جاء سهوًا وغفلة ، أم هو تحريف في عنوان الأصل المخطوط الذي خرجت عنه مطبوعتنا ؟

---

(١) د. تمام حسان : الأصول ص ٧٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ .

(٢) الكتاب صدرت طبعته الأولى منذ ثمانين سنة تقريبًا وبالتحديد عام (١٣٢٧هـ) بمطبعة السعادة على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر والآستانة . وعُني بتصحيحها محمد بدر الدين النعساني . وكل ماطبع بعد ذلك فهو مصور من هذه الطبعة أو مأخوذ عنها .

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد : ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ص ١٨٤ – مكتبة المعارف – الرياض – السعودية ١٤٠هـ .

وللإجابة على السؤال لم يكن بد من انتهاج طريقين : طريق الرواية ، أي التوثيق والإسناد ، وطريق الدراية أي نقد المتن .

اتجهت إلى تحقيق الجانب الأول ، وهو جانب الرواية الذي يهتم بالتوثيق والإسناد . وعلماؤنا الأوائل - رحمهم الله - لم يقصّروا في هذا الجانب ، فنجد أنهم اهتموا بأمر توثيق نسبة الكتب إلى أصحابها ، والنص على اسم الكتاب وصاحبه وموضوعه . وربما نقلوا أوله ومنتهاه أو بعضه . نجد شيئًا من ذلك عند الحاج خليفة في كشف الظنون ، وطاشكبري زاده في مفتاح دار السعادة ، وإسماعيل باشا في هداية العارفين ، وغيرهم .

وقصدت إلى كتب التراجم والطبقات لمطالعة ترجمة ابن القيم ومصنفاته العلمية . وبعد أن سرت في هذا الطريق وقعت على ماصنعه الأستاذ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه « ابن قيم الجوزية حياته وآثاره » من حصر لمؤلفات ابن القيم وتوثيق نسبتها من كتب القدماء والمحدثين ممّن تعرض للترجمة لابن القيم ، وقد أتى الباحث في ذلك بجهد جليل القدر وَفّربه على أمثالي من الباحثين كثيرًا من الجهد والوقت .

وممن تعرض لذكر مؤلفات ابن القيم تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى ٧٦٣هـ في كتابه الوافي بالوفيات ، وتلميذه ابن رجب الحنبلي ، المتوفى ٧٩٥ في الذيل على طبقات الحنابلة وابن حجر العسقلاني المتوفي ٨٥٢ في الدرر الكامنة ، وابن تغري بردي (ت ٨٧٤) في « المنهل الصافي » والسيوطي (ت ٩١١) في بغية الوعاة ، والداودي (ت ٩٤٥) في « طبقات المفسرين » ، وابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) في شذرات الذهب ، والحاج خليفة (ت ١٠٦٧) في كشف الظنون وإسماعيل باشا البغدادي في هداية العارفين .

وكلهم لم يذكُر كتابًا لابن القيم بعنوان « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » وأمر كهذا يوجه الطّعنة القاضية إلى توثيق نسبة الكتاب إلى ابن القيم ، فهل يعقل أو يتصور أن يغيب عن علماء الأمة لمدة سبعة قرون

تقريبًا كتاب لابن القيم ولا يكتشف إلا في أيامنا هذه ؟ وألّا توجد أدنى إشارة له بين إشاراتهم إلى كتبه ؟!

قضية المجاز :

هذا عن النقل والتوثيق أما الجانب الثاني وهو نقد المتن أو جانب « الدراية » فدراسة الكتاب تقطع باستحالة نسبته لابن القيم للآتي :

ا – موقف ابن القيم من قضية المجاز مشهور ، فهو يصفه بأنه « طاغوت » ، ويخصص فصلًا من كتابه « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » بعنوان : « في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز »[1] .

ويقول عنه : (هذا الطاغوت لهج به المتأخرون ، والتجأ إليه المعطلون ، وجعلوه جنة يتترسون بها من سهام الراشقين ويصدون عن حقائق الوحي المبين)[2] .

فابن القيم يرى أن المجاز كان سببًا في دخول التحريف على العقيدة الإسلامية الصافية النقية ، وأن مادخل من إخراج معاني الآيات وأسماء الله وصفاته عن حقائقها وما وقعت فيه الأمة من اختلاف كان بسبب هذا المجاز .

وبعد أن يقرر ابن القيم في كتابه أن قسمة الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيمًا عقليًا يذكر أنه ليس تقسيمًا شرعيًا ولا لغويًا أيضا ، يقول : « والشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دلّ عليه ، ولا أشار إليه ، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز ولا قال أحد من العرب قط : هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ولا وجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك . ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأمثالهم ، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الأئمة الأربعة . وهذا الشافعي وكثرة مباحثه

(١) الموصلي : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ٢٨٤ ، ط الثانية – تصحيح زكريا علي يوسف – القاهرة ١٤٠٠هـ .

(٢) المصدر السابق : ٢٨٤ .

مع محمد بن الحسن وغيره لا يوجد فيها ذكر المجاز ألبتة . وهذه رسالته التي هي كأصول الفقه لم ينطق فيها بالمجاز في موضع واحد . وكلام الأئمة مدوّن بحروفه لم يحفظ عن أحد منهم تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز .

بل أول من عرف عنه في الإسلام أنه نطق بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه صنف في تفسير القرآن كتابا مختصرًا سماه « مجاز القرآن » وليس مراده به تقسيم[1] الحقيقة ، فإنه تفسير لألفاظه بما هي موضوعة له ، وإنما عنى بالمجاز ما يعبر به عن اللفظ ويفسر به كما يسمّى غيره كتابه معاني القرآن أي ما يعنى بألفاظه ويراد بها ، كما يسمي ابن جرير الطبري وغيره ذلك تأويلاً »[2] .

ثم يقول بعد ذلك ناصًا على أن هذا المصطلح « المجاز » حادث بعد المائة الثالثة وكان من جهة الجهمية والمعتزلة : (وإذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيمًا شرعيًا ولا عقليًا ولا لغويًا فهو اصطلاح محض ، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين)[3] .

ثم اتجه ابن القيم بعد ذلك إلى إبطال هذه القسمة إلى حقيقة ومجاز في حوالي ثماني صفحات بكلام إجمالي[4] ، ثم خصص بعد ذلك فصلاً فيما ادعوا فيه المجاز من كلام الله وكلام رسول الله ﷺ ، ورد ذلك على وجه التفصيل في حوالي أربع وأربعين صفحة ومائة[5] .

ثم ينتهي بعد ذلك إلى أنه ليس هناك جدوى ولا طائل - مع كل ماساقه من أضرار - لهذه القسمة إلى حقيقة ومجاز ، يقول :

---

(١) كذا بالمطبوعة . ولعلها : قسيم .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٨٥ .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٨٧ .

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة من ٢٨٤ - ٣٦٤ .

(٥) من صفحة ٣٦٥ - ٥٠٩ .

(فالذين قسّموا الكلام إلى حقيقة ومجاز إن أرادوا بذلك التقسيم الذهني لم يفدهم ذلك شيئاً وإن أرادوا التقسيم الخارجي لم يكن معهم دليل يدل على وجود الجميع في الخارج سوى مجرد التقسيم وهو لا يفيد الثبوت الخارجي . فحينئذ لا يتم لهم مطلوبهم حتى يثبتوا أن هاهنا ألفاظا وضعت لمعان حتى تقلب عنها بوضع ثان على معان أخر غيرها وهذا مما لا سبيل إلى العلم به)[١] .

هذه نصوص ابن القيم التي تكشف عن موقفه الصريح من المجاز ، والتي تدفع أن يكون كتاب « الفوائد المشوق » منسوبًا إليه ؛ فمصنّف « الفوائد » هذا جعل فاتحته حديثًا عن الحقيقة والمجاز وأقسامها وأنواع المجاز وأسهب في ذلك حتى وصل بالمجاز إلى أربعة وعشرين قسمًا ، تحت كل قسم أقسام عديدة ، واستغرق في ذلك ما يقرب من الثمانين صفحة من المطبوعة التي بأيدينا[٢] .

الرازي والزمخشري :

(ب) صاحب « الفوائد المشوق .. » عندما يذكر الزمخشري يتبعه : (رحمه الله)[٣] – ولا يمكن أن يكون هذا المترحم على الزمخشري ابن القيم الذي يرى أن المعتزلة من أهل البدعة والضلالة في العقيدة ، وكتبه مشحونة بالرد عليهم وتفنيد مذهبهم ، والزمخشري عنده رأس من رؤوس هؤلاء ؛ فلا يمكن بحال لهذا الإمام السلفي أن يأتي بعد ذكر لواحد مثله بصيغة الترحم .

ومثل هذا عندما ذكر فخر الدين الرازي حيث نجده يقول : « وقال الإمام فخر الدين رحمه الله ... »[٤] . وفي كل المواضع التي ورد ذكر الرازي فيها لا نجده يذكره باسمه مجردا ، بل يسبقه بلفظ الإمام وفي هذا ما فيه من إجلال – للرازي . وهذا غريب على أسلوب ابن القيم الحنبلي المذهب ، إزاء الرازي الأشعري ، الشافعي .

---

(١) مختصر الصواعق ص ٢٩٠ .

(٢) من صفحة (٩) إلى (٨٧) .

(٣) الفوائد المشوق : ١٠٦ .

(٤) الفوائد المشوق ٤٤ ، ١٤٧ .

ومثل ذلك عند ذكره للعز بن عبد السلام حيث يصفه بـ « الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام »[1] وغاية مايمكن أن نجده في حديث ابن القيم عن ابن عبد السلام أن يقول مثلا : « الشيخ أبو محمد بن عبد السلام »[2] .

أبو العلاء المعري :

(جـ) وصاحب « الفوائد » يطلق لقب « الشيخ » على أبي العلاء المعري[3] وهذا يحمل الإكبار له في نفس المصنف .

وابن القيم يستحيل أن يطلق على المعري : « الشيخ » كيف والمعري عنده : « أعمى البصر والبصيرة ، كلب معرة النعمان ، المكنى بأبي العلاء المعري »[4] .

هذه عبارة ابن القيم في وصف أبي العلاء ، ويظهر منها استكثاره على المعري حتى أن ينطق بكنيته أبي العلاء ، – والكنية فيها بعض مظنة التبجيل ، ولا أظن ابن القيم قد تدنى في أسلوبه إلى مثل هذا في وصف أحد وهو العفيف اللسان « رقيق الحواشي إلا أنه هنا يصفه « بكلب معرة النعمان » ليشير إلى قدره وصفته عنده ، أفبعد هذا يمكن أن يرفعه إلى درجة (الشيخ) ؟!

أحاديث ضعيفة :

(د) وابن القيم معروف باطلاعه الواسع على السنة النبوية المطهرة ، وله تحقيقات واسعة في الحديث النبوي الشريف سندًا ومتنًا ، رواية ودراية . ومابين أيدينا من كتبه شاهد على ذلك . وله مصنَّف في التنبيه على الأحاديث الساقطة والواهية هو كتاب « المنار المنيف » . شخص مثل ابن القيم هذا لايمكن أن يقع في كتابه من الأحاديث ماهو مكذوب على النبي ﷺ ولاينتبه إليه .

وهذا ما وقع في الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق حيث وردت فيه مجموعة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

---

(١) الفوائد المشوق : ١٣ ، ٣٢ .

(٢) انظر : الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ٢٥ –٢٨ ، ط السادسة ، المكتبة السلفية – القاهرة ١٤٠١هـ.

(٣) الفوائد المشوق : ١٧١ ، ٢١٦ .

(٤) طريق الهجرتين لابن القيم ص ١٤٦ ، ط الثالثة – المكتبة السلفية – القاهرة ١٤٠٠هـ .

أضف إلى ذلك أن عادة ابن القيم المحدث الفقيه نسبة الأحاديث إلى مخرجها من أصحاب كتب السنة النبوية ، وهذا غير موجود فلا يوجد حديث في كتاب الفوائد محال إلى مخرجه من أصحاب كتب السنة .

وهذه بعض الأمثلة :

أورد صاحب الكتاب الموسوم بالفوائد في باب « السهل الممتنع » في القسم الخاص من الباب الثاني المتعلق بفصاحة الألفاظ أمثلة من السنة ، فقال : (ومنه في السنة كثير .. من ذلك قوله ﷺ : « إياكم وخضراء الدّمن . قالوا : وما خضراء الدمن ، قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، وقوله ﷺ : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وعوّدوا كل جسد ما اعتاد ... »[1] .

وما أورده هنا (المعدة بيت الداء ...) لا يعقل أن ينسبه ابن القيم إلى رسول الله ﷺ ، وهو الذي قال عنه في كتابه زاد المعاد :

« وأما الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس « الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسد ما اعتاد » . فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن حلّزة طبيب العرب ، ولايصح رفعه إلى النبي ﷺ . قاله غير واحد من أئمة الحديث »[2] .

وأما الحديث « إياكم وخضراء الدمن ... » فقد قال عنه الشيخ ناصر الدين الألباني : (ضعيف جدًا . رواه القضاعي في مسند الشهاب وأورده الغزالي في الإحياء . وقال مخرجه العراقي : رواه الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال »[3] .

---

(١) الفوائد المشوق ص ٢٢٣ .

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم - ٣/ ٩٨ - مكتبة محمد على صبيح - القاهرة .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألباني ١/ ٢١ - دار الفكر ، الطبعة الأولى - دمشق ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .

ونجد مصنف الكتاب الذي معنا يورد في باب التشبيه حديثًا ذائع الانتشار في كتب البلاغة ، وهو في الحقيقة موضوع ، وهو (أصحابي كالنجوم ...)[(١)] .

قال عنه الشيخ ناصر الدين الألباني : « موضوع ورواه ابن عبد البر في جامع العلم ٢/ ٩١ .وابن حزم في الأحكام ٦/ ٨٢ »[(٢)] .

واحد كابن القيم لاتصدر عنه مثل هذه الهفوات في هذا الفن .. فن معرفة صحيح الحديث من ضعيفه من موضوعه . ولا تخرج إلا عن واحد بعيد عن هذا الميدان .

أما ما يذهب إليه البعض من أن هذا الكتاب يمكن أن يكون قد ألفه ابن القيم قبل اتصاله بأستاذه الأثير ابن تيمية[(٣)] . فهذا مما لاحاجة تدعو إلى تكلفه ، وكان يمكن اللجوء إليه لو أن نسبة الكتاب منذ البداية كانت ثابتة لابن القيم ، ساعتها كان يمكن اللجوء إلى هذا الفرض . أما وقد خلت كتب السابقين من ذكر الكتاب بين كتب ابن القيم فلا حاجة تدعونا إلى هذا التمحل والتكلف .

ولو سلمنا – جدلاً – أن ابن القيم ألفه قبل لقاء شيخه ابن تيمية « لأشار إليه في معرض بحثه وقرر الرجوع عنه ونبّه على ذلك حتى لا يغتر به كما هو دأب أهل العلم في هذا ، وهو مقتضى النصيحة في سبيل الله نصحًا للأمة وتوجيهًا لها »[(٤)] .

تسمية مخترعة :

أما عن تسمية الكتاب بـ « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » فقد بحثت عنها لعلي أجدها لأحد من المصنفين فلم أظفر بطائل من وراء ذلك ، فلم يبق إلا القول بأن التسمية مخترعة ، كما أن النسبة إلى ابن القيم مخترعة ، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ليس عنوانه « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » وليس هو لابن قيم الجوزية !

وإذا كان لأمر كذلك ، فما هذا الكتاب الذي بين أيدينا ومن صاحبه !؟

* * *

(١) الفوائد المشوق ص ٥٦ ، ٦٦ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٧٣ . وانظر عدة ألفاظ له أخرى في نفس السلسلة ١/ ٧٤ – ٧٩ .

(٣) انظر (ابن قيم الجوزية حياته وآثاره) للأستاذ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٨٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨٥ .

وقد هداني الله إلى الإجابة عن هذا السؤال من خيط رفيع جدا داخل الكتاب لا يكاد يكون ملحوظًا ، وهذا الخيط هو عنوان القسم الحادي والعشرين من أقسام فنون المعاني ، فقد جعله بعنوان : « الاحتجاج النظري » وقال فيه : « وبعض أهل هذا الشأن يسميه « المذهب الكلامي » ، وهو أن يذكر المتكلم معنى «. يستدل عليه بضرب من المعقول » . ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ . وقوله : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . ومنه قول الشاعر :

جَرَى الْقَضَاءُ بِمَا فِيهِ فَلَا تَلُمِ وَلَا مَلَامَ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ [1]

شعرت أني قرأت مثل هذا الكلام قبل الآن ، وفي غير هذا الكتاب ... نعم لقد مررت به في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي المتوفى ٧٤٥هـ عند قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِم ﴾ (آل عمران ١٥٤) يقول أبو حيان : « هذا النوع عند علماء البيان يسمى « الاحتجاج النظري » وهو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضروب من المعقول نحو : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) . ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (يس : ٧٩) ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ ﴾ (يس / ٨١) . وبعضهم يسميه المذهب الكلامي .

ومنه قول الشاعر :

جَرَى الْقَضَاءُ بِمَا فِيهِ فَلَا تَلُمِ فَلا مَلَامَ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ [2]

وواضح من مقارنة كلام أبي حيان بما في طبعة « الفوائد المشوق » التطابق شبه التام بين الاثنين .

---

(١) الفوائد المشوق ص ١٣٦ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ٨٩ .

كان ذلك أثناء فترة دراستي السابقة للماجستير عن « البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط » . وعلَّقت عليه بقولي :

وقول أبي حيان هنا « وبعضهم يسميه المذهب الكلامى » يوحي بأن الأشهر هو مصطلح « الاحتجاج النظري » ، ولكن الأمر بعكس ذلك فالمشهور الذي عليه العلماء تسميته بالمذهب الكلامي . وقد حاولت معرفة من استخدم مصطلح الاحتجاج النظري من علماء البيان ، فلم أعثر على ذكره إلا لدى شيخ أبي حيان « ابن النقيب » كما نص السيوطي الذي سبق ذكره[1] .

ونص السيوطي هذا الذي أشير إليه هو قوله في شرحه على منظومته في علم المعاني والبيان أن صاحب تسمية هذا الفن بالمذهب الكلامي « الجاحظ » ثم قال بعدها : « وسماه ابن النقيب الاحتجاج النظري »[2] .

أعدت النظر مرات في نص السيوطي هذا . والسيوطي من المتأخرين ، وكان مهتمًا بالجمع والتدقيق وضبط المصطلحات ، وكونه يقطع بأن « المذهب الكلامي » لم يسمه بهذه التسمية إلا ابن النقيب شيء يثير الاهتمام .

وشيخ أبي حيان هذا ابن النقيب له مقدمة كبيرة في علم البيان والمعاني ذكرها أبو حيان في مقدمة تفسيره عند حديثه على الوجه الثالث من الوجوه التي يكون منها تفسير كلام الله سبحانه وتعالى وهو « جانب الفصاحة والبلاغة » أو بعبارة أبي حيان « كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح » يقول :

« ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة وأجمعها ماجمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب ، وذلك

---

(١) البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ص ٥٥ – مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم – القاهرة .

(٢) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص ١٢٣ – مطبعة مصطفى الحلبي – مصر – ١٣٥٨هـ .

في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير ، وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني مقيم تونس المسمى « منهاج البلغاء وسراج الأدباء »[١] .

وأبو حيان الأندلسي تتلمذ على شيخه ابن النقيب ، ونقل عنه في البحر المحيط كثيرًا ، واعتمد كثيرًا في منقولاته المروية على تفسير شيخه ، وصرح بذلك في البحر المحيط . وقد ذكر مقدمة شيخه ابن النقيب – هذه – ووصفها بأنها من أجمع ما كتب في فن المعاني والبيان . فالأقرب إذن أن يكون ما في البحر المحيط من مادة بلاغية منقولًا عن هذه المقدمة . وهنا ثار في نفسي تساؤل : « ولم لا يكون ما بين أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق ، هو نفسه هذه المقدمة التي قدم ابن النقيب بها لتفسيره » ؟.

إن هذا الفرض ليدعمه هذا التطابق السابق بين نص البحر المحيط ونص الفوائد في مسألة ضبط مصطلح « الاحتجاج النظري » :

والمذهب الكلامي – هذا الذي سماه ابن النقيب « الاحتجاج النظري » هو الفن الخامس من بديع ابن المعتز ، قال فيه : « وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي »[٢] .

فصاحب تسمية المذهب الكلامي بذلك هو الجاحظ كما يقرر ابن المعتز وانتقل من ابن المعتز إلى أصحاب المؤلفات في فن البديع بعده حتى اليوم . استعمله أبو هلال في الصناعتين ، وابن رشيق في العمدة ، وابن أبي الأصبع في تحرير التحبير ، وشراح التلخيص ، وغيرهم كثير[٣] .

---

(١) البحر المحيط ١/ ٦ .

(٢) البديع لابن المعتز ٥٣ .

(٣) انظر الصناعتين لأبي هلال ٤٢٦ ، العمدة لابن رشيق ٢/ ٧٨ ، تحرير التحبير ١١٩ ، شروح التلخيص ٤/ ٣٦٨ ، شرح عقود الجمان للسيوطي ١٢٣ ، حلية اللب المصون للدمنهوري بهامش شرح عقود الجمان ١٤٤ ، الأطول لابن عربشاه ، ٢/ ٢٠٩ . وغيرها من المراجع انظر ثبته في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب ٣/ ٢٤٠ . ط الأولى – مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٣هـ – ١٤٠٧ .

وذكر الدكتور مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية أن مصطلح « الاحتجاج النظري » سماه بهذا أبو حيان الأندلسي وابن قيم الجوزية وابن النقيب[1] ، وسماه الزركشي « إلجام الخصم بالحجة »[2] .

وكما ذكرت فأبو حيان تلقى عن ابن النقيب وجلس إليه وأخذ عنه تفسيره الكبير ، فمصطلح الاحتجاج النظري انتقل إليه من شيخه ابن النقيب . أما ابن قيم الجوزية فقد شككنا في نسبة هذا الكتاب الذي بين أيدينا إليه ، فيكون كلام السيوطي في شرح عقود الجمان مازال صادقًا أنه لم يسمّه بهذه التسمية إلا ابن النقيب[3] .

تشابه مع « البحر » :

ومن أوجه التشابه بين مافي البحر المحيط من مادة بلاغية وبين مافي أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق ماذكره أبو حيان عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ حيث يقول : وفي قوله : ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ نوع من البديع يسمى « التتميم » ، وهو إرداف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه للفهم كقوله تعالى ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾[4] . وهذا التعريف للتتميم يتطابق مع مافي الفوائد المشوق[5] .

ومن ذلك أيضا ماذكره أبو حيان في قوله تعالى ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ أنه فيه نوع من أنواع البديع يسمى (التمليخ)[6] ، وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل شائع أو شعر نادر أو قصة مشهورة أو مايجرى مجرى المثل . ومنه قول يسار[7] بن عدي حين بلغه قتل أخيه وهو يشرب الخمر :

الْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدو فِي غَدٍ خَبَرُ ... وَالدَّهْرُ من بَيْنِ إنْعَامٍ وَإِبْئَاسِ[8]

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٥٧ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٦٨ .

(٣) وجدت صاحب « الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة » محمد بن علي بن محمد الجرجاني المتوفى ٧٢٩هـ يسمى هذا الفن تسمية قريبة من تسمية ابن النقيب حيث يسميه « المحاجة » انظر الإشارات والتنبيهات ص ٢٨٠ ، تحقيق د. عبد القادر حسين – دار نهضة مصر . د.ت .

(٤) البحر المحيط ٢/ ١١٧ .

(٥) الفوائد المشوق ص ٩٠ .

(٦) كذا في المطبوعة ، وهو خطأ مطبعي .

(٧) كذا في (ط) وهم تصحيف ، والصواب « بشّار » .

(٨) البحر المحيط ٥/ ٨٥ .

وهذا الذي ذكره أبو حيان موجود في الفوائد المشوق في الفوائد المشوق حيث يقول : (التلميح وهو أن يشير في فحوى الخطاب إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكره . ومنه قول بشار بن عدي :

الْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبَرُ   وَالدَّهْرُ مَابَيْنَ إِنْعَامٍ وَإِبْآسٍ[١]

ومن التقارب الكبير بين مافي البحر المحيط من مادة بلاغية وبين مافي « الفوائد المشوق »[٢] مانقله أبو حيان في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ... ﴾ (سورة غافر ٢٨) .

وقد لحظ هذا التشابه بين مافى البحر المحيط من مادة بلاغية وبين مافي كتاب « الفوائد المشوق » الدكتور المحتسب في بحثه للدكتوراه عن « منهج أبي حيان في التفسير » وحكم بأنه من المصادر البلاغية التي لم يذكرها أبو حيان في مقدمة كتابه بل نقل عنه دون تصريح باسمه[٣]

عبارة دقيقة :

والحق أن أبا حيان ذكر هذا الكتاب في مقدمة كتابه وهو ليس إلا مقدمة تفسير شيخه ابن النقيب التي وصفها في مقدمة البحر المحيط بأنها أجمع ماوضع في علم البيان والبديع . يقول أبو حيان : (وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة وأجمعها ماجمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير . وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني مقيم تونس المسمى منهاج البلغاء وسراج الأدباء)[٤] .

---

(١) الفوائد المشوق ص ١٦٢ .
(٢) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٦١ ، ٤٦٢ ، والفوائد المشوق ٢١٣ ، ٢١٤ .
(٣) انظر منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط . رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ص ٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ .
(٤) البحر المحيط ١/ ٦ .

وعبارة أبي حيان هنا دقيقة حيث وصف كتاب شيخه ابن النقيب وعمله فيه بالجمع ، وشيخه حازم في المنهاج بـ« الوضع » ، وهي دقيقة بالغة من أبي حيان تكشف فارق مابين المنهجين بين (ماجمعه) شيخه ابن النقيب وبين (ماوضعه) شيخه حازم . وبالنظر في « الفوائد المشوق » نرى جهدا كبيرًا من الجمع والترتيب والتنظيم للمادة البلاغية وشواهدها يتفق مع ما قال أبو حيان . وهو حقًا من أجمع الكتب في هذا الفن ، من حيث الجمع وحسب - ولايغرنك هذه الطبعة القديمة له - فالكتاب حوى بين دفتيه خلاصة لمجموعة من كتب صناعة البلاغة ونقد الشعر . وهي :

البديع لابن المعتز ، الحالي والعاطل للحاتمي ، حسن المحاضرة له ، الصناعتين للعسكري ، اللمع للعجمي ، المثل السائر لابن الأثير ، الجامع الكبير لابن الأثير ، البديع لأسامة بن منقذ ، العمدة للزنجاني ، نظم القرآن له أيضا ، نهاية التأميل في كشف أسرار التنزيل لابن الزملكاني ، التفريع في علم البديع لابن أبي الإصبع[1] .

وبالنظر في قائمة مراجع هذا الكتاب يتبين لنا مدى قيمة هذه المقدمة وأهميتها . والناظر في هذا الكتاب يشعر كأن المؤلف وضع هذا الكتاب معجما لإثبات هذه الفنون البلاغية العديدة لالقراءة المتعة واستبصار الجمال ، وهذا يناسب كونها مقدمة لكتابه في التفسير . فابن النقيب في هذا التفسير الضخم الذي ألفه ، وقيل إنه أضخم كتاب في علم التفسير إذ وصل إلى مايقرب من مائة مجلد كما يقال ، كان يعنيه الاهتمام بمسائل الفصاحة والبلاغة في القرآن فكأنه جعل هذه المقدمة عونا وتمهيداً للقارىء على متابعة مايذهب إليه من الخوض في الحديث عن البلاغة في القرآن وأسرارها .

أضف إلى ذلك أن منهجه في هذا الكتاب في فهم البلاغة والفصاحة والبيان والبديع لايخرج عن فهم المتقدمين من علماء البيان قبل السكاكي . وقد كان فهم ابن النقيب هذا هو الذي أثر في أبي حيان حيث تابعه على هذا الفهم الرحب و لم يحصر البلاغة فيما

---

(١) انظر مقدمة الفوائد المشوق ص ٨ . هذا هو المذكور في المطبوعة ، واتضح لي أنّ هناك كتبًا أخرى اعتمد عليها المؤلف و لم تذكر في خطبة الكتاب ، وأن عبارة المؤلف في ذكر الكتب التي اعتمدها لحقها شيء من التحريف والسقط .

استقر لها من علوم ثلاثة رغم أنه كان معاصرا للقزويني ومدحه بقصيدة[1] .

وهذا يكشف لنا عن نقطة هامة في التأريخ البلاغي أنه على الرغم من ذيوع مفتاح السكاكي وتلخيص الخطيب فإنه وجد من يفهم البلاغة - في زمان هؤلاء - فهم المتقدمين من نقادنا الأوائل . بل إن هذا الفهم الرحب من ابن النقيب لمصطلح البلاغة يجعله مرادفا لمصطلح « نقد الشعر » ، وهو ماكان عليه الأوائل من نقادنا حيث لافاصل بين المصطلحين . يقول الشيخ حسن العطار في حاشيته على السمرقندية ناقلًا عن حاشية السيوطي على البيضاوي :

« إن المتقدمين كانوا يسمون علم البلاغة وتوابعها بعلم نقد الشعر وصنعة الشعر ونقد الكلام . وفيه ألف العسكري كتابا سماه « الصناعتين » يعني صناعة النظم والنثر ، وألف قدامة كتابًا سماه نقد الشعر ، وإنما التسمية بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتأخرين »[2] .

فهذا الاتحاد في فهم هذه المصطلحات بين مافي البحر المحيط وما في أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق يدعم أنه مقدمة شيخ أبي حيان لتفسيره .

أدلة أخرى :

ومما يؤكد أن هذا الكتاب هو مقدمة تفسير ابن النقيب هذه أنه في المقدمة يقول : « فكتاب الله تعالى أشرف ماصرفت إليه الهمم وأعظم ما جال فيه فكر ومُدَّ به قلم ... وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وغوامض اللسان وحسن الترتيب والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألغى بلاغة البلغاء من العَذَب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلّت ألسنتهم الذربة وأقصرت خطبهم المسهبة وقصائدهم المغربة وأراجيزهم المعربة وأسجاعهم المطربة فعلموا أن معارضته مما ليس

---

(١) انظر البلاغة عند أبي حيان الأندلسي ص ٧١ ومابعدها .

(٢) حاشية الشيخ حسن العطار على السمرقندية ص ٤ . شركة المطبوعات العلمية - مصر - ١٣٢٧هـ .

في مقدورهم ولا وسعهم ولا داخلًا في تقصيدهم ولا سجعهم وأن ذلك مسلوب ومصروف عن مفردهم وجمعهم ... الخ »[1] .

ثم قال بعد ذلك كاشفا عن غرضه من تأليف الكتاب :

« وإنما يَعْرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها فعلم منه تلوين الخطاب ومعدوله ، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والأمثال. فإذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب العزيز ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أوتي فيه العجب العجاب ، والقول الفصل اللباب والبلاغة الناصعة التي تحير الألباب وتغلق دونها الأبواب ، فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم ، ومجاراته لهم في ميدان الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم ، فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم وكلّت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم وبرز في رونق الجمال والجلال في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال . ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة والنفوس خشية وتستلذه الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة . وسنورد في كتابنا هذا أصولا مؤصلة وفوائد مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تقف عليه ويعجبك عند النظر إليه »[2] .

وبعد أن ساق مصادره التي استقى منها ذكر أنه صنف هذا الكتاب (إحياء لعلم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذي قد عفت آثاره وقلّت أنصاره وتقاعدت الهمم عن تحصيله وضعفت العزائم عن معرفة فروعه فضلًا عن أصوله ، فما علم من العلوم الإسلامية رمي بالهجر والنسيان ما رمي به علم البيان . ولو أداموا النظر

---

(١) الفوائد المشوق ص ٥ – ٦ .

(٢) مقدمة الفوائد المشوق ص ٧ .

فيه والتلمح لمعانيه لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهش لها القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب . ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ، ولم يقم ببعض حقوق المنزِل والمُنَزَّل . ومن وقف على هذه الأصول والفصول التي فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل إلى معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى ، وحسن عنده موقعه ، وعظم في نفسه محله وموضعه ، وخالطت قلبه بشاشة رونقه وحليت في عينه نضارة نظائره وحسن مونقه » .

ونجده يصرح مرة أخرى بغرضه من هذا التأليف عند حديثه عن « الحل والعقد » - وهو القسم الثامن عنده - من أقسام الفن الثاني المتعلق بفصاحة الألفاظ - فبعد أن عرّف هذا المصطلح عند أهل البيان وجدناه يقول عنه : (وأكثر مايقع هذا النوع في الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله[1] والنثر محلول والشعر يعقدّه . وللماهرين في صناعة الإنشاء من هذا كثير ليس هذا موضع ذكره إذ ليس غرضنا في هذا الكتاب إلا إثبات ماوقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة وبدائع البديع أو مايجري مجرى ذلك)[2] .

ونجده يصرح بذلك في قسم الاستعارة حيث عقد فصلاً ذكر فيه جملة مما احتوى عليه القرآن الكريم من أقسام الاستعارة ، وقدّم لذلك بقوله :

« وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها نذكرها مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الأقسام الأربعة ، إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ماتضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون الفصاحة وأجناس التجنيس[3] .

وهذا يلائم أن يكون مقدمة بين يدي تفسير للقرآن ، هَمُّ صاحبها الكشف عن صور الحسن والجمال في آي القرآن .

(١) كذا في المطبوعة ولعل صوابها : يحله .

(٢) الفوائد المشوق : ٢٢٥ .

(٣) السابق : ٤٦ .

التورية .. والترديد :

ومن الأدلة الطريفة التي ظهرت لي في إثبات أن كتاب الفوائد المشوق هو هذه المقدمة لتفسير ابن النقيب – تصحيف وتحريف قديم وقع في هذه المقدمة . وهو بعينه موجود في هذه المطبوعة . وهو عنوان « القسم العشرون » من أقسام الفصاحة المعنوية عنده فقد جاء في المطبوعة « التورية »[1] وعرفه بقوله :

« وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر ، وهو في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاته ﴾[2] الآية . الجلالة الأولى مضاف إليها والثانية مبتدأ بها . وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . ومثل قوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ [فِيهِ][3] رِجَالٌ ﴾[4] اهـ .

وهذا المعنى للتورية لايعرف عن أحد من أئمة البلاغة والنقد في كتاب قبل هذا . وقد راجعت مصادر المؤلف الموجودة التي ذكرها في أول كتابه ، فلم أجد هذا عند أحد منهم .. إلى أن وقعت على نص للسيوطي في شرحه على عقود الجمان ، يقول فيه – رحمه الله –

« حكى بعضهم في التورية قولا نادرا فقال : هي أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر . نحو : ﴿ مثل ماأوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ فجاء بلفظ الجلالة مضافًا إليه ، ثم جاء به مبتدأ مثل قوله : ﴿ أحق أن تقوم فيه فيه رجال ﴾ الأول متعلق بتقوم ، والثاني خبر رجال . كذا أورده الأندلسي نقلا عن ابن النقيب في تفسيره ..

قلت : الظاهر أن هذا القول تصحّف على ناقله فإن هذا هو النوع المسمى

(١) الفوائد المشوق : ١٣٦ .

(٢) هي قراءة غير حفص وابن كثير من السبعة . انظر غيث النفع : ٢١٥ .

(٣) مابين المعقوفتين ساقط من المطبوعة .

(٤) الفوائد المشوق : ١٣٦ .

« بالترديد » ، السابق في الإطناب فتحرف على الناقل « الترديد » « بالتورية » . ثم رأيت في المصباح لابن مالك التمثيل بالآية الأولى للترديد فصح ماقلته »[١] .

فهذا النص قاطع يثبت أن مابين أيدينا مقدمة ابن النقيب لتفسيره حيث جاء فيها عنوان هذا الفن البديعي « الترديد » واقعًا فيه التحريف والتصحيف إلى « التورية » . وقد كان السيوطي - رحمه الله - موفقًا في حدسه هذا أن مصطلح « الترديد » حرف إلى التورية . وثبت لي صحة ماذهب إليه من استقراء مصادر الكتاب موضوع البحث بين أيدينا ، فما في كتاب « الفوائد المشوق » موجود بنصه تحت عنوان « الترديد » في تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري[٢] ، وورد أيضا في « معيار النظار في علوم الأشعار » لعبد الوهاب الزنجاني[٣] ، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ[٤] بنفس هذا التعريف المذكور معنا . وذكر ابن منقذ أنه يطلق عليه أيضا « التصدير » .

الاقتباس أو التضمين :

ومن الأدلة على أن مابين أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق هو مقدمة تفسير ابن النقيب ماجاء فيه عن (الاقتباس أو التضمين) ، وهو القسم الثالث عشر من أقسام الفصاحة المعنوية ، فقد عرفه بأنه « أن يأخذ المتكلم كلامًا من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذى أتى به أو ترتيب[٥] فإن كان كلامًا كثيرًا أو بيتًا من الشعر ، فهو تضمين وإن كان كلامًا قليلًا أو نصف بيت فهو إيداع . وعلى هذا الحد ليس في القرآن من هذا النوع شيء إلا ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . ومثل ماحكاه سبحانه من قول المنافقين ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ . وقولهم : ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ... ﴾ وقوله سبحانه

(١) شرح عقود الجمان : ١١٥ .

(٢) تحرير التحبير : ٢٥٣ .

(٣) معيار النظار في علوم الأشعار للزنجاني (١٤٥/٢) ، تحقيق د. محمد علي رزق الخفاجي دار المعارف - القاهرة - ١٩٩١ .

(٤) البديع لابن منقذ : ٥١ .

(٥) كذا في المطبوعة .

وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ . ومثله في القرآن كثير . وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأعجمية مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وهى لغة للحطب بالحبشية ... »[1] .

وهذا المذكور هنا نقله السيوطي في الإتقان وعزاه إلى ابن النقيب . فعند حديثه عن التضمين قال السيوطي : (ومثّله ابن النقيب وغيره بإيداع حكايات المخلوقين في القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . وعن المنافقين : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... ﴾ ، ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى ﴾ قال : وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية)[2]

وهذا نص قاطع أن مابين أيدينا هى مقدمة تفسير ابن النقيب .

أيضا مما يقوي أن هذا الكتاب مقدمة في تفسير القرآن ماصنعه المصنف في نهاية الكتاب بعد أن ساق ماانتهى إليه من فنون البلاغة والفصاحة حيث عقد فصلًا لبيان معاني ألفاظ : « القرآن ، والسورة ، والآية ، والكلمة والحرف وبيان معانيها » ، واعتذر بأن هذا « كان ينبغي أن يكون مقدمًا في أول الكتاب »[3] .

مقدمة ابن النقيب :

ومن كل ماسبق أجدنى مطمئنًا إلى تقرير مابين أيدينا من أن الكتاب المزعوم بالفوائد المشوق ليس إلا مقدمة الشيخ ابن النقيب في علم البلاغة والبيان التي جعلها بين يدي تفسيره الكبير للقرآن الكريم .

وهذه المقدمة عرفها غير واحد من السابقين ، ذكرنا منهم سابقًا أبا حيان الأندلسي والسيوطي .. وذكرها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن ووصفها بمثل وصف أبي حيان لها ، من أنها أجمع ماصنف في علم الفصاحة والبيان ، وذلك عند حديثه عن « معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح » يقول :

---

(١) الفوائد المشوق : ١١٦ - ١١٧ .

(٢) الإتقان للسيوطي : ٣/ ٢٧٠ .

(٣) الفوائد المشوق : ٢٤٤ .

(ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة وأجمعها ماجمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب في مجلدين وقدمهما أمام تفسيره ، وما وضعه حازم الأندلسي المسمى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء . وهذا العلم أعظم أركان المفسر ...[1] . وكانت من مصادر بهاء الدين بن السبكي في تأليفه عروس الأفراح)[2] .

شهادة الرافعي :

ومما يبين قيمة هذا الكتاب الذي بين أيدينا شهادة أديب العربية الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حيث يقول :

(أما إن أردت أن تعرف أنواع البلاغة في آيات القرآن والتمثيل منها لكل نوع فليس أوفى بغرضك من كتاب « الفوائد المشوق إلى عِلوم القرآن وعلم البيان » لابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١ ، وقد جمعه من أمهات الكتب المصنفة في البلاغة . فكان في ذلك الغرض بها جميعا ..)[3] .

ويقول في موضع آخر تحت عنوان : « البلاغة في القرآن » : (وبعد فلا سبيل من كتابنا هذا إلى بسط الكلام وتقسيمه فيما تضمنه القرآن من أنواع البلاغة التي نصب لها العلماء أسماءها المعروفة كالاستعارة والمجاز وغيرهما ، فضلا عن أنواع البديع الكثيرة ، فإن ذلك يخرج الكلام مخرج التأليف وبناء القول على هذه الفنون نفسها . وهو معنى كان استخراجه من القرآن بابًا مفردًا صنف فيه جماعة من العلماء المتأخرين ، منهم : الإمام الرازي المتوفى ٦٠٦ ... ثم الأديب ابن أبي الإصبع المتوفى ٦٥٤ . ثم ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ . وقد أشرنا في غير هذا الموضع إلى تصنيفه كتاب « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » وهو في معناه بتلك الكتب كلها)[4] .

---

(١) البرهان للزركشي ١/ ٣١١ .

(٢) عروس الأفراح ١/ ٣١ .

(٣) إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي : ٢١٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢٥٦ . وقد قمت بصنع فهرست للآيات القرآنية التي وردت في المقدمة وخرجتها ورتبتها على أبواب البلاغة ، فتبين لي بالدليل القاطع صدق مقالة الأستاذ الرافعي رحمه الله .

وقد تناول هذا الكتاب الدكتور أحمد مطلوب في بحثه عن « البلاغة عند السكاكي » من حيث التشابه والتأثير فقال :

« و لم نلاحظ أي أثر للسكاكي في هذا الكتاب و لم يشر المؤلف إليه في مصادره التي ذكرها في مطلع بحثه . ويمكن تعليل التشابه الموجود بينهما ولاسيما في بحث الاستعارة بأنهما اعتمدا على كتاب « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » للرازي اعتمادًا كبيرًا . ومن هنا جاء التشابه في بعض المسائل والوجوه .

أما منهجه ومادة بلاغته فلا صلة لها بالسكاكي ويمكن القول إن بلاغة ابن القيم ليست إلا بلاغة ضياء الدين بن الأثير ، فقد اعتمد عليه ونقل كثيرا من آرائه في مباحث الالتفات والكناية والتعريض وغيرها . وكان كتاباه « المثل السائر » و « الجامع الكبير » من أهم مصادر ابن قيم الجوزية .

فابن قيم كما اتضح ليس من مدرسة السكاكي وإنما هو من مدرسة مصر والشام أو من مدرسة ضياء الدين بن الأثير وإن كان لا يقف في مسائل البلاغة إلا وقفة العارض للنماذج عرضًا صامتًا ، بينما امتاز ابن الأثير بالشرح والتحليل والنقد والموازنة بين النصوص الشعرية والنثرية »[١] .

ضرب من الظن :

و لم يتطرق المصدران السابقان إلى الشك في نسبة هذا الكتاب للإمام ابن قيم الجوزية . وعدم التوقف أمام هذه النقطة بالبحث والتريث جعلت بعض الباحثين يصدر حكما بأن كتاب « الفوائد المشوق » هذا هو الصورة الناضجة للتفكير البلاغي عند ابن القيم وأن موقفه فيه في إثبات المجاز عدول عن مذهبه المعروف في كتابه « الصواعق المرسلة » . يقول الدكتور صبرى المتولى :

« لم يلبث ابن القيم أن طالعنا في كتابه « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » بموقف مخالف تماما يمثل المرحلة الأخيرة في تطور تفكيره البلاغي ، هذا الموقف يتسم بالمرونة والموضوعية واتساع الأفق ، ويكسب شخصية ابن القيم تميزًا واستقلالًا

(١) البلاغة عند السكاكي للدكتور أحمد مطلوب ص ٣٥٧ . الطبعة الأولى - مكتبة النهضة - بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

عن التبعية المطلقة لشيخه ابن تيمية ، فقد أعاد النظر في كل الآراء التي احتوى عليها الكتاب السابق[1] ، وبدأ يعترف بعلم البيان بكل المفاهيم الاصطلاحية التي تشتمل عليها مباحثه ، بما في ذلك مبحث الحقيقة والمجاز »[2] .

وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ الباحث ضرب من الظن وإصدار الأحكام بلا دليل ، حتى لو سلمنا بصحة نسبة « الفوائد المشوق » إلى ابن القيم . فالباحث هنا جعل فكر ابن القيم البلاغي مر بمرحلتين :

مرحلة رفض المجاز ، ووصف ابن القيم فيها بمتابعة شيخه ابن تيمية وعدم استقلال شخصيته متمثلًا ذلك في كتابه الصواعق المرسلة .

والمرحلة الثانية : الاستقلالية عن شيخه والعدول عن المذهب السابق وإثبات المجاز ، ويتمثل ذلك في كتاب « الفوائد المشوق » .

ولا أعرف كيف يمكن أن يصح ذلك دون معرفة منا بتاريخ تأليف الكتابين ليصح أن أحدهما سابق والآخر لاحق . وهذا غير معلوم . وقد خصص الباحث حوالي عشر صفحات من كتابه لبيان الفكر البلاغي عند ابن القيم من خلال كتاب « الفوائد المشوق »[3] .

ابن النقيب وتفسيره :

والشيخ ابن النقيب هذا هو « محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين العلامة جمال الدين أبو عبد الله بن أبي الربيع البلخي الأصل المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب ، ولد بالقدس في نصف شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة . كان أحد الأئمة العلماء الزهاد عابدًا متواضعًا عديم التكلف صرف همته أكثر دهره إلى التفسير . وتفسيره مشهور في نحو مائة مجلد »[4] .

---

(١) يريد كتابه « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » .

(٢) منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم . دراسة موضوعية لجهود ابن القيم في التفسير للدكتور صبري المتولي ص ٤٣١ . دار الثقافة للنشر – القاهرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

(٣) المصدر السابق من ص ٤٢٤ إلى ٤٣٥ .

(٤) طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٤٤ .

وقال عنه صاحب « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » : (محمد بن سليمان بن الحسن جمال الدين أبو عبد الله المفسر المعروف بابن النقيب البلخي ثم المقدسي . مولده بالقدس سنة ٦١١ . وكان زاهدًا عالمًا فقيهًا ، له مشاركة تامة في العلوم ، وقدم القاهرة . ودرس بها ثم عاد إلى القدس وتوفي به سنة ثمان وستين وستمائة . جمع تفسيرًا في ثمانين مجلدًا لم يسبق إليه »[١] .

وتفسيره هذا يعرف باسم « التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير » هكذا ورد عند الحاج خليفة في كشف الظنون[٢] وقال عنه : « وهو كبير في نيف وخمسين مجلدًا . وقد اعتنى به ما لم يعتن بغيره . ذكره الشعراني وقال : ماطالعت أوسع منه ، وقد نقل صاحب الفوائد البهية عن مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل أنه في تسعة وتسعين مجلدا »[٣] .

ووصفه ابن كثير في البداية والنهاية بأنه (مصنف حافل كبير جمع فيه خمسين مصنفًا من التفسير)[٤] .

وقال عنه الذهبي في معجم الشيوخ إنه في « تسعة وتسعين مجلدا استوعب القراءات وأسباب النزول والإعراب وأقوال المفسرين وأقوال الصوفية وحقائقهم والنسخة موجود منها ببيت المقدس »[٥] .

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ص ١٦٨ ، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني – مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٢٤هـ . وقد وقع في ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد (٥/٤٤٢) أنه (حنبلي) وهو تصحيف والصواب أنه (حنفي) المذهب كما في باقي المراجع . وله ذكر أيضًا في (العبر في خبر من غبر) للذهبي ٣/ ٣٩٢ – وحسن المحاضرة ١/ ٤٦٧ ، والدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغرى بردي ٢/ ٦٢٥ – ٦٢٦ .

(٢) كشف الظنون ١/ ٣٥٨ .

(٣) انظر الفوائد البهية ص ١٦٩ .

(٤) البداية والنهاية ١٤/ ٤ ، ٥ .

(٥) معجم الشيوخ المعجم الكبير للذهبي : ٢/ ١٩٢ تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة – السعودية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

وقال عنه أبو حيان الأندلسي « هو أكبر كتاب رأيناه صنف في علم التفسير . يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد إلا أنه كثير التكرير قليل التحرير ، مفرط الإسهاب »[١] .

وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات « أنه في حوالي ثمانين مجلدة وجمع فيه خمسين مصنفًا ، وأن منه نسخة بجامع الحاكم في القاهرة في زمانه »[٢] .

وبالتأمل في هذه النقول أرجح أن ماذكره في كشف الظنون من أنه في نيف وخمسين مجلدا نوع من الوهم ، فهو النص الوحيد الذي ذكر هذا العدد ، وأظنه لم يره وهذا مايوحي به ظاهر كلامه عنه في نقله عن الشعراني .

والصواب هو أنه في تسعة وتسعين مجلدا كما ذكر الذهبي وتؤيده عبارة صاحب البحر المحيط السابقة « يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد » والذهبي وأبو حيان كانا معاصرين لابن النقيب وتتلمذا عليه ونصّا على ذلك ، ولايبعد أن يكون نُسِخ منه بعد ذلك نسخة أخرى هي التي وصفها البعض بأنها في ثمانين مجلدًا .

وهذا التفسير توجد قطعة باقية منه بمكتبة الفاتح بتركيا من سورة المدثر حتى آخر القرآن الكريم . وعنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة[٣] .

وبالخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية جزء آخر يشتمل على تفسير سورة الشعراء والنمل والقصص . وكانت بعثة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة قد صورت نسخة منها[٤] . وذكرت الدكتورة الصفار في معجمها[٥] أنّ منه قطعة بمكتبة الأوقاف العراقية ببغداد تحت رقم ٢٣١٦ - ٢٣١٧ مجاميع . ولم يشر بروكلمان أي إشارة إلى هذا الكتاب .

---

(١) البحر المحيط ١/ ٢١١ .

(٢) انظر الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي : ٣/ ١٣٧ . دار النشر فرانزشتانير - فسبادن ألمانيا - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ .

(٣) برقم (٧١) تفسير وعلوم القرآن . وقد طلبت تصوير جزء منها ، فتبين أن بها بعض التلف الذي يمنع من التصوير . ووعد القائمون على المعهد بإصلاحه .

(٤) عن ثبت المخطوطات التي صورتها بعثة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة إلى المغرب العربي في الفترة من ٢٦/ ٦/ ١٩٧٥ - ٢٢/ ٩/ ١٩٧٥ .

(٥) معجم الدراسات القرآنية للدكتورة ابتسام الصفار : ٣٢٦ - ط الأولى - بغداد ١٩٨٤ .

جــزء فيــه : جواب عن بيت شعر

د. مصطفى الحدري*

ابن ناصر الدين (ت ٩٤٢هـ) محدث الشام ومؤرخها في النصف الأول من القرن التاسع الهجري . ومن الطريف أن يجد له د. مصطفى الحدري مقالة نقدية يتحدث فيها عن جمال الأسلوب والمعنى ، وأنواع الإبداع والمبالغة والبديع .

« المجلة »

* من كلية الآداب بجامعة البعث . حمص - سورية .

كثر ماترددت إلى مكتبة الحرم المكي الشريف عندما كنت مجاورًا في مكة المكرمة . وقد اطلعت على عدد من المخطوطات المحفوظة هناك ، ومنها أمالي ابن ناصر الدين ؛ كانت في مجلد ضخم بخط عمر بن فهد المكي . وفيها مقالة نقدية حول بيت من الشعر مُدح به النبي الأعظم محمد ﷺ . وهي هذه التي أقدِّمها .

وابن ناصر الدين هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن علي القيسيّ ، الدمشقي ، الحموي الأصل . كان محدث الديار الشامية ومؤرخها في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة . ولد سنة ٧٧٧هـ . وعاش الفترة التي عاث فيها تيمورلنك الأثيم وجيشه اللئيم فسادًا في بلاد الشام ، فكان من العلماء الذين أبوا لشعلة العلم أن تنطفىء في تلك الليالي المدلهمّة .

ذكروا أنه حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره ، واستظهر عددًا من المتون التي كانت كتبًا دراسية في ذلك العصر ، ثم أخذ الفقه الشافعي عن كبار علماء الشافعية ، وأصبح فقيهًا شافعيًا . وقد حُبّب إليه علم الحديث فطلبه بنفسه في بلده وغيرها ، وكان عدد شيوخه أكثر من ستين .

وقد وُلّي مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة ٨٣٧هـ . وهي المدرسة التي بناها الملك الأشرف الأيوبي لأحد المشايخ في سفح جبل قاسيون ، وكان الشيخ عبد الرحمن ابن محمد (أبي عمر) ابن أحمد بن قدامة المقدسي أول المدرسين فيها ، ومن هنا دُعيت مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر .

وفي سنة ٨٤٢هـ أنعم الله على ابن ناصر الدين بالشهادة ؛ وذلك أنه خرج وجماعةً لقَسْم قَريةٍ من قرى دمشق ، فسمَّهم أهلُها . وقد كان رحمه الله متثبّتًا في روايته ،

متفننًا في معرفته ، حسن الخط ، ديّنا ، حسن السيرة دَمِثًا كثير الحياء شديد الاحتمال ، صوفيًا مع محبته لابن تيمية . وقد ألّف في الحديث ومصطلحه والسيرة والرجال والفقه واللغة وغير ذلك .

ومن الطريف أن توجد له مقالة نقدية في المخطوط الذي أشرت إليه . وفي ذلك المخطوط معظم مؤلفاته التي كان حجم الواحد منها غير كبير .

وتقع هذه المقالة مابين الورقتين ٤١ و ٤٦ وقد كُتب على وجه الورقة الأولى منها :
« جزء فيه جواب سؤال من ماردين .
عن بيت شعر مدح به النبي ﷺ .
سُئلت عنه .

وذلك في أواخر سنة سبع عشرة وثمان مئة .
المجيب محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد عفا الله عنهم بكرمه » .

حققت هذه المقالة بنسخها من خط ابن فهد المكي الذي قال في آخرها : « هذا لفظه بحروفه ، ومن خطه – أبقاه الله تعالى – نقلت في حَزَّةٍ (أي حينٍ ووقت) واحِدَةٍ من يوم الأربعاء مستهلّ صفر – خُتم بالخير والظفر – سنة سبع وثلاثين وثماني مئة مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر (كذا !) بسفح جبل قاسيون . قال ذلك وكتبه محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي المكي لَطَف الله به . والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . حسبنا الله ونعم الوكيل » .

وبجوار خط ابن فهد عبارة هذا نصها : « الحمد لله . بُلِّغ – كان – أعزّه الله تعالى سماعًا من لفظي . محمد بن أبي بكر » اهـ . وهذه عبارة يوثّق فيها ابن ناصر الدين ماكتبه ابن فهد وسمعه .

وابن فهد أَحَدُ المشتغلين بالحديث والتاريخ ، وقد ذكرته في مقدمة كتاب السلاح والعدة على أنه أحد مؤرخي مدينة جُدَّة . ذُكِر أنه أقام في الشام وأخذ عن ابن ناصر الدين ، وهو من وفيات سنة ٨٨٥هـ ، أي بعد شيخه بثلاث وأربعين سنة .

وابن ناصر الدين في هذه المقالة يرد على من انتقد هذا البيت في مدح النبي ﷺ :

فلا عَيْبٌ بِسَيْبِ نَداكَ لَكِنْ تُقَصِّرُ عِنْدَ مَجْراهُ السُّيولُ

ويبدو أن هذا الانتقاد قد أثار مشكلة في مدينة ماردين ، فأرسل قوم منها إلى ابن ناصر الدين يسألونه عن رأيه في ذلك الانتقاد ، لأن المنتقد قد كفّر قائل هذا البيت ، فأزعج ذلك ابنَ ناصر الدين ونسب المنتقد إلى التشغيب والأذى ، وبين خلو البيت من المآخذ الدينية ، كما بيّن رأيه في جماليّة أسلوبه ومعناه ، وكان ذلك بلغة عصرهم الذي حرص فيه الأدباء على السجع وما إليه من ضروب البديع .

وقد حققت هذه المقالة ، فخرّجت الآيات ، وفسرت ما كان غامضًا من الكلم والاصطلاحات ، وأشرت إلى الأبحر العروضيّة التي تنتمي إليها الأبيات التي أوردها المؤلف رحمه الله .

وأنا بنشر هذه المقالة عن المخطوط الذي ذكرت إنما أشير إلى أهميته ، وضرورة أن يشتغل أحد المنصرفين إلى الحديث وعلومه به ، فإنه أحد الكنوز التي ورثناها عن أجدادنا العظماء .

[٤٢] بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم .

الحمد لله مظهرِ الحقِّ ورافعِه ، ومزهقِ الباطلِ وواضعِه . وصلواتُه الزاكيةُ الناميةُ الجمّةُ[١] على سيِّدِنا محمدٍ عبدِه ورسوله نبيِّ الرحمةِ ، وعلى آله وصحبِه الأكرمين ، وتابِعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدّين ، وسلامُه .

أما بعد : فإن بعضَ من أظهرَ لسانُه ، ماطوته طويتُه ، وأجنَّه[٢] جَنَانُه . خطّأَ قائلَ ذاك البيت المُعْلَم[٣] ، من القصيدة المُلْتَزَم فيها مالا يَلْزَمُ[٤] ، التي مُدِح بها سيدُنا رسول الله ﷺ . والبيت هو : [من الوافر]

فلا عيبٌ بسيبِ نَداك ، لَكِنْ تقصِّرُ عندَ مجراهُ السيولُ

وبلغني أن الذي خطّأَ قائلَ هذا ، بالغَ في التّشغيبِ[٥] وآذى . حتى من المبالغة في جهلِه ، رماه بالكُفر في قوله ، أتراه ماسمع الحديث النبويّ الصحيح في نقله « ومَنْ رمى مؤمنًا بِكُفرٍ فهو كقتله[٦] . » .

---

(١) الجمة : الكثيرة .

(٢) أجنّه : ستره .

(٣) البيت المُعلم ، أي المشهور المعروف .

(٤) سماه البديعيون الالتزام ، وسموه أيضا لزوم مالا يلزم . وبعضهم سماه الإعنات والتضييق . وحَدُّه أن يلتزم الناظم أو الناثر بحرف قبل حرف الروي أو أكثر منه على قدر قوّته ، مع عدم التكلف . وقد جاء منه في القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخُنّس الجوارِ الكُنّس ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرًا غيرَ ممنون ﴾ ومن النظم قول المعري الذي أكثر منه :

لاتطلبَـنّ بآلـةٍ لكَ حيلـةً قلمُ البليغِ بغيرِ حظٍّ مِغْزلُ
سكنَ السماكانِ السماءَ كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

انظر : حلية البديع للشيخ قاسم البكره جي ص ٢٦٤ .

(٥) التشغيب : من الشّغْب - بتسكين الغين المعجمة - وهو تهييج الشر .

(٦) ذكر في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث أنه في البخاري - إيمان ٧ ولم أجده .

ولو تدبَّرَ[1] بقلب صافٍ ، وتأمّل بعَينِ الإنصافِ ، وكشف عين بصيرة الاعتِراف ، لاتضح له معنى البيت الذي ردّه ، ولما بالغ في الطعن ، ولاتجاوزَ حَدَّه ؛

[من الطويل]

تكلّمَ في بيتٍ شَريفٍ بمدحِهِ ... أَلَمْ يدرِ أنّ الصمتَ سُتْرَةُ جاهلِ ؟

ألم يكُ ذا تَقْوى يراقبُ خشيةً ... ويخشى رقيبًا حاضرًا قولَ قائلِ ؟

ولقد أجادَ أبو الطيب المتنبي في مقاله الصادقِ على هذا الرّادِّ وأمثاله : [من الوافر]

وكَمْ مِنْ عائبٍ قولًا صحيحًا ... وآفتُهُ من الفهمِ السقيم !

فمعنى البيت على من رَدَّه التبسَ ، ولم يعلم أنّه في البديع من نوع الإبداع[2] مُقْتبس .

[٤٣] والإبداع على أنواع :

منها : بَدلُ المدح بصورة الذم في السماع ، كقولهم في الألفاظ المُحرّرة : « قاتله الله ما أشعره ! » .

ومنه نوعٌ بالاستثناءِ لَقَّبوه ، وفي قسم البدل أدخلوه ، كقوله تعالى : ﴿ ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللهِ العزيزِ الحميدِ ﴾[3] . وأنشدوا في معناه : [من الطويل]

ولاعيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم ... بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائب[4]

و « لكن » هي أحد حروف العطف في الاتضاح ، وهي للاستدراك المسمى استثناء في الاصطلاح . قال الله عز وجل : ﴿ ماكانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم

---

(١) تدبر : تفكر .

(٢) الإبداع : هو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد بعدة أنواع من البديع ، أو في القرينة الواحدة من النثر . وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بإبداع . انظر حلية البديع للبكرجي ٢٤٢ .

(٣) البروج ٨ .

(٤) بيت مشهور من شعر النابغة الذبياني في مديح الغساسنة . انظر ديوانه ٥١ .

ولكن رسولَ اللهِ ﴾ الآية[١] ... والاستثناء في البيت من هذا القسم نفسِه ، وهو من باب استثناء الشيء من غيرِ جنسه . وعليه قولُه تعالى : ﴿ ماهم بهِ من علمٍ إلا اتباعَ الظنِّ ﴾[٢] .

وقال عمرو بنُ الأيهمِ التغلبيّ[٣] خليفةُ الأخطلِ دينًا وغَيرةً ؛ من قصيدة هجا فيها قَيسًا : [من الخفيف]

ليسَ بَيني وبينَ قيسٍ عِتابٌ غَيرَ طعنِ الكُلى وضربِ الرقابِ

وأنشد أبو الفرج بن الجوزيّ – رحمه الله – في التبصرة[٤] ، في مدح عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : [من الطويل]

ولا عَيبَ في أخلاقِه غيرَ أنّها فرائدُ درٍّ مالَها من نظائـرِ

ومن هذا القبيل ، استدراكُ الناظم في بيته الجميل لأنه نفى العيبَ عن السّيب ، واستثنى شيئًا من غير جنس العَيْب . فجعل مجرى سيب الممدوح عليه أفضلُ الصلاة والسلام – تقصِّرُ عنه السيولُ مع الكَثرة في المجرى والانسجام .

هذا إذا فسر العيب بمعناه المألوف .

وله معنى آخر في اللغة معروف ؛ قولهم : عابَ الماءُ ؛ إذا نَقَبَ الشطَّ ، فخرجَ مُجاوزَه . حكاه الخليل في العين ، وتبعه ابن سيده في المُحكم وماجاوزه ، فيكون على هذا معنى البيت المراد : إن عطاءه – ﷺ – بغير إفساد ، ليس كالماء إذا عاب ، فخرج مُجاوزةً من غير باب .

ولما كان الغالب أن يُفْهَمَ من هذا تحجيرُ[٥] العطاء مع قلّته ، استدرك بما يُشْعِرُ بخلافه من جَودةِ العطاء [٤٤] وكثرته ، فقال :

---

(١) الأحزاب ٤٠ .

(٢) النساء ١٥٦ .

(٣) عمرو بن الأيهم التغلبي شاعر من نصارى تغلب توفي نحو سنة ١٠٠ للهجرة . قيل : اسمه عُمير وهو من سكان الجزيرة الفراتية . عاصر الأخطل ومات الأخطل قبله .

(٤) كتاب لابن الجوزي رأيته مخطوطًا في مجلد كبير .

(٥) تحجير العطاء : منعه .

.... لكن تقصرٌ عندَ مجراهُ السيولُ

ولعمري لقد بُني هذا البيت على أركانٍ متينة ، وأسسّ على معان رصينة ، تشهد لبانيه بالبيان ، وبديع التنويع في المعاني الحِسان .

ومما اشتمل عليه البيت من المعاني السابغة ، نوعٌ من أنواع المبالغة . وهو أتمّ أنواعها وأعلاه ، بأن يكون الكلام مُبالَغًا في فحواه ، مشتملًا على أعلى عبارات معناه . كقول الله عز وجل : ﴿ يومَ تَذْهَلُ كلُّ مرضعةٍ عما أرضعَتْ ﴾[1] . إنما خُصَّتِ المرضعةُ دون لفظ الوالدة استظهارًا ، لأن المرضعةَ لاتفارقُ الرضيعَ ليلًا ولا نهارًا . وبحسب القرب يكون الميل والحبّ ، وذلك بخلاف لفظ الوالدة وعاداتِها الواردةِ .

ووجه هذا النوع المشهور ؛ من البيت المذكور ، قولُه « نداك » لأن الندى هو الكرم . ولو قال بَدَلَه ونظم :

فلا عيبٌ بسيبِ يديك..... ....

لاستقام النظام ، وحسن التئام الكلام ، مع أن خروج السيب من يد الأشراف أبلغ في المَبَرّة[2] والإِسعاف[3] ، لكنه أَضْرَبَ عن ذاك ، وأتى بلفظة « نداك » لأن الندى في أحد معانيه الجُمَل[4] ، هو ما أصابك من بَلَل . وقيل : هو مايسقط آخرَ الليل من السماء . والمُراد به اليسير من الماء ، فأتى بلفظ نداك المقبول ، ليكونَ أبلغَ مع ذكر السيول . وعلى هذا يكون معنى البيت في حسن الانتظام :

إنّ أقلَّ شيء من عطاء نبيّنا – عليه أفضل الصلاة والسلام – يعلو على ما كثر وعظم من عطايا الناس ، بمنزلة السيول مع الندى في القياس .

---

(١) الحج ٢ .

(٢) المبرة كالبِّر ، ضد العقوق .

(٣) إسعاف المرء : مساعدته وقضاء حاجته .

(٤) معانيه الجُمَل : معانيه المتعددة .

وبهذا التقرير ظهر تَمكُّن لفظة « نداك » في البيت من التحرير . وأنها – دون غيرها من الألفاظ الحسنى – أبلغُ قوةً وأرفعُ معنى .

وفيه من أنواع البديع ، وبدائع التنويع ، غيرَ ماذكرنا من المعاني والبيان [أشياءُ] ، منها : المطابقة[1] بذكر التقصير والجريان .

ومنها المناسبة[2] بين اللفظ ومعناه بذكر الندى والسيل ومجراه .

ومنها : الانسجام المُنْتَظِم لحسن سبك البيت وسهولة الكَلِم ، وخِفّةِ النطق بها كتحدُّرِ الماء المنسجِم .

ومنها : نوع من المبالغة غيرُ ماذكرنا من الشرح ، فلو اقتصرنا على نفي العيب عن السيب لكان حَسَنًا [٤٥] في المدح ، فما اقتصر على ذلك بل بالغ وفاخر وسلك في المدح مَهْيَعًا[3] آخر .

ومنها : جمع المُؤتَلِف والمُختلف في البيان . فالندى والسيل مؤتلفان والتقصير والجريان مختلفان . وكذلك الوحي – والإشارة من بدائعه – وهو : التعبير عن الشيء بأحد توابعه . ويكون مع الوجازة اليسيرة ، مشيرًا إلى معانٍ كثيرة . ولا يخفى ما في البيت من ذاك المُشارِ إليه بقوله « نداك » .

ومنها : المُماثلة ، وهو أن يريد المتكلم معنىً مرفوعًا . فيأتي بلفظ يكون لمعنى آخر موضوعا يُنبىء بذلك عن مراده ومعناه . كما في لفظ « نداك » مع ذكر السيل ومجراه .

---

(١) المطابقة : يقال لها الطباق أيضا . وهي الجمع بين متضادين أو متقابلين في الجملة سواء أكان التقابل حقيقيًا أم اعتباريًا ، وسواء أكان بالسلب أم الإيجاب . انظر حلية البديع للبكره جي ٧٤ .

(٢) المناسبة على ضربين ، منها المعنوية وهي أن يختم الكلام بما يناسب المعنى الذي بدأ به القول ، كقول الله سبحانه وتعالى في القرآن العزيز : ﴿ أو لَمْ يَروا أنّا نسوقُ الماءَ إلى الأرض الجُرُزِ فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ ، فقد بدأ الآية ذات الموعظة البصرية بقوله ﴿ أو لم يروا ﴾ وختمها بقوله : ﴿ أفلا يبصرون ﴾ .

أما المناسبة اللفظية فهي دون المعنوية وهي أن يأتي المتكلم بألفاظ من جو واحد مع الحرص على التوازن اللفظي . وربما حرص على التوازن اللفظي والتقفية . انظر حلية البديع ١٥٨ – ١٥٩ .

(٣) المَهْيَع : الطريق البيّن .

ولولا خوفُ السآمة والملالة ، لشيَّدْنا البيت بتطويل الدلالة . ومن حَقَّق نظره في البيت وتدقيقه . ودقق فكره في بناء بيانه وتحقيقه . ولَمَح بعين الإنصاف مُلَحَه[1] ، حمد ناظمه على ذلك ومدحه ، وقال : [من المجتث]

أيا إمامًا تسامى ... له معالٍ وفخرُ
المادحـــون نجومٌ ... وفيهمُ أنتَ بـدرُ
نظمْتَ مدحًا بديعًا ... بينَ المدائـحِ دُرُّ
بالغْتَ فيهِ حقيقًا ... إن البلاغةَ سحرُ
وقد أتـاكَ نـوالٌ ... بذا المديحِ وذِكْرُ
طولَ الزمانِ ثناءٌ ... وفي القيامة أجـرُ

قال ذلك وكتب العبد محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد – عفا الله عنهم بكرمه – وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

(١) جمع ملحة : مايُتملّح به ويستطاب من الحديث .

الشعر التغلبي وعلماء العربية*

أيمن محمد ميدان**

ثمة مفارقة بشأن الشعر التغلبي تستدعي وقفة متأنية .

التغالبة من سكان الأطراف .. أطراف الجزيرة . وهذا الموقع الجغرافي جعل عربيتهم محل طعن .

وعلى الرغم من ذلك حظيت أشعارهم باحتفاء المتقدمين من علماء العربية !.

أيمن محمد ميدان يتناول هذه النقطة بالتحليل ، كاشفًا مواقف اللغويين والنحاة والنقاد من هذا الشعر ، ومحددًا مواقف كل منهم ، ودوافعه ، وراصدًا نماذج من مؤلفاتهم .

« المجلة »

---

* هذا البحث جزء من رسالة علمية حصل الباحث بها على درجة الماجستير من كلية دار العلوم . جامعة القاهرة بتقدير ممتاز ، وكان عنوانها « شعر تغلب في الجاهلية : جمع وتحقيق ودراسة » .

** مدرس مساعد في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة . صدر له محققًا ديوان عمرو بن كلثوم ، وكتاب الوحوش للأصمعي .

إن نظرة واعية لما أُثر عن علماء العربية من شذرات نقدية متناثرة هنا وهناك بين حنايا صحائف تراثنا الفكري الثر لتشي بأن مواقفهم تعددت وآراءهم تباينت حيال الشعر التغلبي ، وهو تباين – في جوهره – لا يعكس ضعفًا في شاعريتهم ، أو ندرة في نتاجهم ، بل يعكس فلسفة كل فريق في تعامله مع الشعر الجاهلي بصفة عامة ، والشعر التغلبي بصفة خاصة .

أولًا : موقف اللغويين :

ثمة حظر فرض حول الشعر التغلبي ، فجاء الاعتماد عليه ثانويًا ؛ وهذا أمر طبيعي ونتيجة منطقية لمنهج صارم التزمه علماء العربية في عصور التدوين ، فقد حصروا ميدان الاستشهاد في إطار جغرافي ضيق مقيد بإطار زمني محدد ، يتمثل في وسط جزيرة العرب حيث يوجد « ... الذين عنهم نُقِلَت اللغة العربية ، وبهم اقتدي ، وعنهم أُخِذَ اللسان العربي من قبائل العرب ...[1]وأهملوا القبائل الأخرى ، ومن بينها قبيلة تغلب « لأنهم كانوا مجاورين اليونان ... »[2] .

فإذا كان هذا موقف اللغويين ، وإذا كانت مصادر التاريخ تصرخ فى وجوهنا بعلاقات تغلب بالأمم الأجنبية المجاورة ، وإذا كانت كتب الجغرافيا تشير إلى منطقة مابين النهرين كمنطقة متطرفة كانت تقطنها آنذاك . فبم نبرر – إذا – احتفاء مؤلفات المتقدمين من اللغوين وغيرهم ؟؟.

نقول : لايعدم الباحث – حقًا – أن يطالع نماذج شعرية للشعراء التغالبة استشهد بها ، فما من كتاب في اللغة أو النحو إلا انطوى على بيت أو أكثر من معلقة عمرو ابن كلثوم ، وهذا أمر لايطعن فيما سبق أن قررناه ، بل يدعمه ويقويه ، فقصيدة عمرو احتلت مكانة راقية أهّلتها لأن تضاف إلى المنجز الشعري العربي الذي يسمو فوق قيود الحظر وحيثيات المنع .

وماسواها من نتاج شعري لعمرو بن كلثوم ذاته والشعراء التغالبة تعرض لعمليات تصفية دقيقة وإحجام قاس ، ولعل « مرد ذلك إلى الاصطفائية اللغوية أو إلى أسباب

---

(١) المزهر ١/ ٢٣ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٣ .

دينية » على حد تعبير بلاشير[1] . ومن ثَمَّ ، فإن القول بأن أشعار تغلب « كانت على قدم المساواة مع أشعار القبائل التي توفر لها نقاء اللغة كما تصور الرواة ... »[2] قول تعوزه الدقة وينقصه الدليل لأن إحصائية بسيطة لعدد الأبيات المستشهد بها لشاعر واحد ينتمي لإحدى قبائل وسط الجزيرة في مصدر لغوي واحد لتفوق عدد نماذج الشعراء التغالبةالمستشهد بها في المصدر ذاته.

ولو نظرنا إلى معجم « مجمل اللغة » وأجرينا مقارنة كَمِّيَّة للأبيات المستشهد بها لشاعر كالشماخ بن ضرار والشعراء التغالبة لوجدنا أنه ورد للشماخ واحد وعشرون بيتًا مقابل ثلاثة عشر بيتًا هي مجموع الأبيات المستشهد بها للشعراء التغالبة جميعًا : لمهلهل ستة أبيات ، وللأخنس بن شهاب بيتان ، ولعمرو بن كلثوم أربعة أبيات ، ولشبيب بن جُعَل بيت واحد .

وإن الوقفة المتأنية أمام النماذج الشعرية التغلبية المستشهَد بها لتوحي للباحث بأن لغويي العربية أعوزتهم الحاجة إلى مثل هذه النماذج فأوردوها مضطرين ، لأنها تنطوي على مفردات لم ترد في نتاج شعراء وسط الجزيرة، أو لأنها مرتبطة بدلالات بيئية لم تعهدها بيئة وسط الجزيرة ، من ذلك لفظة « عمارة » التي وردت في بيت شعر للأخنس ابن شهاب التغلبي يقول فيه :

لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٌ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَئُونَ وَجَانِبُ[3]

فقد وجدنا أن المعاجم اللغوية احتفت بهذا البيت احتفاء منقطع النظير ، ورد في : المخصص ١٢/ ٥٨، ومجمل اللغة ٣/ ٦٦٠ ولسان العرب (عرض) و(عمر)، والصحاح (عمر) ، ووردت له سبع روايات[4] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي (بلاشير) ٢٨٢ .

(٢) شرح معلقة عمرو بن كلثوم لابن كيسان ٤ .

(٣) المفضليات ٢٠٤ .

(٤) انظر تخريج البيت في « شعر الأخنس » .

أما الألفاظ التي أوردها لغويو العربية لارتباطها بظروف بيئية خاصة لم تعهدها بيئة وسط الجزيرة ، فمنها كلمة « أتاوة » و « مكس » اللتان وردتا في بيت لجابر ابن حني التغلبي يقول فيه :

وَفي كُلِّ أَسْوَاقِ العِرَاقِ أُتَـاوةٌ ... وفي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ [1]

والأتاوة : الخَراج ، وقيل : إنها الرشوة ، وقيل كل ما أُخذ بِكُرْه . والمَكْسُ : دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق الجاهلية . وقد علَّق الجاحظ على البيت بقوله : « إن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار في البر والبحر وفي أسواقهم المكس ، وهي ضريبة كانت تؤخذ منهم ، وكانوا يظلمونهم في ذلك . ولذلك قال التغلبي وهو يشكو ذلك في الجاهلية ويتوعد » ... البيت[2] .

ثانيًا : موقف النحاة

إن التأثير والتأثر بين لغتين أو أكثر إنما يكون في كثير من صوره تأثيرا على مستوى اللفظة المفردة ، لا على مستوى التركيب . ولما كان اهتمام النحاة العرب منصبا على التركيب فإنهم لم يخضعوا الشعر التغلبي للحظر كما أخضعه اللغويون، وجاء الاعتماد عليه على قدم المساواة مع شعر القبائل التي توفر لها نقاء اللغة .

فقد اتخذ سيبويه - الأب الروحي لنحاة العربية - من الشعر التغلبي تسعة شواهد لكل من : المهلهل[3] وجابر بن حُنَيّ التغلبي[4] وعمرو بن كلثوم[5] .

---

(١) المفضليات ٢١١ .

(٢) الحيوان ٦/ ١٥٦ .

(٣) الكتاب : ١/ ٣١٨ ، ٣٣٥ ، ٢٢٥ ، ١١٥ ، ١٨٤ ، ٣٢٤ ، ٢/ ٣٨ . .

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٥ .

(٥) المصدر السابق ١/ ٧١ ، ١١٣ ، ٢٠١ .

و لم يقف الاهتمام بالشعر التغلبي على الساحة النحوية عند سيبويه ، بل امتد إلى عصور متأخرة ، وسنضرب لذلك أكثر من نموذج كي تتضح جوانب الصورة .

فقد استُشْهِدَ ببيت مهلهل الذي يقول فيه :

مَا أُرَجِّي بِالْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَى   قَدْ أَرَاهُمْ سُقُوا بِكَأْسٍ حَلَاقِ

في « الكتاب ١/ ١١٥ ، وفي المقتضب ٣/ ٣٧٣ ، وفي أمالي الشجري ٢/ ١١٤ ، وفي شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٤/ ٢١٢ ، وفي همع الهوامع ٢/ ٨٨ ، وفي الدرر اللوامع ٢/ ١١٥ »[(١)]

واستُشهد بقول شبيب بن جعل :

حَنَّتْ نَوَارُ وَلَاتَ هَنَّا حَنَّتِ   وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ

في كل من : شرح المفصل ٣/ ١٥ ، ١٧ ، وفي خزانة الأدب ٢/ ١٥٦ ، وفي مغني اللبيب ٥٩٢ (٣١١) ، وفي شرح شواهد شروح الألفية ١/ ٤١٨ ، وفي همع الهوامع ١/ ٧٨ ، وفي الدرر اللوامع ١/ ٢٥ ، ٩٩ ، وفي شرح الأشموني ١١/ ١٤٥ ، ٢٥٦ .

مما سبق يتبين لنا أن الاستشهاد بالشعر التغلبي في ميدان النحو لم يقف عند جيل الرواد ، بل امتد إلى نحاة العصور اللاحقة والمتأخرين منهم .

و لم يقف الأمر بالنحاة عند حد الاستعانة بالشواهد الشعرية التغلبية، بل كان من بين الشواهد ماشهد خلافًا حوله بين نحاة الكوفة ونحاة البصرة، من مثل ذلك قول الأخنس ابن شهاب في مفضليته[(٢)] :

لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٌ   عَرُوضٌ إِلَيهَا يَلْجَئُونَ وَجَانِبُ

(١) المفضليات ٢٠٤ .

(٢) شرح المفضليات للتبريزي ٤٩٩ .

علق التبريزي على البيت شارحًا إياه بقوله : « العمارة : الحي العظيم يطيق الانفراد وكذلك العميرة . والبصريون رووه بكسر العين وجرّ عمارة على أن تتبع لكل أناس ... والكوفيون رووه بفتح العين ورفع عمارة . والأصح الأول ، ويكون عروض مبتدأ و « لكل أناس » في موضع خبر »[1] .

ثالثًا : موقف النقاد

عرض بعض نقاد العربية القدامى لبعض النماذج الشعرية التغلبية ، وتناولوها بالدرس والبحث والموازنة وجاءت مواقفهم حيال الشعر التغلبي ، على النحو التالي :

(أ) أشار بعضهم إلى المعاني المبتكرة التي سَبَقَ إليها الشعراء التغالبة ، واستحوذت على إعجاب شعراء العربية اللاحقين لهم ، فاقتبسوها منهم وضمّنوها أشعارهم .

(ب) وعُني نفر آخر منهم بتبيان مواطن الحسن ، دالًّا عليها ، مسجلًا إعجابه بها .

(ج) على أن ثمة طائفة أخرى سلطت الضوء على ما في بعض أشعارهم من سقطات أو هنات ، وراحت تكشف النقاب عنها ، مبينة الوجه الصحيح تارة ، وملتمسة العذر للشاعر تارة أخرى .

(أ)

- ذكر المرزباني بيتًا للقحيف العقيلي ، قاله يوم الفلج :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمَعَ أَهْلَ حُجْرٍ ... صِيَاحَ البِيضِ يَقْرَعُها النِّصَالُ[1]

وعلق بقوله : « وأغار فيه على قول مهلهل بن ربيعة :

فَلولَا الرِّيحُ أُسْمَعَ أَهْلَ حُجْرِ ... صليل البِيضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ[2]

---

(١) معجم الشعراء ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق ٣٣١ .

– أورد ابن نباتة المصري هذه الأبيات لمهلهل :

بِكُرْهِ قُلُوبِنَا يَا آلَ بَكْرٍ نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النِّصَالِ
لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ جُونٌ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصِّقَالِ
وَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وعلّق عليها بقوله: « وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين، وهذه الأبيات هي أصل ما اعتمدت عليه الشعراء في هذا المعنى ، وأميرهم البحترى في قصيدته العينية ... »(١) .

وأضاف الخالديان تعليقًا على الأبيات الثلاثة : « أبيات المهلهل هي الأصل في هذا المعنى(٢) » . ومثله قول الحصين بن الحمام المري :

وَنَفْلِقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

وأخذه بعضهم فقال :

قَوْمِي هُمُ قتلوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابَنِي سَهْمِي
فَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جللًا وَلَئِنْ قَتَلْتُ لأوهِنَنْ عَظمِي(٣)

وأخذه مالك بن مطفوق السعدي فقال :

قَتَلْنَا بني الأَعْمَامِ يَوْمَ أُوَارَةٍ وَعَزَّ علينا أَنْ نَكُونَ كَذَالِكَا
هُم أَخْرَجُونا يَوْمَ ذَاكَ وَجَرَّدُوا عَلَيْنَا سُيُوفا لَمْ يَكُنَّ بواتِكَا

وأخذه حرب بن مسعر فقال :

وَلَمَّا دَعَانِي لَمْ أُجِبْهُ لأَنَّنِي خَشِيْتُ عَلَيْهِ وَقْعَةً مِنْ مُصَمِّمِ
فَلَمَّا أَعَادَ الصَّوْتَ لَمْ أَكُ عَاجِزًا وَلَا وَكِلًا مِنْ كُلِّ دَهْيَاءَ صَيْلَمِ

---

(١) سرح العيون ٩٩ .
(٢) الأشباه والنظائر ١/ ٤ . والمعنى هو « قتل الأقارب بكره القلوب » .
(٣) المصدر السابق ١/ ٤ .

عَطفَتْ عَلَيْهِ الْمُهْرَ عَطْفَةَ مُحْرِجٍ ... صؤول وَمَنْ لا يغشم الناسَ يُغْشَمِ
وأَوْجَرْتُه لَدْنَ الكُعُوبِ مُقَوَّما ... فَخَرَّ صَرِيعا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وَغَادَرْتُهُ وَالدَّمْعُ يَجْرِي لِقَتْلِهِ ... وَأَوْدَاجُهُ تَجْرِى عَلَى النَّحْرِ بِالدَّمِ

فأخذ هذا المعنى ديك الجن ، فقال في جارية كان يحبها فقتلها :

قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دُجْنِهِ ... لِبَلِيَّتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خدرِه
وَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلَيَّ كَرَامَةٌ ... مِلءُ الحَشَا وَلَهُ الفُؤَادُ بِأَسْرِهِ
عَهْدِي بِهِ مَيْتاً كَأَحْسَنِ نَائِمٍ ... وَالْحُزْنُ يَنْحَرُ عَبْرَتِى في نَحْرِهِ

وإلى المعنى الأول نظر أبو تمام فقال :

قَدِ انْثَنَى بِالْمَنَايَا في أَسِنَّتِهِ ... وَقَدْ أَقَامَ خيارَكم على اللَّقَمِ
جَذْلان مِنْ ظفر حَرَّان إنْ رَجَعَتْ ... أظفارُه مِنْكُمْ مَخْضُوبَةً بِدَمِ

ومن هذا المعنى أخذ البحتري قوله :

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُها ... تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

بيت البحترى أطرف وأبدع من بيت المهلهل ، إلا أنه أرشده إلى المعنى ودل عليه(١) .

– وأورد الخالديان بيت مهلهل الذي يقول فيه :

انْبَضُوا مَعْجِسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقْنَا كَمَا يُوعِدُ الفُحُولُ الفُحُولَا

وأجريا مقارنة بينه وبين بيتين لشاعر خزرجي يقول فيهما :

وَطَاعَنَّا وَلِلنَّبْلِ ... هَدِيرٌ يَصْدَعُ القَلْبَا
فَلَمَّا طَاعَنَ القَوْمُ ... تَرَكْنَا فِيهِمُ الضَّرْبَا

(١) الأشباه والنظائر ١/ ٤ – ٦ .

وبيت ثالث لزهير يقول فيه :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطَّعَنُوا ضارب ، حتى إذا ما ضاربوا اعتنفا

وعلّقا بعد الموازنة بقولهما : « وبيت المهلهل وإن كان سابقًا للمعنى ، فهو دون بيت زهير ودون بيت الأنصاري ... »[1]

– قال أبو جعفر بن النحاس : يقال إنَّ قوله – أي مهلهل – « كأنا غدوة ... » أول تناصف سمع في الشعر ... »[2]

قال ابن الأنباري وهو يترجم للأخنس بن شهاب التغلبي : « هو أول العرب ، وصل قِصَرَ السيوف بالخُطَى[3] ، ثم ذكر قول الأخنس :

وَإنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إلى القَوْمِ الَّذِينَ نُضَارِبُ

وأضاف ابن الأنباري : ومنه استرق كعب بن مالك الأنصاري صلة السيوف فقال :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا قُدْمَا وَنُلْحِقُهَا إذا لَمْ تلحقِ[4]

وأورد البغدادي حديث ابن الأنباري ، وأضاف قائلًا[5] : « وهذا هو الصحيح لأنه قاله قبل أن يُخْلَقَ هؤلاء بدهر ... ومن تبع الأخنس بن شهاب في المعنى حناك ابن سنة العبسى الجاهلي – وهي بكسر الحاء المهملة وتخفيف النون وآخره كاف . وسنة بفتح السين المهملة وتشديد النون قال :

---

(١) الأشباه والنظائر ٤١٠ .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ٣/ ٩٣ ، ورواية البيت :

كأنَّا غُدْوَةً وبنى أبينا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيا مُدِيرِ

(٣) شرح المفضليات لابن الأنباري ٤١٠ .

(٤) المصدر السابق ٤١٠ .

(٥) خزانة الأدب ٧/ ٣٢ – ٣٣ .

أَبنِي جُذَيْمَةَ نَحنُ أَهْلُ لُوائِكم وَأَقَلُّكُمْ يَوْمَ الطِّعَانِ جَبَانَا
كانت لنا كرمُ المواطنِ عادةً نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَقَدْنَ خُطَانَا

ومنهم أبو قَيْس بن الأسلت الأنصاري ، قال :

وَالسَّيْفُ إنْ قَصَّرَهُ صَانِعٌ طَوَّلَهُ يَوْمَ الوَغَى بَاعِي

ومنهم وَدَّاكُ بن ثُمَيلٍ المازني ، قال :

مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ في الرَّوْعِ خَطْوَهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانِي

ومنهم نهشل بن حَرِّيّ ، قال :

فَتًى كَانَ لِلرُّمْحِ الأَصَمِّ مُحَطِّمًا طِعَانًا وَللسَّيْفِ القَصِيرِ مُطِيلا

ومنهم عُبَيْدُ الله بن الحرِّ الجُعْفِيّ ، قال :

إذَا أَخَذَتْ كَفِّي بِقَائِمِ مُرْهَفٍ وَكَانَ قَصِيرًا عَادَ وَهْوَ طَوِيلُ

ومنهم نابغة بني الحارث بن كعب ، واسمه يزيد بن أبان ، قال :

وإذَا السُّيوفُ قَصُرْنَ بَلَّغَهَا لَنَا حَتَّى تَنَاوَلَ مَا تُرِيدُ خُطَانَا

ومنهم عبد الرحمن بن سلاقة الحاجب ، قال :

وَيَوْمٍ تَقْصُرُ الآجَالُ فِيهِ نُطَاوِلُهُ بِأَرْمَاحٍ قِصَارِ

وقال آخر :

تُطِيلُ السُّيوفَ المُرْهَفَاتِ لَدَى الوَغَى خُطَانَا إذَا ارْتَدَّتْ خُطًى وَسُيُوفُ

وقد أخذه مسلم بن الوليد وزاد فيه وأجاد :

إن قَصَّرَ السيفُ لم يَمْشِ الخطَى عددًا أو عَرَّدَ السيفُ لم يهمم بِتَعْرِيدِ »[1]

---

(١) خزانة الأدب ٧/ ٣٢ – ٣٣ .

– وأشار الخالديان إلى معنى مبتكر للأخنس بن شهاب أيضًا تناوله شعراء العربية في العصور الأدبية اللاحقة ، حيث أوردا بيتًا للأخنس يقول فيه :

فَأَدَّيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصِّبَا

وعلقا قائلين : « ومنه أخذ أبو نواس قوله :

وَرَدَدْتُ ما كُنْتُ اسْتَعَرْ ت من الشَّباب إلى المُعيرِ

وأنشد بشار فقال :

وهجرت الصبا وراجعك الحلم وردت عارية المستعير[(١)]

– وأورد الخالديان أبياتًا لعمرو بن كلثوم يقول فيها :

معاذ الإله أَنْ تَنُوحَ نِساؤُنا عَلَى هَالِكٍ أَنْ نَضِجَّ مِنَ الْقَتْلِ
قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ذِي أَرَاكٍ وذِي أَثْلِ
فَمَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنَا سِوى جِذْمِ أَذْوَادٍ تُعِينُ على الأَزْلِ
ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا وَأَقْوَاتُنَا وما نَسُوقُ إلى العَقْلِ

وعلق الخالديان قائلين : « أما قوله : معاذ الإله أن تنوح نساؤنا ... » فقد تناوله بعض الشعراء بأسره ، فقال :

معاذ الإلـه أَنْ تَنُـوحَ نِسَاؤُنَـا عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قُصِمَ الظَّهْرُ »[(٢)]

وأضاف الخالديان أيضًا إن هذا المعنى « أخذه أبو تمام ، فقال :

مُتَسَرْبِلِينَ إلى الحُتُوفِ كَأَنَّمَـا بَيْنَ الحُتُـوفِ وَبَيْنَهُـمْ أَرْحَـامُ[(٣)]

(ب)

وإذا كان نقاد العربية القدامى قد عُنوا بالمعاني المبتكرة التي ابتدعها الشعراء التغالبة ، وحاولوا – جاهدين – رصد من اقتبسها من شعراء العربية في العصر الجاهلي وما وليه من عصور ، فإنهم أيضًا أشاروا إلى بعض مواطن الحسن في الشعر التغلبي .

(١) الأشباه والنظائر ٢/ ٢٨٤ – ٢٨٥ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٩٠ .
(٣) المصدر السابق ١/ ٩٠ .

قال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران[1] : « فيقول : ياعدي بن ربيعة أعزز علي بولوجك هذا المولج . لو لم آسف عليك إلا لأجل قصيدتك التي أولها :

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ أَنِيرِي   إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلا تَحُورِي

لكانت جديرة أن تطيل الأسف عليك » .

– وأورد الخالديان بيتين لمهلهل يقول فيهما :

لَيْسَ مِثْلِي يُخْبِرُ الْقَوْمَ أَنَّهُمْ قُتِلُوا وَيَنْسَى القِتَالَا
لَمْ أَرِمْ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى حُذِي المُهْرُ مِنْ دِمَاءٍ نِعَالَا

وعلقا على هذين البيتين بقولهما : « ما نعرف في الاعتذار من الفرار أحسن من هذين البيتين لأنه قال : لم أبرح حتى قاتلت قتالا شديدا »[2] .

وأورد أبو هلال العسكري قول مهلهل :

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ   لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الإِبِلِ

وعلق عليه « والعرب تُعَيِّر بالبكاء »[3] .

وأورد الخالديان بعض أبيات مفضلية الأخنس بن شهاب التغلبي ، وعَلّقا عليها قائلين : « هذا الشعر نهاية في الفخر وذكر العدد ووصف الشرف »[4] .

– وقد علّق الأصمعي على بيت لعميرة بن جعل يقول فيه :

جَمَعْتُ رُدَيْنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ   سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَسْتَعِنْ بِدُخَانِ[5]

« هذا أشعر بيت في وصف السنان » .

---

(١) رسالة الغفران ٣٤٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ٢/ ٣٠٢ .

(٣) ديوان المعاني ١/ ١٧٣ .

(٤) الأشباه والنظائر ٢/ ٣٠٢ .

(٥) المفضليات ٢٥٩ ، هامش رقم ٩ .

قال عمرو بن كلثوم :

فَمَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنَا   سِوى جِذْمِ أَذْوَادٍ تُعِينُ على الأَزْلِ
ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا   وَأَقْوَاتُنَا وما نَسُوقُ إلى العَقْلِ

وعلق الخالديان بقولهما : « فما أبقت الأيام ... البيت والذي يليه ، فقد جوَّد فيما ذكر ، وأحسن القسمة في البيت الأخير ، إذ جعل جمالهم ثلاثة أقسام ، فقسم يصرف في أثمان الخيل إذ كانت حصونهم التي يلجأون إليها ، ويبلغون بها الغايات ، ويدركون بها الترات ، وقسم في أزوادهم وأقواتهم وما يَقْرون ضيوفهم ، وقسم يسوقون في ديات من يقتلون ولا نعلم أحدًا اتفق له في بيت واحد ولا أبيات كثيرة كما اتفق لهذا في صحة القسمة ، وشرح الأبيات التي تُصْرَفُ فيها »[1] .

(ج)

الموقف الثالث يتمثل في الإشارة إلى بعض الهنات من خلال المقارنة أو تباين وجهات النظر حول شاهد من الشواهد ، من مثل قول مهلهل بن ربيعة :

فَلَوْلا الرِّيحُ أسمع أهلَ حُجْرٍ   صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ[2]

قال أبو علي عن ابن كيسان عن الأَحْوَل : « أول كذب سمع في شعر هذا لأن حجرا قصبة اليمامة وبين الموضعين مسافة عظيمة فعبر عن الغُلُوِّ بالكذب »[3] .

ويضيف صاحب تحرير التحبير « وعندي أن بيت مهلهل أقرب إلى الصدق والاستحسان من بيت امرىء القيس على شرطهم ، فإنهم شرطوا أن كل كلام تجاوز المتكلم فيه حد المبالغة إلى الإغراق والغلو ، واقترن بما يقربه من الإمكان خرج من

(١) الأشباه والنظائر ١/ ٩١ .
(٢) سمط اللآلي ٢/ ٧٢٥ .
(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/ ١٩٣ .

حد الاستقباح إلى حد الاستحسان وقد تقدم في بيت مهلهل لولا ، وهي من الحروف التي زعموا أن الكلام باقترانه بها يبعد من العيب بتة »[1] .

– وقال الخالديان : « قال شاعر من الخَزْرَج :

وَطَاعَنَّا وَلِلنَّبْلِ هَدِيرٌ يَصْدَعُ القَلْبَا
فَلَمَّا طَاعَنَ القَوْمُ تَرَكْنَا فِيهِمُ الضَّرْبَا

يقول : طاعنا بالرماح وأعداؤنا يرمون بالنبل ، فلما دنا بعضنا من بعض وأقصى أعداؤنا إلى الطعن بالرماح جالدناهم بالسيوف . وهذا المعنى من المعاني الجياد فإن كان قائل هذا الشعر اخترعه وكان الأصل فيه فقد زاد زهير بقوله :

يَطْعُنُهُمْ مَا ارْتَموا حَتَّى إذَا اطَّعَنُوا ضارب حَتَّى إذَا مَا ضَارَبُوا اعتنقا

لأن زهيرًا أتى بالمعنى الذي قدمنا ذكره ، وهو بيتان في بيت واحد ، وله أيضا فيه زيادة جيدة ، لأنه ذكر أنه يطعنهم وهم يرتمون ثم يضربهم وهم يتطاعنون فإذا اضطربوا بالسيوف عانق ، ولم يتمم أحد هذا المعنى بمثل هذا إلا أن زهيرا أخذه بغير شك من المهلهل بن أبي ربيعة في قوله :

أَنْبَضُوا مَعْجِسَ القِسِيِّ وَأَبْرَقْـ (م) ـنَا كَمَا يُوعِدُ الفُحُولُ الفُحُولا

وبيت المهلهل وإن كان سابقا للمعنى فهو دون بيت زهير ودون بيت الأنصاري ؛ لأنه ذكر أنهم أنبضوا القسي وأبرقنا ، فيجوز أن يكون أنبضوا قسيهم من بعد ، وأبرقنا من بعد ولم يَدْنُ بعضهم من بعض ، وهذا غير مستوف للمعنى استيفاء جيدًا ، وبيت الأنصاري وإن كان دون بيت زهير أيضا فهو أجود من بيت المهلهل الذي قدمنا ذكره من العيب الظاهر فيه »[2] .

من كل ماسبق يمكننا القول : إن الشعر التغلبي نال اهتمام علماء العربية قديما فانقضوا عليه لغويين ونحاة ونقادًا يستشهدون به ، موضحين مواطن الحسن فيه ، دالين عليها ، مظهرين جوانب القصور ، مسوغين ذلك .

* * *

(١) تحرير التحبير ٢/ ٣٢٤ .
(٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٣٢ – ١٣٣ .

المصادر والمراجع

(١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين (حماسة الخالدين) ، للخالديين أبي بكر ، محمد (٣٨٠هـ) وأبي عثمان سعيد (٣٩١هـ) ابني هاشم . تحقيق د. السيد محمد يوسف . مطبعة لجنة التأليف – القاهرة ١٩٥٨م .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب لابن السِّيد البطليوسي – المطبعة الأدبية . بيروت ١٩٠١م .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، لبلاشير ، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني – دمشق ١٩٥٦م .

(٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري (٦٥٤هـ) . تحقيق د. حفنى محمد شرف . مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٣هـ .

(٥) الحيوان ، لأبي عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق وشرح عبد السلام هارون – مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٤٣م .

(٦) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) – مطبعة بولاق ١٢٩٩هـ . بتحقيق وشرح عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي . مصر ١٩٨١م .

(٧) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق صلاح الدين الهادي – دار المعارف . مصر ١٩٧٧ .

(٨) ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق أيمن محمد ميدان – مطبوعات النادي الأدبي الثقافي بجدة – المملكة العربية السعودية ١٤١٣هـ .

(٩) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، نشره ف . كرنكو – مكتبة المقدسي . القاهرة ١٣٥٢هـ .

(١٠) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (٤٤٩هـ) ، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن – دار المعارف . مصر ١٩٥٠م .

(١١) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٦٤م .

(١٢) سمط اللآلي ؛ لأبي عبيد البكري (٤٨٧هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني – مطبعة لجنة التأليف . القاهرة ١٩٣٦ – ١٩٣٧م .

(١٣) شرح معلقة عمرو بن كلثوم ؛ لابن كيسان ، تحقيق د. محمد البنا . دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م .

(١٤) شرح المفضليات ؛ لابن الأنباري ، أبي محمد القاسم ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل – المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٢٠م .

(١٥) شرح المفضليات ؛ للخطيب التبريزي ، تحقيق ودراسة : فخر الدين قباوة – رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة برقم ٥٥٢ أدب .

(١٦) شعر الأخنس بن شهاب التغلبي ، جمعه وحققه : أيمن محمد ميدان ، ضمن أطروحته للماجستير بعنوان : « شعر تغلب في الجاهلية ... جمع وتحقيق ودراسة » – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٩٩١م .

(١٧) الكتاب ؛ لسيبويه . طبعة بولاق ١٣١٦هـ .

(١٨) المزهر ؛ لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل واليعلوي وجاد المولى - دار إحياء الكتب العربية .

(١٩) معجم الشعراء ؛ لأبي عبيد الله ، محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤هـ) ، صححه وعلّق عليه د/ ف. كرنكو - مكتبة المقدسي بالقاهرة ١٣٥٤هـ . ونشره محققًا عبد الستار أحمد فراج - مطبعة عيسى الحلبي بمصر ١٣٩٧هـ - ١٩٦٠م .

(٢٠) المفضليات ؛ للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي (١٧٨هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف (الطبعة السابعة) - القاهرة ١٩٨٣م .

وقفات مع :
« الديباج لأبي عبيدة »

د. محمد أحمد الدالي*

صدر في القاهرة العام الماضي كتاب « الديباج » لأبي عبيدة ، عن نسخة خطية يتيمة ، ذهب صدرها ، واختفت خاتمتها ، وزيدت فيها أشياء ليست منها .

ونسخة هذا شأنها لن تسلم من هنات ، وخاصة أن المحققَيْن لم يتوليا الإشراف على الطبع – في أغلب الظن ، على حد تعبير د. محمد أحمد الدالي .

الناقد قرأ الطبعة التي صدرت ، وتوقف في غير موضع ، وعلّق على مواضع كثيرة ، وقفّى ذلك بأمثلة مما وقع فيها من أوهام الضبط وأخطاء الطبع .

« المجلة »

* من كلية الآداب بجامعة دمشق . حصل على درجة الدكتوراه عن تحقيق ودراسة كشف المشكلات وإيضاح المعضلات لجامع العلوم الأصبهاني . ونشر كتاب الكامل للمبرد عام ٨٦ في بيروت . وسبق للمجلة أن نشرت له .

للدكتور المحقق الفاضل عبد الرحمن بن سليمان العثيمين يدٌ في تحقيق نسبة غير كتاب من كتب العربية المخطوطة نُسب إلى غير صاحبه أو جُهل مؤلفُه، وفي تحقيق أسماء كتب. جهلت أسماؤها أو سمّيت بغير أسمائها الصحيحة (وفي مقدماته للكتب التي حققها – ومنها كتاب « التبيين عن مذاهب النحويين »، للعكبري – أمثلة لذلك) . أعانه على ذلك معرفة واسعة بمصادر العربية ؛ مطبوعها ومخطوطها .

وقف خلال تنقيبه عن المخطوطات على صورة عن كتاب صوَّره معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وهو مما لم يفهرس من مصورات المعهد ، ذُكر في سجله أنه « كتاب في الأدب ، لأبي عبيدة » . صُرف عنه الدكتور زمانًا يزيد على خمس سنين ، ثم لما تفرَّغ له ونظر فيه انتهى إلى أنّ « أخباره ومعلوماته تدل فعلاً على إمكان صحة نسبته إلى أبي عبيدة أو من هو في درجته من العلم » ثم لما أنعم النظر فيه الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع – وكان الدكتور العثيمين قد وقفه عليه – « خلص بنتيجة تثبت أنه حقًّا لأبي عبيدة » فقد رأى « تشابهًا بل تطابقًا بين ماورد في هذا الكتاب ومانسب إلى أبي عبيدة من الأخبار في كتاب النقائض ، ثم ما ورد من نقولٍ عن أبي عبيدة من الأخبار والرواية للأشعار في كتاب الأغاني والعقد الفريد وعيون الأخبار والبيان والتبيين ونهاية الأرب ... وغيرها تدل على وجوه من التقارب بينها وبين ماورد في هذا الكتاب » واطمأن الدكتور العثيمين إلى ماذكره صديقه الدكتور الجربوع .

وذكر الدكتور أن المخطوطة حديثة الخط لا ترقى إلى القرن العاشر الهجري ، وأنها « لا تحمل اسم ناسخ ولا تاريخ نسخ ، وهي رديئة الخط جدًا غير مسندة ، ولم يوضع عليها عنوان الكتاب ولا اسم مؤلفه » وقال : « وهي سالمة من النقص – فيما يظن – تقرأ بيسر وسهولة » .

وقد بذل المحقق الفاضل جهدًا كبيرًا في قراءة الكتاب في هذه النسخة اليتيمة

السقيمة ، وفي التعليق عليه ، وتخريج كثير من الأخبار والأشعار الواردة فيه ، وترجمة كثير من الرجال المذكورين فيه .

ويعرف فضل الدكتور على هذا الكتاب ويقدر جهده فيه من يعرف مشاقَّ تحقيق كتاب عن نسخة وحيدة ، فإن كانت إلى وحدتها سقيمةً ازداد العمل فيها مشقةً وعسرًا .

وعلى أن النسخة « تقرأ بيسر وسهولة » فيما قال المحقق فإنَّ قارئ الكتاب لا يكاد يأخذ في قراءة خبر من أخباره حتى يتوقف في موضع أو غير موضع منه . ففيها مواضع كثيرة مريبة ، ومواضع أُخر مشكلة بعضها مما ينتهي بك التأمّل فيها إلى وجهها الصحيح أو إلى وجه مرضيّ فيها ، وبعضها مما لا تستطيع القطع فيه بوجه ، وبعضها مما لا ينفع فيه إلا الوقوف على نسخة أخرى من الكتاب تكون أجود من هذه وأصحَّ تعين على تصحيحه .

ويجد قارئ الكتاب في مواضع منه خللاً واضطرابًا وانقطاعًا في الكلام ، ربما كان لنقص لحقها ، أو سقط وقع فيها ، أو غير ذلك .

ومن أمثلة ذلك ماوقع ص ١٢٣ – ١٢٧ ، فقد كان الكلام على « أَعْرَق العرب في القتل » فذكرهم . ثم جاء بعده : « الذهلان : شيبان وذهل بن ثعلبة ... السَّعْدان ... الأنكدان ... » فذكر طائفة من باب المثنى ، ثم قال : « مفاخر العرب ثلاثة ... » فذكرها . وموضع ماذكر من باب المثنى بين « أعرق العرب في القتل » و « مفاخر العرب ... » قلق نابٍ به موضعه . فإما أن يكون في الكلام سقط . وإما أن يكون هذا خارجًا عن كتاب أبي عبيدة جعله بعضهم في كتابه .

وجاء عقب « مفاخر العرب » آخر عنوان فقرة في الكتاب . وهو « من اجتمع عليه نزار » ص ١٢٧ فذكر ثلاثة ، ثم ذكر من انقادت لهم تميم ، وتلا ذلك ذكر أخبار أخرى لا تدخل تحت هذا العنوان ، وهي في الصفحات ١٣٠ – ١٥٧ . وفي آخر الكتاب ص ١٥٧ – ١٥٩ كلامٌ لغير أبي عبيدة

كأبي الحسن المدائني والأصمعي . وكتب الناسخ في آخره : « تَمَّ الكتاب ... » وقد تنبه المحقق على هذا وعلق عليه بقوله « يبدو أن هذه النصوص الآتية خارجة عن أصل الكتاب ... » .

أيُّ كتاب هذا الذي تمَّ ؟ ليس المعنيّ كتاب « الديباج » ، لأن هذه النصوص المنقولة عن غير أبي عبيدة صاحبه خارجة عنه . فهل آخر أخبار « الديباج » انتهى ص ١٥٧ حيث بدأ كلام غير أبي عبيدة ؟ ولِمَ جاء كلام أبي عبيدة متصلاً بكلام غيره من غير أن يفصل بينهما بعبارة تؤذن بتمام « الديباج » ثم تستأنف الأخبار عن غيره ، على ما جرى عليه النسّاخ في مثل هذه الحال ؟

الكتاب في نسخته هذه ضرير ، ذهب صدره الذي يكون فيه سند روايته عن صاحبه ، وذهبت خاتمته ، ثم زيدت فيه أشياء خارجة عنه .

* * *

لقد خدم الدكتور المحقق الكتاب خدمة جيدة ، ولم يأل جهدًا في تحقيقه والتعليق عليه ، لكنه لم يفعل مثل ذلك في طبع الكتاب . وأغلب الظن أنه لم يتولّ الإشراف على طبعه ، ففشت فيه الأخطاء المطبعية وكثرت كثرة ذهبت بغير قليل من رونقه وبهائه ، وسبق قلم المحقق في غير موضع من الكتاب بأشياء غير صحيحة من جهة العربية لا يخفى صوابها على من هو دونه .

وكنت خلال قراءتي للكتاب توقفت في غير موضع منه ، وعلقت على مواضع كثيرة منه ، وأنا ذاكر أمثلة مما اجتمع لي في هذا الباب تدل على ماوراءها ، ثم أُقَفّي بذكر أمثلة مما وقع في الكتاب من وهم في الضبط وخطأ في الطبع وسقط في بعض المواضع ، ليرى فيه الدكتور والقراء رأيهم .

تعليقات وتصويبات

١ - ص ٣ س ٧ - ٨ « قال أبو عبيدة : فاتفقوا على أنّ أشعر الشعراء في الجاهلية امرؤ القيس بن حجر الكندي ، والنابغة زياد بن [معاوية] الذبياني ، وزهير ... » .

كان في الأصل : « زياد بن عمرو الذبياني » فغيَّره المحقق وجعله « زياد ابن معاوية » . والصواب أن يثبته كما في الأصل « زياد بن عمرو » . فهو المرويّ عن أبي عبيدة ورواه عنه الأَثْرم والجاحظ ، انظر ديوان النابغة ، صنعة ابن السكيت ص ١ ، وصنعة الأعلم ص ١٣ ، والحيوان ٥/ ٥٥٥ ، وسمط اللآلي ٧٩ . وعند الأثرم عنه أنه زياد بن عمرو بن معاوية . وكذا قال النحاس في شرح القصائد التسع المشهورات ٧٣٣ .

وعند ابن الأعرابي أنه زياد بن معاوية ، وهو المعروف ، انظر تعليق المرحوم العلامة الميمني في السمط .

وليس للمحقق العدول عما في الأصل إلى المشهور المعروف ، إلا أن يكون تصحيفًا أو تحريفًا له . وما في الأصل هنا رواية . وهي المعروفة المشهورة عند صاحبها ، وحملُها على التحريف أو على تغيير النساخ مما لايكون .

٢ - ص ٣ - ٤ س ١١ - ١٢ ، ١ « فقال بعضهم : أشعر الثلاثة امرؤ القيس بن حجر ، هو أولهم ، وهو الذي فتح لهم الشعر ، فاستوقف وبكى في الديار وذكر ما فيها ، ثم قال (دع ذا) رغبة منه عن المنسِبة ... » .

قوله « دع ذا » لا أعرفه في شعر امرئ القيس إلا في قوله [ديوانه ٦٣] :

فدع ذا وسلِّ الهمَّ عنك بجَسْرة ... ذَمُولٍ إذا صام النَّهار وهجَّرا

٣ - ص ٦ - ٧ آخر سطر - ٢ « وقالوا : طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بهؤلاء البحور . إنما يوضع من أصحابه ، الحارث بن حلزة ، وعمرو ابن كلثوم ، وسويد بن أبي كاهل » كلام أبي عبيدة هذا نقله ابن قتيبة في

الشعر والشعراء ١٩٠ . وقوله : « يوضع من أصحابه ، الحارث ... » تحريف صوابه « يوضع مع أصحابه : الحارث ... » .

٤ – ص ٧ س ٢ – ٣ : « فقالوا : هو أكثرُ عددِ طوالٍ جياد ... » .

قوله « عددِ » كذا ضبطه المحقق بكسر الدال متابعًا ضبط الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في الشعر والشعراء ٢٦٣ وقد نقل ابن قتيبة ثمة كلام أبي عبيدة ، والصواب : « عددَ » بفتح الدال ، وهو منصوب على التمييز .

٥ – ص ٨ س ١ « ثم اختلفوا في أوس والحطيئةَ والنابغةَ الجعدي » .

كذا ضبطت الهاء في الحطيئة بالفتح ، والصواب كسرُها فيهما .

٦ – ص ١٢ س ٥ – ٦ « ... فيغلبهم من ليس مثلهم في عَظْم الشعر [يريد أفضل الشعر] » .

ماجعله المحقق بين حاصرتين قال في التعليق عليه : « يبدو أن هذه العبارة زائدة على نص أبي عبيدة » . قلت هي ليست من كلامه حقًّا ، وهي عبارة لاقيمة لها . وقد استعمل أبو عبيدة هذه اللفظة في قوله ص ٧ آخر سطر : « وخداش بن زهير أشعر في عَظْم الشعر من لبيد » . وعَظْم الشعر : نَفْسه ، انظر الشعر والشعراء ٦٤٥ ، وتعليق العلامة البصير محمود محمد شاكر حفظه الله في طبقات فحول الشعراء ١٤٤ ح ١ .

٧ – ص ١٦ س ٤ – ٥ « ثم اختلفوا في بسطام وعتيبة وعامر حتى نعوا عليهم سقطاتهم »وقع هذا فيما نقله المبرد في الكامل ٢٠٣ من كلام أبي عبيدة في ذكر فرسان العرب ، فإن كان المبرد نقله من الديباج ففي حكايته كلام أبي عبيدة كما وقع في هذا المطبوع تصرُّف .

٨ – ص ٢٢ س ٧ – ١٠ « ولعتيبة يقول جرير ... وقال لعامر بن الطفيل :

أعامرُ بن طفيل في مركَّبه ... أو حارثًا يوم نادى القوم ياحار »

قال المحقق في التعليق عليه : « ديوان جرير ١/ ٢٣٨ (٣١٣) ، وروايته : (أو عامر) (أو حارث) » .

الظاهر أن المحقق استصوب ما أثبته في المتن « أَعامرُ » ، وهو خطأ صوابه « أو عامرَ بنَ طفيل ... » ، وهو معطوف على قوله قبله :

جئني بمثلِ بني بدر لقومهم أو مثل أسرة منظور بن سيّارِ

ورواية الديوان « أو مثلِ أسرة » « أو عامرِ بنِ طفيل » أو « حارثٍ » بالجر فيها حملاً على لفظ المجرور في قوله « بمثلِ » .

ورواه سيبويه في الكتاب ١/ ٤٨ ، ٨٦ ، والمبرد في المقتضب ٤/ ١٥٣ « أومثلَ » بالنصب حملاً على المعنى « المحل » أي هات مثلَ أسرة ، وعليه إنشاد أبي عبيده :.أو عامرَ بنَ طفيل ..... أو حارثًا .

٩ - ص ٣١ س ٢ « ومن أهل الشام : خالد بن عبد الله بن أُسيد » .

قوله « أُسيد » ضبطه المحقق في المتن وفي الحاشية (٢) بضم الهمزة ، والصواب أَسِيد ، كأمير ، بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، انظر الإكمال ١/ ٥٨ ، وتوضيح المشتبه ١/ ٢١٠ .

١٠ - ص ٣١ س ٣ - ٤ « رُجْلِيُّو العرب ثلاثة . الواحد رُجْلِيّ ... » .

ضبطه المحقق بضم الراء وإسكان الجيم وهو ضبط الأزهري ، وهو عنده منسوب إلى الرُّجْلة وهي القوة على المشي . ووقع فيما نقله المحقق في التعليق (٣) عن تهذيب اللغة ١١/ ٣١ ، واللسان (ر ج ل) : « منسوب إلى الراجلة » وهو خطأ .

وفي الكامل للمبرد ١٤٣٠ أنه رِجْلِيّ بكسر الراء ، نص على ذلك الأخفش عليٌّ فيما علقه عليه ، قال : « هو منسوب إلى الرِّجْل » . وفي العباب والقاموس « رَجَلِيّ » بالتحريك انظر التاج (ر ج ل) .

١١ - ص ٣٣ س ٤ - ص ٣٤ « قال أبو عبيدة : غزت بكر بن وائل بني تميم ، فأرسلوا طلائع لهم فرأت السليك ... » فساق خبر السليك وقد كان أنذر قومه بأن بكر بن وائل تريد الغارة عليهم فكذبوه لبعد الغاية .

وقد خرج المحقق الخبر في التعليق (٢) ، قال : « الخبر والأبيات عن أبي

عبيدة في الشعر والشعراء ١/ ٣٦٧ ، والجمهرة ٣/ ٣٤٦ ، والأغاني ٢٠/ ٣٨١ ، والخزانة ٣/ ٣٤٦ » اهـ . قوله « والجمهرة ٣/ ٣٤٦ » خطأ فليس الخبر فيها وليست من مظانّ ذلك . وأراد المحقق كتابًا آخر لا أعرفه .

والخبر حكاه عن أبي عبيدة المبرد في الكامل ٧٣٨ ، وحمزة الأصبهانى في الدرة الفاخرة ٣٠٥ وعنه نقل صاحب الخزانة ٣/ ٣٤٦ (هارون) ٢/ ١٧ (بولاق) .

١٢ - ص ٣٣ س ٩ « وقد عثر بأصل شجرة فيرى كمكان تلك وندرت قوسه » هذا موضع مشكل غامض اختلفت فيه المصادر التي حكت الخبر عن أبي عبيدة . ففي الكامل « ... شجرة فندر كمكان تلك . وانكسرت قوسه » وفي الدرة « شجرة فنزا وندرت قوسه » ، واستشكله صاحب الخزانة فغيّره وجعله « شجرة وقد وثب وانحطمت قوسه » ، وفي الأغاني « شجرة فنزعها فندرت قوسه » وذكر المحقق أن هذه العبارة وردت محرفة في أصول الأغاني ؟! وليته ذكر ما كان في الأصول ، فلعلّ فيها الصواب أو ما يهدي إلى الصواب في هذه العبارة . وانظر ماعلقناه في الكامل ٧٣٨ ح ٦ .

١٣ - ص ٣٥ س ٣ - ٤ « وكان يقال له سُلَيْكًا المُقَانِب . فقال فرار الأسدي » قوله « سليكًا المُقَانب » خطأ صوابه : سُلَيْكُ المَقَانبِ .

وقوله « فقال فرار » علق عليه المحقق بقوله « في الأصل : قران ، والتصويب من الأغاني ٢٠/ ٣٨٣ » .

قلت : بل الصواب مافي الأصل : « قُرّان » وهو قُرّان بن يسار الفقعسي الأسدي ، انظر شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/ ٦٠٤ ، والمحبّر ٢١٧ ، ومعجم الشعراء ٢٠٤ ، واللسان (سلك) .

وأما « فرار » كما وقع في الأغاني ٢٠/ ٣٨٣ - وكذا وقع في مطبوعة الكتاب ١/ ٣١٩ - فتحريف .

١٤ - ص ٣٥ س ٦ - ٧ قول قُرّان :

أزوارَ ليلى منكم يال برثن   على الهول أمضى من سليك المقانب
يزورونها ولا أزور نساءهم   ألهفى بأولاد النساء الحواطب

قوله « أزوار » كذا وقع أيضًا في مطبوعة شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/ ٦٠٤ وهو خطأ صوابه « لَزُوَّارُ » انظر ماعلقناه في مقالتنا « شرح أبيات سيبويه » لابن السيرافي في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٠ جـ ٢/ ٣٥٦ . والبيتان في المصادر السابقة ، الأول في سفر السعادة ٥٨٧ وتخريجه ثمة . ويروى : « لَخُطَّابُ ليلى ... » .

وقوله في البيت الثاني « ألهفى بأولاد » صوابه « لِأولاد » .

١٥ – ص ٣٦ – ٣٧ آخر سطر – ٢ « فدَلَّ الحارثيون عليه فزعمت باهلة أن بني نفيل بن عمر بن كلاب أجملوا فيه ودلوا عليه فانبهوا إلى ربيئته وهو نائم فجاوزه إليه فأخذوه سلمًا » صوابه : « ... أن بني نفيل بن عَمْرِو ابن كلاب ... فانتهوا إلى ... فجاوزوه إليه ... » . وقد وقع على الصواب « بني نفيل بن عمرو بن كلاب » في الكامل للمبرد ١٤٣٠ ، والخزانة ١/ ٩١ في كلام لثعلب في خبر قصيدة أعشى باهلة ، وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨٢ .

١٦ – ص ٣٧ س ١٠ وص ٣٨ س ١ قول أعشى باهلة :

لا يغمز الساق من أين ولا وصب   ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يتأرى لما في القدر يرقبه   ولايزال أمام القوم يقتفر

قال المحقق في التعليق على البيت الأول : « هذا البيت مركب من بيتين وهما :

لايتأرى لما في القدر يرقبه   ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يغمز الساق من أين ولا نصب   ولايزال أمام القوم يقتفر

الديوان ٢٦٨ (الصبح المنير) ، وينظر البيت الأخير هنا » اهـ .

قلت : كيف يُدَّعَى أن البيت مركب ، والرواية التي في متن كتاب أبي عبيدة

للبيتين – وهما البيتان ١٨ و ١٩ من كلمة أعشى باهلة – هي رواية الأصمعيات ٩٠ ، والكامل للمبرد ١٤٣١ وغيرهما . وقد روي البيتان كما ذكرهما المحقق في تعليقه ، انظر حاشية محققي الأصمعيات .

١٧ – ص ٤١ س ٢ : « وكانوا شعراء شُجَعةٌ » صوابه « وكانوا شعراءَ شَجَعَةً » بالتحريك ، أو « شجْعة » بتثليث الشين وإسكان الجيم ، انظر التاج (ش ج ع) .

١٨ – ص ٤٣ س ٩ : « غزا معاوية بن عمرو الشريدي ، وهو أخو خنساء مرَّةً فزارة » وعلق المحقق على « فزارة » بقوله : في الأصل : « وفزارة » .

قلت : الظاهر أن المحقق قرأ « مَرَّةً » فنونها نصبًا على الظرف و « فزارة » مفعول « غزا » ، وهو خطأ .

والصواب مافي الأصل : « مُرَّةَ وفزارةَ » ، وكذا في الكامل للمبرد ١١٥٠ ، وعبارة أبي عبيدة فيما حكاه عنه صاحب الأغاني ١٥/ ٨٧ : بني مُرَّة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة .

١٩ – ص ٣٥ س ١١ « .. من بني الدُّؤل بن حنيفة » . صوابه « الدُّول » بغير همز في هذا الموضع وغيره من المواضع التي وقع فيها هذا الخبر ، انظر الأنساب ٥/ ٥٦٥ ، وسمط اللآلي ٦٦ ، وطبقات فحول الشعراء ١٢ ، والإيناس ٨٦ – ٨٧ ، ومختلف القبائل ومؤتلفها ٤٦ – ٤٧ .

٢٠ – ص ٥٤ س ٢ – ٣ « فكان رجل من السَّواقط من بني نفيل بن عمرو أتى قائد الجرباء وهي الكتيبة عمير بن سلميّ بن عمرو ... » .

علق المحقق على قوله « من بني نفيل بن عمرو » : « في الكامل : من بني بكر بن كلاب ... » . قلت صوابه : « من بني أبي بكر بن كلاب . هذا ماوقع في أكثر نسخ الكامل ٤٦٢ . ووقع في النسخة ج من نسخ الكامل : « من بني أبي بكر بن كلاب [أو من بني نفيل بن عمرو . الشك من أبي

العباس] » . وفي النسخة هـ كذلك مع زيادة : « ... نفيل بن عمرو بن كلاب ... » وهذا موافق لما في الديباج .

٢١ - ص ٥٤ س ٥ « فقال قُرَين بن سلميّ » وعلق المحقق على « قرين » بقوله : « قال المبرد : « في رواية عن الأخفش : « قَرِين » ووجدته بخط (داماذ) صاحب أبي عبيدة « قرين » بضم القاف وفتح الراء » اهـ .

قلت : هذه عبارة مختلة مخلة . وعبارة أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش فيما علقه على الكامل ٤٦٢ : « قال أبو العباس : قَرِين . ووجدته بخط دماذ رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة : قُرَين . ودماذ لقب » .

٢٢ - ص ٦٥ س ٩ قول سُبَيع بن الخَطيم :

إيها فداء لكم أمي وماولدت   فالحمد يبقى وناد الذم في حور

كذا وقع وصوابه : فالحمد يبقى وزاد القوم في حُورِ .

ولم يرد هذا البيت في المصادر التي خرج منها المحقق أبيات سبيع ، وقال في هذه الأبيات :

واستعجلوا عن حثيث المضغ فازدردوا   والذم يبقى وزاد القوم في حُورِ

انظر المصادر التي ذكرها المحقق ، وأدب الكاتب ٣١٦ ، والاقتضاب ٣٧٣ .

٢٣ - ص ٦٩ س ٤ قول بدر بن حمراء الضبّي :

فمن يك مبنيًّا به بنت جاره   فإني امرؤ عن بنت جاري جافر

كذا وقع ، وهو تحريف صوابه : « بَيْت جاره ... عن بيت جاري ... » كما في النقائض ١٩٧ ، وبيت الرجل : امرأته . ورواية المحبر ٣٥٥ : « عِرْس » في الموضعين .

وقوله « جافر » فسره المحقق بقوله : « الجافر : الفحل من الإبل : هو الذي يكثر الضراب حتى ينقطع » . كذا قال : وهو صحيح في اللغة ، وحمل جافر في البيت عليه غريب . ومعنى جافر في البيت : ممتنع عادلٌ عن بيت جاره ، قال أبو عبيدة في النقائض : « فإني امرؤ جافر عن ذاك كما يجفر الفحل عن إبله إذا أعرض عنها وعدل بعدما يلقحها » .

٢٤ – ص ٧٢ السطر قبل الأخير « فإذا روي فشدّوا ، ففعلوا ، فورد حتى قام قائم الظهيرة ، حتى امتلأ وجعل يصب الماء ... » .

وفيه تحريف وسقط ، وصوابه كما في المحبر ٤٣٣ : فورد حِينَ قام قائم الظهيرة ، فشرب حتى امتلأ ...

٢٥ – ص ٧٤ س ٤ – ٧ « وفاطمة بن الحارث الأنمارية ... ولدت الكَمَلَة من بني عبس ، ولم يوجد – كان – مثلهم غيرهم ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب [وقيس الحفاظ] وأنس الفوارس بن زياد ، وكان يقال لعمارة دالق ... » .

قوله « ربيع الحِفَاظ » كذا وقع أيضًا فيما حكاه المبرد في الكامل ٢٩٥ عن أبي عبيدة ، وكذا وقع في فصل المقال ٩٠ . والذي في النقائض ١٩٣ أنّ الربيع يدعى « الكامل » ، وكذا قال غيره ، انظر ماعلقناه على الكامل ٢٩٥ .

وقوله « [وقيس الحفاظ] » زيادة مخلة خاطئة ، ربما أغرى المحقق بزيادتها أن من الناس من يجعل الكَمَلَة أربعة ، انظر المحبر ٤٥٨ ، والدرة الفاخرة ٢/ ٤١٠ ، وشرح القصائد السبع ٥٠٥ . وهم ثلاثة عند أبي عبيدة وغيره ، ولم يعدّ قيسًا منهم في النقائض ٢٩٣ ، وكذا ذكر المبرد في الكامل ٢٩٥ عن أبي عبيدة ، وكذا في الأغاني ١٧/ ١٧٩ ولم يعز ذلك إلى أحد . ونص كلام أبي عبيدة هنا يشهد أنهم عنده ثلاثة .

٢٦ – ص ٨٥ س ٦ « ولم يعلم عكاظي على فداء ابن حاجب » هذا تحريف صوابه : « أغلى فداء من حاجب » . قال المبرد في الكامل ٥٩٧ « فزعم أبو عبيدة أنه لم يكن عكاظى أغلى فداء من حاجب » . وانظر مايأتي في الكتاب ١١٣ .

٢٧ – ص ١٠٥ السطر قبل الأخير « ووثب كل قوم على من فيهم من الحبشة فأبادوهم ... » وذكر المحقق أنه كان في الأصل « فأباروهم » .

ومافي الأصل صواب محض أي أهلكوهم ، فلا يعدل عنه .

٢٨ - ص ١١٣ س ١ - ٤ « أغلى العرب فداء ثلاثة حاجب بن زرارة ابن عدس ، وبسطام بن قيس الشيباني ، وحبيش بن الدلف الضبي . وكان فداؤهم - فيما يقول من المقلل -: مائتي بعير . والمكثر : أربعمائة .

قوله « من المقلل » كذا وقع و « من » مقحمة ، والصواب : فيما يقول المُقَلِّلُ مائتي بعير وثلاثمائة ، والمُكَثِّرُ أربعمائة .

٢٩ - ص ١١٨ س ٦٥ « أحجار العرب صَخْر وجَنْدل وحَجَر وجَرْوَل ، وهم بنو نهشل بن دارم » .

قوله « وحجر » ليس من كلام أبي عبيدة ، وهو مزيد فيه ، زاده من لاعلم له . وليس في بني نهشل من يسمى حَجَرًا . قال في النقائض ١٨٧ : « وبنو نهشل ستة ، منهم جندل وصخر وجرول ، وهؤلاء يسمون الأحجار ، وقطن وزيد وأُبير » اهـ وانظر تسميتهم بالأحجار في النقائض ٧٤٨ ، ٧٧٢ ، وجمهرة اللغة ٢/ ٥٤ ، والاشتقاق ٢٥٠ ، ٥٦٦ ، والمخصص ١٦/ ١٠٣ ، والمحبر ٤٦٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٨٧ ، وفرحة الأديب ١٩١ ، وسفر السعادة ١٠٣٥ .

٣٠ - ص ١٢١ س ١٠ قول الشاعر :

قتلنا به خير الضبيعات كلها ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

البيت من أبيات للقيط بن زرارة أنشدها أبو عبيدة فيما يأتي من كتابه ص ١٥١ .

٣١ - ص ١٣٤ س ١٠ - ١١ « وعباد بن حصين الحَبِطي » كذا ضبطه المحقق بكسر الباء ، والصواب « الحَبَطِيّ » بفتحها ، انظر اللباب ١/ ٣٣٦ .

٣٢ - ص ١٤٥ س ٢ - ٣ « ثم كان حذيفة بن بدر رئيس القوم ، وله يقال :

لأصرفن إلى حذيفة مدحتي لفتى العشي وفارس الأحزاب »

كذا وقع أيضًا في مغني اللبيب ١٨٨ ، واللسان (س و ى) وفيهما « سوى حذيفة » . وقافيته مغيرة ، والرواية : « ... سوى حذيفة ... وفارس الأَجْرافِ » وهو بهذه الرواية في الأمالي الشجرية ١/ ٢٣٦ .

وهو من أبيات لرجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة ابن مكدم فيما ذكره صاحب الأغاني ١٦/ ٥٩ ونقل عن أبي عبيدة قوله : وزعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت يحض على قتله ، ونقل عن الأثرم قوله : وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم . وهي في ديوان قيس بن الخطيم ١٢٧ ، وديوان حسان - إضافات ٣٩٢ ، وانظر كلام البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب ٣/ ٢٢٠ .

وقوله « إلى حذيفة » كذا وقع في الأغاني (وغيرٌ في طبعة الدار من غير إشارة ، انظر تعليق محقق ديوان قيس) وزعم البكري في سمط اللآلي ٥٠٦ أن قائل البيت قال « إلى » وأن « سوى » موضوع ، قال البغدادي : « ومع نقل هؤلاء الأئمة لايلتفت إلى إنكار أبي عبيد البكري ... » فنقل كلامه ورَدَّه .

* * *

أخطاء طباعية

وأما ما وقع في الكتاب من وهم في الضبط ، وخطأ في الطبع ، وسقط في بعض المواضع = فهو كثير . وهذا ذكر أمثلة يسيرة منه :

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٨ من المقدمة، الحاشية	شكٌّ	شَكًّا
١٠ من المقدمة/ ١٤	أبو عثمان	أبا عثمان
١٣ من المقدمة/ ١١	العارف بن المطلع	العارف المطلع ، بحذف «بن»
٣٥ من المقدمة/ ٧	لأبي	كأبي
١٣ من الكتاب/ ٤	ومَنْسَبَة	ومنسِبة

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٢٢/ ٦ ، ٨	وسمٌّ	سمٌّ ، بحذف الواو
٢٤/ ٢	فيتظلم	فينظلم ، بالنون
٢٦/ ٢	مثلَ	مثلِ ، بالجر
٢٦/ ٥	حاتمُ	حاتمِ ، بالجر
٢٧/ ١	سمي ناجر	ناجرًا
٢٧/ ٧	ناجورها	ناجودُها
٢٧/ ٨	وقدا	وَقَدَى (والبيت في اللسان شاهد على وقدى كبشكى)
٢٨/ آخر سطر	أحدُ بني بكر	أحـدَ
٣٨/ ٣	الرُّزميان	الرِّزَامِيّان
٣٩/ ٣	لأنبأتكم إنّ هذا أوفى	أنَّ ، بفتح الهمزة
٤١/ ١	السلكةَ	السلكـةِ
٤١/ ٦	لم ألقهما	لمَ أَلْقَهمـا
٤١/ ٩	من غرضِ	عن غرضِ
٤٢/ ٣	كُرَّ عنترةَ	عنتــرةَ
٤٣/ آخر سطر	خِفاف	خُفاف
٤٥/ ٥	لا أَدِيَهُ ابنُ أفال	لا أَدِيـهِ ابـنَ إفَــال
٤٦/ ٤	عمير بن سَلْمى	بن سُلْمِيّ
٤٧/ ٣	قطين امرؤ القيس	امرئ القيس
٤٧/ آخر سطر	فوالله لأقْتُلَه	لأَقْتُلَنَّه
٤٨/ ٧	أُورِدٌ لونَ	أَوْرَدٌ لَوْنُ
٥١/ ٥	اللَّفّاع	اللِّفاع
٥٦/ ٩	لم يطبع	لم تطبع

الصفحة والسطر	الخطـأ	الصـواب
٦٠/ آخر سطر	وبعـد	بعد ، بحذف الواو
٦٢/ ٥	لم يؤسيوه	يؤيسوه
٦٣/ ١١	من أمه	مِنْ آمِّه
٦٤/ ٥	حين	حيث
٦٥/ ١	قَسَماتهم	قَسِماتهم
٧١/ ٨	حتى	حين
٧٥/ ٥ ، ٦	خبئية	خَبيئَة ، أو خَبِيَّة
٨١/ ٦	يُنْمِيه	يَنْمِيه
٨٢/ ٤	غُنّي	غَنِّي
٩٠/ ١١	لخيرِنا	لَخَيْرُنا
٩١/ ٢	توهنن	تُذْهِبَنَّ
٩١/ ٣	وإن	إنْ ، بحذف الواو
٩١/ ٨٧	السندريّ ، الجعفريّ	السندرِيْ ، الجعفرِيْ
٩٢/ ٥	مهنوة	مَهْنُوءَة
١٠٠/ ١	فنفره جريرًا	فنفر جريرًا
١٠٠/ ٣	لأبي	لَأْيٍ
١٠٤/ ١٠	في شجونك	سجونك
١٠٨/ ٢	لكنّ	لكـنْ
١١١/ ٥	أم الرجالُ	الرجالَ
١١١/ ١٠	جُذيمة	جَذِيمة
١١٣/ ٥	حاجب زرارة	حاجب بن زرارة
١١٤/ ٤	بنو شيبان	طما بنوشيبان
١١٦/ ٦	المَنقري	المِنْقَري

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
١٢٢/ ١٢	وبُسطام	وبِسْطام
١٢٣/ ٥	قتله كنانة	قتلته كنانة ، أو قتله بنو كنانة
١٢٦/ الحاشية ١	قراد بن حبش	حنش ، انظر تهذيب إصلاح المنطق ٨٢٧
١٢٨/ ٤	و لم يقدر تميمًا	و لم يَقُدْ تميمًا
١٣١/ ١	غُنيًا وباهلةً	غَنِيًّا وباهلةَ
١٣٤/ ١٠	تجمعه	يجمعه
١٣٧/ ٣	نغضبُ	نغضبِ
١٤٢/ ٢	فأيتها أمك	فأيتهما
١٤٣/ ٧	يُرى	تَرى
١٤٣/ ٨	حُزن	حَزْن
١٥١/ ٢	وبني أُسَيّدِ	أسَيِّدَ
١٥١/ آخر سطر	جدّعنا	جَدَعْنا
١٥٧/ ١٣	لمن نكن	لم نكن

* * *

هذا مارأيت ذكره من المواضع التي كنت أصلحتها خلال قراءتي للكتاب ، و لم أُعْنَ بتتبع ما وقع فيه . ومنه كما ذكرت مالا تنفع فيه الحيلة .

وعلى مابذله الدكتور المحقق الفاضل في تحقيق الكتاب والتعليق عليه من جهد – وهو جهد مشكور محمود – فلم يزل في حاجة إلى أن يرجع النظر فيه ويطيل التأمل في بعض مواضعه .

وإنَّ إخراج كتاب لأبي عبيدة عن نسخة وحيدة سقيمة ، وفيه أخبار وأشعار انفرد بها لَعمل شاق عسير صعب وعر المسالك لا يؤمن فيه العثار . ومِثْلُ الدكتور الفاضل مَنْ يُطْلَبُ منه مالا يقدر عليه كثير ممن أثبت على غلاف كتاب أخرجه « حقّقه فلان » ، وهو لم يحسن قراءة مافيه بله تحريره وتحقيقه .

أرجو أن أكون أصبت في بعض ماقلت ، والخير أردت ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصـــادر

أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، حققه وعلق عليه الدكتور محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٢ .

الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٨ .

الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، دار الكتب المصرية ، طبعة مصورة عنها ، مؤسسة جمال للطباعة ببيروت .

الاقتضاب ، لابن السيد البطليوسي ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى في دار الجيل ببيروت ١٩٧٣ .

الإكمال ، لابن ماكولا ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني ، مصورة عن طبعة حيدر آباد ، وحقق الجزء السابع وهو الأخير نايف العباس ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت .

الأمالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدرآباد ١٣٤٩هـ .

الأنساب للسمعاني ، حقق ستة أجزاء منه الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني طبعت في حيدر آباد ، وحقق آخرون أربعة أخرى منه ، و لم يتم فيما أعلم ، ونشر جميعها أمين دمج في بيروت ١٩٨٠ .

الإيناس بعلم الأنساب ، للوزير ابن المغربي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٨٠ .

تاج العروس ، للمرتضى الزبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .

تهذيب إصلاح المنطق ، للتبريزي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٣ .

توضيح المشتبه ، لابن ناصر الدين ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٦ .

جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ .

جمهرة اللغة ، لابن دريد ، حيدرآباد ١٣٤٤هـ .

الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٥ .

خزانة الأدب ، للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩هـ .

خزانة الأدب ، للبغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الأجزاء ١ - ٧ طبعت في الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ ، و ٨ - ١١ مع الفهارس طبعت في مكتبة الخانجي في القاهرة ١٩٨١ - ١٩٨٦ .

الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ، لحمزة الأصبهاني ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ديوان جرير ، تحقيق الدكتور نعمان طه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين ، القاهرة ١٩٧٤ .

ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٢ .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، دار الفكر بدمشق ١٩٦٨ .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

سفر السعادة وسفير الإفادة ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

سمط اللآلي ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦ .

شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافي ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦ .

شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٦ .

شرح القصائد التسع ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، دار الحرية ببغداد ١٩٧٣ .

شرح القصائد السبع ، لابن الأنباري ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه العلامة محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٤ .

فرحة الأديب ، للأسود الغندجاني ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، دار قتيبة بدمشق ١٩٨١ .

فصل المقال ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧١ .

الكامل ، للمبرد ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٦ .

الكتاب ، لسيبويه ، بولاق ١٣١٦هـ .

اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ، دار صادر ببيروت .

لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ببيروت .

المحبر ، لابن حبيب ، تحقيق الدكتورة إيلزة ليختن شتيتر ، حيدر آباد ١٩٤٢ .

مختلف القبائل ومؤتلفها ، لابن حبيب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني .

المخصص ، لابن سيده ، بولاق ١٣٢١هـ .

معجم الشعراء ، للمرزباني ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٠ .

مغني اللبيب ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ببيروت ١٩٧٩ .

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ .

النقائض ، لأبي عبيدة ، تحقيق بيفان ، ليدن ١٩٠٥ .

تعليقات على المواضع في : شعر الأحوص الأنصاري (٢)

الشيخ حمد الجاسر*

صدر « شعر الأحوص الأنصاري » في عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، في طبعة مزيدة ومنقحة ، بتحقيق د. عادل سليمان جمال .

وقد قام الشيخ حمد الجاسر بكتابة تعليقات قيمة على المواضع المذكورة في هذا الشعر والواقعة في الجزيرة ، متتبعًا في ذلك ماندَّ عن د. عادل ملتمسًا له العذر « وللأستاذ الكريم واسع العذر في خفاء بعضها » .

نشرنا الجزء الأول من التعليقات في المجلد ٣٤ ، وننشر هنا المجلد الثاني ، ونترك الجزء الثالث والأخير للمجلد ٣٦ .

« المجلة »

* علم من أعلام الدراسات الجغرافية التراثية ، وبخاصة في ميدان تحديد المواضع الواقعة في الجزيرة العربية . ألف الكثير ، وحقق نصوصًا عديدة من التراث الجغرافي العربي .

٣٨ - السفح : (١٤١)

تقدم شاهده في (الريان) ، وأشرت إلى استبعاد ماذكره المحققان الكريمان من أنه المكان الذي وقعت فيه وقعة بين بني بكر بن وائل وبين بني تميم ، إذ ذلك الموضع في شرق الجزيرة ، حيث مجال العراك بين القبيلتين المتجاورتين عند ظهور الإسلام .

ولكثرة تحريف الأسماء في « معجم ما استعجم » المصدر الوحيد الذي ورد فيه البيت المنسوب للأحوص وفيه ذكر السفح لا أستبعد أن تكون الكلمة مصحفة عن السُّنْح أو السيح وهذان موضعان معروفان من مواضع المدينة ذكرهما صاحب « وفاء الوفاء » ، والشاعر مدني أكثر المواضع الواردة في شعره حول المدينة .

هذا إن صَحَّ أنَّ البيت للأحوص .

٣٩ - سَلْع : (١٨٣)

أقولُ بِعَمَّانٍ وَهَلْ طَرَبِي بِهِ إلَى أَهْلِ سَلْعٍ إنْ تَشَوَّقْتُ نَافِعُ ؟

(عمَّان بلد بطرف الشام كانت قصبة أرض البلقاء .. سلع : جبل بسوق المدينة) .

القول بأن جبل سلع (بسوق المدينة) لياقوت ، وأقرب منه إلى الصحة قول الأزهري والبكري : جبل بقرب المدينة . وقال السمهودي : جبل معروف بالمدينة .

ومن الرسم الجغرافي المرفق بهذا يتضح أن جبل سلع لايزال خارج المدينة ، فضلا عن أن يكون داخل سوقها .

٤٠ - ذُو سَلَمٍ : (١١٢)

وَقَدْ عَجِبْتُ لِمَا قَالَتْ بِذِي سَلَمٍ وَدَمْعُهَا بِسَحِيقِ الْكُحْلِ يَطَّرِدُ

وكرر الشاعر ذكر الموضع (٢٥٢/ ٢٥٤/ ٢٥٦) ثلاث مرات ، ولم يذكر معه من المواضع سوى (خاخ) في قوله :

لَيْسَتْ لَيَالِيكَ مِنْ خاخٍ بِعَائِدَةٍ كَمَا عَهِدْتَّ ، وَلَا أَيَّامُ ذِي سَلَمٍ

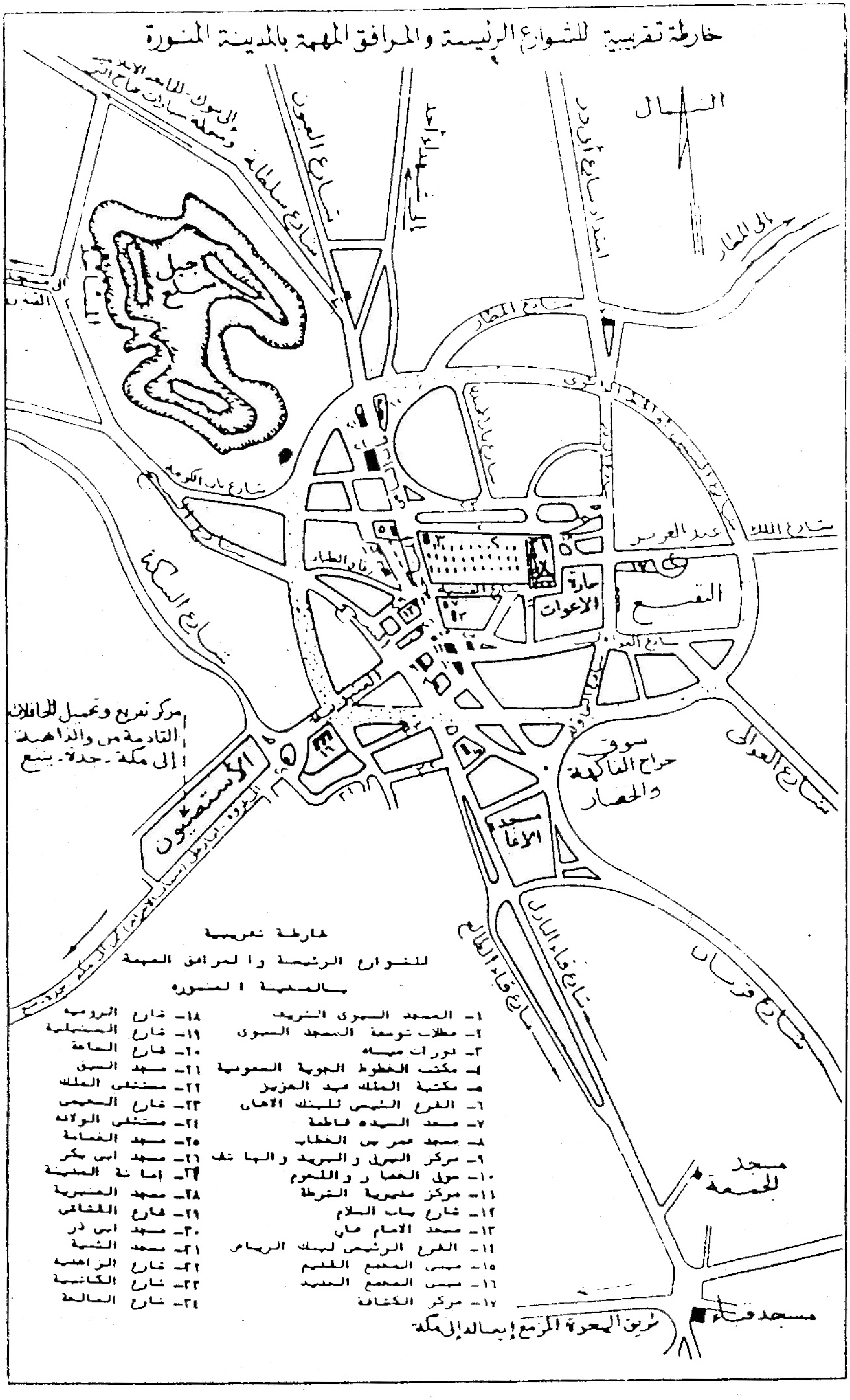

أخذت هذه الخارطة من كتاب دليل المدينة المنورة من إعداد الأستاذين عبيد محمد أمين كردي وعبد العزيز كابلي.

والقول بأنه وادٍ في الحجاز لعل أول من قاله الحازمي ، ولكنه أضاف : له ذكر في أشعارهم ، ثم نقله ياقوت والفيروزآبادي وأضافا : قال الشاعر :

وَهَلْ تَعُوْدَنْ لُيَيْلَاتِي بِذِي سَلَمٍ كما عَهِدتُّ وَأَيَّامِي بِهَا الْأُوَلُ

وقال الرَّضيُّ :

يَاظَبْيَةَ الإِنْسِ هَلْ أُنْسٌ أَلَذُّ بِهِ مِنَ الْغَدَاةِ فَأُشْفَى مِنْ جَوَى الْأَلَمِ
وهَلْ أَرَاكٌ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ وَهَلْ يَعُوْدُ تَسْلِيْمُنَا يَوْمًا بِذِيْ سَلَمِ

وأتى صاحب « تاج العروس » فاقتصر على القول : وإِياه عنى الأبوصِيْرِي في بُرْدَتِهِ :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيْرَانٍ بِذِي سَلَمِ

و لم يُعْنَ أحدٌ من أولئك بتحديد موقع ذي سلم من الحجاز ، ولا بتعليل كثرة وروده في شعر المتأخرين .

والواقع أنَّ نفوس الأُتقياء تهفو لذكرى المواضع التي لها صلة بالمواطن المقدسة في المدينتين الكريمتين، وذُ وسلم ذُو صلة بها، فقد مر به رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة، وجاء في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام-١/٤٩١-: (ثم سلك بهما مَرْجَحَ مَجَاحٍ، ثم تبطن بهما مَرْجَحَ ذِي الْغَضَوَيْنِ (العضوين) ثم بطن ذِي كِشْرٍ ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الأَجْرَد ، ثم سلك بهما ذَا سَلَم من بَطْنِ أَعْداءِ مَدْلَجَةِ تِعْهِنَ، ثم على العبابيد (العبابيب) ثم أجازبهما الفاجة (القاحة) ثم هبط بهما العرج) .

وكل هذه المواضع على مادخل في أسمائها من تحريف لاتزال معروفة ، وهي كما ينطقها أهل تلك الجهة : مرجح ومجاح ، والعَصَوَيْن ، وأم كِشْدٍ - بالدال - وجداجد .

أما ذو سلم فيعرف باسم (أم السلمة) - واحدة السَّلَم - وهو تلعة كبيرة تصب في (أُجيرد) الوارد في الخبر باسم الأجرد ، وهو فرع من فروع وادي ثَقِيْبٍ ، وقد

مررت بتلك المواضع سنة ١٣٨٦ حين أردت تحديد مواضع طريق الهجرة فوصفتها — انظر « العرب » س ١ ص ٥٩٢ —

من هنا تكرر ذكر ذي سلم بين المواضع التي يذكرها الشعراء والصوفية وغيرهم كغيره من المواضع الأخرى التي لها صلة بالحجاز ، مثل وادي الأراك ونَعْمان والحاجر والنقا ، ولكن ذكر هذه المواضع عند هؤلاء الشعراء وغيرهم ليست مقصودة بذاتها بل لصلتها بالأماكن المقدسة ، ولهذا فهم يخلطون بينها وبين مواضع بعيدة عنها كما في قول البوصيري :

أَمْ هَبَّتِ الرِّيْحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

فقد جمع بين موضعين أحدهما في غرب الجزيرة وهو إضم والآخر في شرقها وهو كاظمة في شمال الكويت ، وكقول الشريف الرَّضِيِّ :

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيْهِ بِذِي سَلَمٍ مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعدتَّ مَرْمَاكِ

وما أرى الشاعر الأحوص سار على طريقة أولئك الشعراء ، وإنما تذكر موضعًا من مراتع لهوه ومرابع صباه .

وذو سَلَمٍ — كما هو معروف : الموضع الذي ينبت فيه شجر السلم ؛ شجر العضاه المعروف ، وما أكثر الأودية التي تنبت السلم ، إلا أن بالقرب من المواضع التي كرر الشاعر ذكرها في شعره موضعا يُدْعَى ذَا سَلَمٍ ، وهو في أعلى وادي العقيق بقرب مُزْج وخاخ وما حولهما من المواضع التي ذكرها الشاعر ، فقد جاء في شعر معن ابن أوس :

تَأَبَّـدَ لأْيٌ مِنْهُـمُ فَعُتَايِـدُهْ فَذُوْ سَلَمٍ أَنْشَاجُـهُ فَسَوَاعِـدُهْ
فَذَاتُ الْحَمَاطِ خَرْجُهَا فَطُلُولُها فَبطْنُ النَّقِيْـعِ قَاعُـهُ فَمَرائِـدُهْ

— على اختلاف في ضبط الأسماء —

وهذه المواضع الوارد ذكرها في شعر معن كلّها في وادي العقيق في النَّقيع ، الموضع المعروف ؛ والسمهودي في « وفاء الوفاء » — ١٠٦٩ لَمَّا ذكر الأودية التي تسيل

في العقيق قال مانصه : (ثم أعشار ثم رِيم ، ثم لَأْي ، ثم ذُو سلم النظيم ثم ذو يدوم) وتحدث - ١٠٢٧ - عن أعشار فذكر أن رسول الله ﷺ صلّى في كهفه ، وأنه من الأودية التي تصبُّ في وادي العقيق في القبلة مما يلي المغرب قرب النقيع ، ورِيْم وادٍ لا يزال معروفا . ولأْيٌ وذو سَلَمٍ بين رِيْم وبين المدينة فهما - إذَنْ - في ضاحيتها من تلك الجهة ، على مقربة من موقع خاخ الذي سبق تحديده .

٤١ - سَنَام : (٢٣٧)

أَحُلُّ النَّعْفَ منْ أُحُدٍ وَأَدْنَى ... مَسَاكِنُهَا الشُّبَيْكَةُ أَوْ سَنَامُ

(والشبيكة منزل من منازل حاج البصرة بينه وبين وجرة أميال ، وسنام جبل لبني دارم بين البصرة واليمامة) .

ما أبعد الشقة بين البصرة واليمامة ! واسم سنام يطلق على مواضع منها هذا الجبل الذي قال عنه نصر : إنه قريب من البصرة يراه أهلُها من سطوحهم ، ومنها جبل بين ماوان والرَّبَذَة وَوَهِمَ ياقوت حين قال - أو نقل -: أنه بالحجاز ، فَمَاوَانُ والربذة في سرة عالية نجد ، وسنام هذا يُعَدُّ من أعلام حمى الرَّبَذَة ، وهو في مهب الشمال منها على نحو أربعة عشر ميلا كما نقل صاحب « وفاء الوفاء » عن الهجري . ويظهر أن بقرب سنام هذا الذي لايزال معروفا مَنْهلا يُسَمّى سَنَامًا قال فيه الراجز :

شَرِبْنَ مِنْ مَاوَانَ مَاءً مُرَّا ... وَمِنْ سَنَامٍ مِثْلَهُ أَوْ شَرَّا

ولا يزال هذا الجبل معروفا (يقع بقرب خط الطول $\frac{١٠}{}$ / ٤١° وبقرب خط العرض : $\frac{٤٥}{}$ / ٢٤°) .

ويظهر أنه هو المراد بقول الشاعر الأحوص ، فهو أقرب إلى الشُّبيكة من سَنَامٍ القريب من البصرة .

٤٢ - السَّنَدُ : (١٣٧)

غَشِيتُ الـدَّارَ بِالسَّنَـدِ ... دُوَيْنَ الشِّعْبِ مِنْ أُحُدِ

(السند موضع مر ذكره – ق ٢٤) وهناك قال : (السند بلد معروف بالبادية ، وقال الأديبي : ماء معروف لبني سعد) – ١١٠ .

لقد أوضح الشاعر أنه لم يَقْصِدْ وَاحدًا من الموضعين اللذين ذكرهما المحقق ، فحدَّد موقع السند بأنه دُوَيْنَ الشِّعْب من أحد ، إذَنْ هو قريب من أحد جبل المدينة المعروف ، وهو لايقصد موضِعًا بعينه وإنما يقصد الأرض المرتفعة في قُبُل الجبل أو الشعب ، أي يقصد المعنى اللغويَّ للسَّنَدِ .

٤٣ – سُوَيْقَةُ : (١٣١)

تَحُلُّ بخَاخٍ أَوْ بِنَعْفِ سُوَيْقَةٍ وَرَحْلِي بِبَيْشٍ أَوْتِهَامَةَ أَوْنَجِدِ

(نَعْف سُويقة : النَّعْفُ ما انحدر عن السفح وغَلُظَ ، وكان فيه صعود وهبوط ، وسويقة : موضع على مقربة من المدينة ، وبها كانت منازل بني حسن بن حسن بن علي – البكري : سويقة) .

يطلق اسم سُوَيقة على مواضع كثيرة ، ولا يعني الباحث هنا سوى مايتعلق بقول الشاعر الأحوص ، فهناك موضعان يعرفان بسويقة ، قريبان من المدينة من منازل بني حسن بن علي بن أبي طالب .

الموضع الأولِ : سُويقة الواقعة في بلاد يَنْبُع ، وهذه كانت من جملة صدقات علي – رضي الله عنه – كما ذكر ياقوت في « معجم البلدان » ثم كانت لأحفاده بني حَسَن من بعده وهي بلاد واسعة ، كان فيها إلى عهد قريب ثلاث عُيون جارية ، وكانت سويقة هذه منزل الشاعر محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي – انظر ترجمته في « الأغاني » ١٦/ ٢٨٢ط . الثقافة في بيروت – وقد خرج هذا على المتوكل فهزم وأُخْرِبَتْ سُوَيْقَةُ .

وسويقة هذه هي التي ذكر البكري أن البثنة تلقاء سويقة فالبثنة عَيْن ما هولة بقرب سُوَيقة هذه ، معروفة الآن . وهي غير بثنة الشام . وقد استقر في سويقة منذ عهد قديم بعض أحفاد الإمام علي ، ومنهم إبراهيم أخو النفس الزكية الذي كثرت ذريته

حتى كوَّنُوا فرعا كبيرًا يعرف ببني إبراهيم ، دخلوا في قبيلة جهينة – وقد تحدثتُ عن سويقة هذه في كتاب « بلاد ينبع » .

أما الموضع الثاني المعروف باسم سويقة فيقع في أسفل وادي حَوْرة الشامية . وسويقة هذا الموضع كانت عينا لعبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب .

وهي تقع على طريق سويقة الأولى للمتجه منها إلى المدينة . فحورة من أودية الأشعر القبلية التي تجتمع بوادي مَلَلٍ ، ثم بوادي إضَمٍ حيث تجتمع سيول المدينة .

ويظهر أن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن الذي خرج على المنصور كان يسكن سويقة هذه ، وقد خربتْ أيضًا بعد هزيمته ومقتله ، ولعلها هي التي ورد فيها الخبر الذي ساقه ابن جرير عن موسى بن عبد الله بن حسن في « تاريخه » –٧/٦٠٣ : قال : (خرجتُ من منازلنا بسويقة في الليل ، وذلك قبل مخرج محمد بن عبد الله ، فإذا بنسوة كأنما خرجن من ديارنا ، فأخذتني عليهن غَيْرةٌ ، فإني لأتبعهن انظر أين يُرِدْنَ ، حتى إذا كُنَّ بطرف الحُميراء من جانب الفرش ، التفتت إليَّ إحداهنَ ، فقالت :–

سُوَيْقَةُ بَعْدَ ساكِنِها يَبابُ ⁂ لقَدْ أَمْسَتْ أَجَدَّ بِهَا الخرابُ

فعرفتُ أنهن من ساكني الأرض ، فرجعت) . انتهى . فهذه بجهة الفرش بقرب حورة ، وسويقة هذه ليست في متسع من الأرض ، بحيث تنطبق عليها الأقوال الواردة عن بعض المتقدمين ، في ذكر دورها ومنازلها وكثرة نخيلها ، كما يفهم من قول ياقوت عن خروج محمد بن صالح على المتوكل : (فأنفذ إليه أبا الساج في جيش ضخمٍ ، فَظَفِرَ به وبجماعة من أهله ، فأخذهم وقيدهم ، وقتل بعضهم ، وأخرب سويقةَ وهي منزل بني الحسن ، وكانت من صدقات علي رضي الله عنه ، وعقر بها نخلاً كثيرًا وخرب منازلهم) – « معجم البلدان » رسم (سويقة)–.

ويظهر أنه وقع خلط بين الموضعين في كلام بعض المتقدمين . إذنْ سويقتان هاتان كانتا من منازل بني حسن ، وكلتاهما على مقربة من المدينة إلا أن الأخيرة أقرب ،

ولعلها هي التي عناها الأحوص ، فهو لم يذكر أنها بلدة وإنما أضاف إليها نَعْفًا وهو المكان المرتفع مما يدل على أن الاسم كان يطلق على جبل صغير أو هضبة ذي نَعْفٍ ، ولعله الوارد في قول ياقوت : (سويقة جبل بين ينبع والمدينة ، قريب من السَّيَّالة) ثم شمل اسم عين واقعة بقربه ، وقد درست هذه العين ، ويقال بأن آثارها لا تزال مشاهدة ، وتقع سويقة هذه على يمين المتجه من المدينة إلى مكة حين يقبل على الفُرَيْشِ ، وتبعد نحو خمسين كيلاً من المدينة بقرب خط الطول : ١٣/ ٣٩° وخط العرض : ٣٠/ ٢٤° .

٤٤ - السَّيَّرانِ : (١٥٩)

أَقُولُ لِعَمْرٍو وَهْوَ يَلْحَى عَلَى الصِّبَا ... وَنَحْنُ بِأَعْلَى السَّيَّرَيْنِ نَسِيْرُ

(... السَّيَّرَيْنِ : قال ياقوت : بلفظ التثنية ، ولا أَدْرِي ما حكمه كذا وجدته . واستشهد بشعر الأحوص) .

السَّيَّران - كما يفهم من البيت وكما ذكر الصاغاني وغيره : اسم موضع . وأرى أنَّ الشاعر غَلَّبَ موضعا يسمى (السَّيَّر) بِآخر بقربه فثناهما ، وفي جهة المدينة في الطريق إلى بدر موضع ورد في « السيرة النبوية » ١/ ٦٤٣ -:

(ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المَضيق والنازِيَة يقال له سبر ، فقسم هناك النفل) - في خبر قفوله من بدر إلى المدينة - وقد اختلف المتقدمون في ضبط اسم الموضع ، هل هو بالموحدة أو بالمثناة التحتية ، وهل الحرف الثاني مشدد مكسور أم مخفف مفتوح ، فذكر نَصْرٌ في كتابه أنه بفتح السين المهملة والباء الموحدة المشددة المكسورة، ثم راء (سَبِّر) . أما الحازمي فذكر أنه بفتح السين المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان مشددة مكسورة - (سَيِّر) وأضاف : (وقد يخالف في لفظه) . وأورد الفيروز آبادي في « المغانم » الاسم في موضعين بالباء الموحدة وبالياء المثناة التحتية ، ونقل كلام الحازمي ، وجاء السمهوديُّ صاحب « وفاء الوفاء » فنسب إلى الحازمي ما ليس في كتابه إذ نقل عنه : (وأما شَيِّر بفتح الشين المعجمة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مكسورة فكثيب بين

المدينة وبدر ..) إلى آخر الكلام ، وصوب السمهودي : أن الاسم (سَيَر) كَجَبَلٍ . وحدَّدَ موقعه قائلا : شِعْبُ سَيَرٍ هو المنزلة القديمة للحاج إذا رحل من المستعجلة ، ونزل في فركات الخيف ، وهناك بركة قديمة . وهذا الشعب بين جبلين تعرف بجبال المضيق علو الصفراء بينه وبين المستعجلة نحو نصف فرسخ . وذكر أن المستعجلة هي المضيق الذي يُنْزَلُ منه من النَّازية إلى الصفراء .

لست مطمئنًّا إلى أنَّ الشاعر قصد هذا الموضع بعينه ، وإنما أردتُّ لَفْتَ النظر إلى ماورد عن بعض المتقدمين بوجود موضع يطابق في الصيغة الموضع الوارد في شعر الأحوص ، ألْحَقَهُ المتقدمون بِبَذَّرَ وتَوَّجَ ، وهو (سَبَّر) على ماأشار إلى ذلك صاحب « التاج » حين قال : (سَبَّر ، كبقم : كثيب بين بدر والمدينة) . ونقل عن شيخه : يزاد على النظائر السابقة في توج وبَذَّر انتهى . وكذا يقال في (سَيَّر) أو (سبَّر) الذي ثَنَّاهُ الشاعر .

٤٥ - الشُّبَيْكَةُ : (٢٣٧)

أَحُلُّ النَّعْفَ مِنْ أُحُدٍ وَأَدْنَى ... مَسَاكِنُهَا الشُّبَيْكَةُ أَوْسَنَامُ

(... الشبيكَةُ : منزلٌ من منازل حاج الْبَصْرَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ وَجْرَةَ أَمْيَالٌ) .

اتفق المحققان على هذا ، وأصله في « معجم البلدان » نقلها عن أبي بكر بن موسى ، وهو الحازمي فقد ورد في كتابه « الأماكن » بنصِّه ، ويظهر أَنَّهُ عَوَّلَ فيهِ على نَصْرٍ الإسكندريِّ فهو في كتابه أيضًا ، ولكنه تحديد غير دقيق ، فالمسافة بين الشبيكة ووجرة تبلغ عشرات الأميال ، إذ بين الموضعين مرحلة ، كما فصَّل هذا صاحب كتاب « المناسك » - ٦٠١ - إذ قال : ومرَّانُ دون الشبيكة بثلاثة أميال ، وكان المنزل الأول فَحُوَّلَ إلى الشُّبيكة ، وبالشُّبَيْكَةِ آبار طيبة قريبة الماء . وعلى أحد وعشرين ميلا من الشبيكة موضع يقال له بُسْيَان فيه بركة وآبار ، وعن يساره جبال يقال لها النَّفراوات ، ومن الشبيكة إلى وَجْرَةَ أربعون مِيلا . انتهى .

وهذا الكلام مطابق للواقع ، فمرَّانُ داخلٌ في حَرَّةِ كُشُب ، وكُشُبٌ هذا يقع

على حَدِّ صَحْراءِ رُكْبَة العَرِيْضَة مِنَ الشَّرْق ، وَوَجْرَةُ على حَدِّهَا الغربيّ ، ورُكْبَةُ يزيد عرضها على أَرْبَعِينَ مِيْلًا ، وَمَرَّانُ وبُسْيَانُ والنَّفْرَاوَات لاتزال معروفةً ، الأخيران في وسط ركبة ، أمَّا الشُّبَيْكَة فقد تَغَيَّر اسمها ، فعرفت باسم الْجَفْر - بالجيم والفاء والراء - والجفر لُغَةً : البئر التي لم تُطْوَ . أمّا الشبكة ، فهي الآبار التي يُفضي بعضها إلى بعض ، والعامة كثيرا ما تُغيِّرُ اسْمَ الموضع الذي لاتدرك معناه إلى اسمٍ تَفْهَمُهُ . وموقع الشُّبَيْكَة - على وجه التقريب بقرب خط الطول : ٣٠/ ٤١° وبقرب خطِّ العرض : ٣٢/ ٢٢° .

وَوَجْرَةُ قد تَغَيَّر اسمها ، وكانت من أشهر منازل طريق الحج البصري ومن سلك هذا الطريق ، ومنها كان يُحْرِمُ بعض الحجاج ، ولهذا اهْتَمَّ بعض المتقدمين - كزُبَيْدَةَ وغيرها - بعُمْرَان الموضع ، بإنشاء البِرَك التي تجتمع فيها مياه الأمطار ، وببناء بعض القصور ، ولكن الخراب لإهمال سلوك ذلك الطريق حين اختل نظام الأمن بضعف الخلافة- قد أتى على ماعُمِّر ، فلم يبق سوى أطلاله التي تعرف الآن باسم (بِرْكة زبيدة) و (البركة) و (الخَرَاب) .

وتقع وجرة في الطرف الغربي من صحراء رُكْبَةَ ، شَرْقَ ميقات ذات عِرْقٍ (الضَّريبة) غير بعيدة ، بقرب خط الطول : ٤٥/ ٣٩° وخط العرض ١٢/ ٢٢° حيث تقع البِرْكة والخراب المعروفتان الآن .

٤٦ - *الشَّظَاة* : (٩١)

فَقَالَتْ تَشكّى غُربَةَ الدَّارِ بَعْدَمَا ... أَتَى دُوْنَهَا مِنْ بَطْنِ عَكْوَةَ مِيْثَبُ

قال المحقق : (وقال البكري : يروى : أَتَى دُوْنَهَا بَطْنُ الشَّظَاةِ فَمِيْثَبُ) .

وقال - ٢٥٤ - نقلا عن « وفاء الوفاء » ١١٢٧ - (إضمُ وادٍ بجبال تهامَةَ ، وهو الوادي الذي فيه المدينة ، ويسمَّى من عند المدينة القناة ، ومن أعلى منها عند السُّدِّ يسمى الشظاة ، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضَمًا إلى البحر) .

وهذا نقله ياقوت مَنْسُوبًا إلى السيد عُلَيّ بن وهَّاسٍ شيخ الزمخشري ، ولكن

يفهم منه أن اسم الشظاة يشمل قناة ، مع أنه في أول الكلام فرَّق بينهما . ويظهر أن في العبارة خَلَلًا ، وأنَّ صواب كلمة (الشظاة) الأخيرة (المدينة) ، يتضح هذا مما أورده السمهودي في « وفاء الوفاء » - ١١٢٧ - ونصه :

وفي « قاموس المجد » : إضم اسم جبل ، والوادي الذي فيه المدينة النبوية عند المدينه يسمى قناة ، ومن أعلى منها عند السّدّ الشظاة ، ثم ما كان أسفل من ذلك يسمى إضما .

وفي « وفاء الوفاء » أيضا - ١٢٤٣ : الشظاة بالفتح اسم لوادي قناة . تقدم في إضم عن « القاموس » أنه اسم مايلي السُّدَّ من الوادي انتهى .

زاد هذا إيضاحا بقوله في « خلاصة الوفاء » : الشظاة - كَقَطَاةٍ -: وادي قناة أو مما يلي السُّدَّ منه . قال عباس بن مرداس :

وإنك عَمْري هَلْ أُرِيْكَ ظَعَائِنًا   سَلَكنَ على رُكن الشَّظَاةِ فَتَيْأَبَا

وهذا البيت يَدل على أن اسم الشظاة يطلق على ما يُوَالي المَدِيْنَة من وادي قناة لأنَّ ابن مرداس قاله من قصيدة قالها في بني النَّضير حِيْنَ أُجْلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ إلى خَيْبَرَ ، أوردها ابن هشام في السيرة ٢ / ٢٠١ فوصف الظعائن حين جزعن الوادي بيْن الشظاة يَسَارًا وتَيْأَب الجبل الواقع يمينا عن طريق المتجه إلى خيبر . وكثيرًا مايُسَمَّى كل ثِني من أثناءِ الوادي باسم يخصه ، وقد يشمل الأثناء كلها اسم عامّ .

والسُّدُّ لايزال معروفا في مجرى وادي قناة على نحو ١٥ كيلا من المدينة في شرقها ، وجبل تياأب شرقه يشاهد رأي العين ويسمى الآن (تيم) وتعريف قناة في نَصِّ ياقوت أراه خطأ ، إذ (ال) لا تدخل على الأعلام إلا سماعًا .

٤٧ - *الظهران* : (٢٤٦)

سَلِمْتَ بذكْرِاهَا وَمَا حُكْمُ ذِكْرِهَا   بِقَارِعَةِ الظَّهْرانِ إِلَّا لِتَسْقَمَا

(في المخطوط : فارعة . وقارعة المكان : ساحته . الظهران : واد قريب من مكة - ياقوت) .

وما أُضِيْفُهُ هُنا؛ أنَّ الظَّهْران – مَرَّ الظهران من أعظم الأودية الواقعة بقرب مكة، وقد اتَّصل به عمرانها فشمل ثِنْيًا من أثْنائه ، وعرف هذا الوادي في العصور الأخيرة باسم وادي فاطمة ، وفيه عيون كثيرة وقرى إلا أن مياه العيون نَضَبَتْ في السنين الأخيرة ، وتمتد فروع الوادي من سلسلة جبال الحجاز الواقعة شرق مكة ، وأشهر تلك الفروع النَّخْلَتَانِ وادي نخلة اليمانية صوب الغرب شمال مكة ، حيث تقع بلدتا حَدّة وبَحْرة ، ويستمر حتى يصب في البحر جنوب مدينة جُدَّة بنحو خمسةٍ وثلاثين كيلًا ويقع حوضُ وادي مَرّ الظهران على خط الطول : ٤٠/ ٣٩° وخط العرض : ٣٠/ ٢١° . أما فروعه فتمتد من قرب درجة العرض : ٤٥/ ٤١° والطول : ٣٧/ ٢١° ومصبه بساحل البحر عند خط الطول : ١٠/ ٣٩° و ٢٠/ ٢١° عرضا – في موضع فيه قرية على الساحل تدعى الخمرة . وعما فيه من القرى والعيون يحسن الرجوع إلى مجلة العرب » .

٤٨ – عَثْر : (١٦٥)

أَلَمَّتْ بِعَثْرٍ مِنْ قُبَاءَ تَزُوْرُنَا وأَنَّى قُبَاءٌ لِلْمُزَاوِرِ مِنْ عَثْرِ

(عثر . موضع تلقاء مكة – هكذا قال البكري واستشهد بالبيت ، وقال ياقوت : بلد باليمن ..) .

١ – الذي في « معجم ماستعجم » (ص ٩٢١) عَثْر – بإسكان ثانيه – موضع تلقاء قباء ، قال الأحوص : ثم أورد البيت .

٢ – يطلق اسم عَثْر قديمًا على مدينة ، ثم شمل ناحية كبيرة كما قال المقدسي في « أحسن التقاسيم » (٨٥) : ناحية عثر ناحية جليلة عليها سلطان يرأَسُهُ ، ومدنها نفيسة ، وعَثْرُ مدينة كبيرة مذكورة لأنها قصبة الناحية . وذكر عمارة اليمني في كتاب « المفيد » – ٦٥ ، ٧٧ – تحقيق القاضي الأكوع أن عَثْر مقرُّ مُلْكٍ قديم ، وقال : وممن امتنع من عُمَّال أبي الجيش بن زياد سليمان بن طَرَف ، صاحب عَثْرٍ ، هو من ملوك تهامة ، وعملهُ مسيرة سبعة أيام في عرض يومين ، وهو من الشرجة إلى حَلْي ، ومبلغ ارتفاعه في السنة خمس مئة ألف دينار عثرية . انتهى .

ووصف ابن أنس العذري مدينة عثر في أول القرن الخامس الهجري ، بأنها كثيرة الخير ولها رساتيق « العرب » س ١٢ ص ٣٢٦ – وقال الهمداني في « صفة جزيرة العرب » – ص ٧٦ – طبع دار اليمامة : عثر سوق عظيم شأنها .

ومما تقدم يتضح أهمية عثر . أما تحديد موقعها فقد ذكره من تحدث عن طريق حجاج اليمن بأنه واقع في تهامة ، والمخلاف الذي أطلق عليه اسم عثر حدده عمارة ، من الشرجة إلى حلي ، والشرجة درست وموقعها بقرب قرية الْمُوَسَّم ، وحَلْيُ مدينة ساحلية معروفة .

ويفهم من تحديد المتقدمين لموقع عثر بأنها تقع جنوب ميناء جازان بنحو خمسة وثلاثين كيلًا .

وقال الأستاذ العقيلي في « المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » .

إن موقعها معروف عند أهل تلك الجهة ، فيما يعرف بقوز الجعافرة ، حيث توجد أطلال تلك المدينة التاريخية . أي (بقرب خط الطول : ٣٠/ ٤٢° ، وخط العرض ١٠/ ١٧° على ساحل البحر الأحمر) .

٤٩ – الْعَرْجُ : (٢٣٤)

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرْجِ مِنْهَا مَنَــازِلٌ وَبالْخَيْفِ مِنْ أَدْنَى مَنَازِلِهَا رَسْمُ

(وفي « معجم البلدان » و « وفاء الوفاء » : تَشوقنيْ بالعرج منها منازل وبالخبت ... والعرج قرية جامعة في واد بنواحي الطائف إليها ينسب العرجي الشاعر ، وأيضا : عقبة بين مكة والمدينة) .

١ – اسم العَرْج يطلق على مواضع أشهرها واد يقطعه الطريق بين مكة والمدينة سيأتي تحديد موقعه ، فهو الوارد في شعر الأحوص ، والموضع الثاني ثِنْيٌ من أثناء وادي الطائف الذي أعلاه وَجُّ ، ثم بعد مجاوزته للمدينة وضواحيها يطلق عليه اسم

العَرْج ، ولايزال فيه سكان وزراعة في أماكن متفرقة (يقع بقرب خط الطول : ٣٥/ ٤٠° وبين خطي العرض : ١٥/ ٢١° و ٣٠/ ٢١°) وأسفل الوادي يدعى الأخَيْضِر ، يجتمع بوادي شَرِبٍ ، ويفضي إلى موقع عكاظ قديمًا حيث يَتَّصِل بصحراء ركبة التي يطل على شرقها جبل حضن .

٢ – مادامَتْ صاحبةُ شاعرنا زُبَيْرِيَّةً من آل الزُّبَيْر المدنيين – فلا صلة لها بِعَرْج الطائف ، هي إلى العَرْج الواقع بقرب المدينة أقرب ، ولاتتجاوز المسافة بين أعلى فروع هذا الوادي وبين المدينة ستين مِيْلًا – بسير السيارة تقارب مئة كيل – والْعَرْجُ هذا معدود من الفُرُع إحدى ضواحي المدينة المشهورة وللزبيريين في الفُرُعِ عُيُونٌ ، وقد استقرّ فيه كثير من مشاهيرهم ، منهم عروة بن الزبير الذي فيه توفي ودفن – انظر « معجم مااستعجم » رسم الفُرُع – والْعَرْجُ هذا هو الذي ورد في « صحيح البخاري » الباب ١٧٦ من كتاب الجهاد – عن يعقوب بن محمد الزهري المتوفى ٢١٣ أنه أول تهامةَ ، وهو وادٍ متعرج أعلى فروعه شَرَف الأثاية (الشُّفَيَّة الآن) ويخترق السلسلة الجبلية نحو الغرب بميل نحو الجنوب حتى ينتهي إلى الخبت السهل الساحلي جنوب ميناء الرائس (الجار قديما) وشمال (حَسْنا) بين بَدْر شمالًا وميناء مستورة جنوبا فيما كان يعرف قديما باسم (غيقة) – أي فيما بين خطي الطول : ٤٠/ ٣٨° و ٨/ ٣٩° وخطي العرض : ٢٠/ ٢٣° و ١٥/ ٢٣° .

وقد فَرَّق الحافظ ابن حَجَرٍ في « فتح الباري » ١٢١٧ ج ٦/ ١٧٠ – بين العَرْج هـذَا فذكره بإسكان الراء ، والْعَرَج الذي بقُرب الطائف بفتحها . أمَّا في عَهْدِنا فتنطق ساكنةً ، مع قلة مَنْ يَعرفُ الأوَّلَ بخلاف الثاني . والعين والقرية الجامعة اللَّتان ورد ذكرهما في كتب المتقدمين درستا ، ولا أثرلهما ولا أستبعد أن يكونا في عرج الطائف ، فهو الذي كان ولايزال مأهولًا ومزروعًا كما سيأتي في كلام الفيروزآبادي . وتحسن الإشارة هنا إلى أن الاتفاق في أسماء المواضع يسبب الخلط في تحديدها والغلط في النسبة إليها ، ومن ذلك ما يتعلق بالموضعين المذكورين مما ورد في كتب المتقدمين .

١ – قول صاحب « معجم البلدان » عن عَرْج الطائف : قرية جامعة . وهي

أول تهامة وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا . وهذا ينطبق على العرج الواقع بين مكة والمدينة وكذا إيراده قولي تُبَّع وكُثَيِّر ، فهما ينطبقان على هذا العرج أيضا – وليس عرج في بلاد هُذيل ، بل في بلاد هوازن في وسط بلاد بني نَصْر منهم .

٢ – وفي « لسان العرب » : والعَرْجُ قرية جامعة من عمل الفُرُع ، وقيل : هو موضع بين مكة والمدينة ، وقيل : هو على أربعة أميال من المدينة ، ينسب إليه العرجيُّ الشاعر .

والخطأ هنا في تحديد المسافة بينه وبين المدينة بأربعة أميال ، ولعل الأصل (أربع ليال) فحرف ، ثم نسبة الشاعر العرجي إليه ، والمقصود بالتعريف العرج الذي بين المدينتين الكريمتين ، وليس الشاعر العرجي منسوبًا إليه بل إلى عرج الطائف .

٣ – ويأتي الفيروزآبادى صاحب « القاموس المحيط » فيقول : والْعَرَجُ – بالفتح – بلد باليمن ، وواد بالحجاز ذو نخيل ، وموضع ببلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة ، منه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان العرجي الشاعر . ويكرِّرُ شارحه قول صاحب « اللسان » على مافيه ، ولكن صاحب « القاموس » يستدرك في كتابه « المغانم المطابة في معالم طابة » فيقول ما مُلَخَّصُهُ :

العرج اسم لموضع بين الحرمين على ثمانية وسبعين ميلًا من المدينة ، مسيرة يومين وبعض الثالث ، وقيل : العرج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج .. والعَرْج أيضا بلدٌ باليمن قريب من المَهْجَم ، والعرج أيضا قرية جامعة في واد من أودية الطائف ، وإليها ينسب العَرْجي الشاعر .. وقد عَرَفْتُ هذه القرية ومكانها في مسيري إلى جبل إبراهيم ، وهي على ثلاثة أميال من الطائف للراكب المُجدّ . انتهى .

والمسافة أطول مما حَدَّد إذا كان قصده مدينة الطائِف التي فيها الجامع الواقع فيه قبر ابن عباس– أي قاعدة المنطقة– أما إذا أراد المنطقة نفسها فالعرج داخل فيها.

٥٠ – عَزْوَرُ : (١٤٢)

أَلَا طَرَقَتْنَا بِالْمُوَقَّرِ شَعْفَـرُ ... ومِنْ دُوْنِ مَسْرَاهَا قُدَيْدٌ وعَزْوَرُ

(.. قُدَيْدُ : موضع قرب مكة . وعَزْوَرُ هي ثَنِيَّةُ الْمَدِينِيِّينَ إلى بَطْحَاءِ مكة) .

١ – هذا القول أورده ياقوت في « معجم البلدان » وأورد شاهدًا عليه من قول ابن هرمة :

وَلَـمْ يَنْسَ أَظْعَانًـا عرضْنَ عَشِيَّـةً طَوَالِـعَ مِنْ هَرْشَى قَوَاصِدَ عَزْوَرَا

ولكن الشاهد يفهم منه قرب عَزْوَرَ من هَرْشَا ، مما يدل على أنها ليست الثنية التي تفضي إلى بطحاء مكة ، كما أورد ياقوت عن (أبي نصر) : (عزور ثنية الجحفة عليها الطريق بين مكة والمدينة) وصواب (أبي نصر) : (نصر) فقد قال نصر ابن عبد الرحمن الإسكندري في كتابه في (باب غرور وعزور) .. وأما بفتح العين المهملة وسكون الزاي : ثنية الجُحْفة عليها الطريق بين مكة والمدينة ، وجبل عن يَمْنَةِ طريق الحاج إلى مَعْدن بني سُلَيْمٍ بينهما عشرة أميال .

وقال الحازمي في كتاب « الأماكن » (باب عزور وغرور) .. أما الأول بفتح العين وسكون الزاي وفتح الواو – ثَنِيَّةُ الجحفة عليها الطريق بين مكة والمدينة ، قال أمية :

إنَّ التَّكَرُّمَ وَالنَّدَى مِنْ عَامِرٍ جَدَّاكَ ما سُلِكَتْ لِحَجٍّ عَزْوَرُ

والجحفة هي التي بقرب هرشا الواردة في شعر ابن هرمة .

وفي كتاب « الجيم » – ١/ ٩٤ :

لما بَلَغْنَا الْبَيْضَ مِنْ تَمَنِّي وعَزْوَرٍ كالرَّجُلِ الْجَلْحَنِّ
وأَعْرَضَتْ دَوَّةُ كَالْمِجَنِّ

وهذا يدل على قرب عزور من تَمَنِّي ومن البيضِ ومن دَوَّة ، وتَمَنِّي في سفح هرشا كما في « المناسك » – ٤٥٥ – وكذا البَيْض ، وهَرْشا لاتزال معروفة بقرب رابغ القريب من الجحفة ، ودَوَّةُ ذكر ياقوت في « معجم البلدان » أنه موضع من وراء الجحفة بستة أميال .

وفي « معجم ماستعجم » – رسم الجحفة – : وفي أول الْجُحْفَةِ مسجد النبي ﷺ يقال له : عَزْوَر .

وأورد البكري أيضا في رسم الْمُشَلَّل لِمُزَرِّدٍ :

تَدِبُّ مع الرُّكْبَانِ لا يَسْبِقُونَهَا   وحَلَّتْ بِجَنْبَيْ عَزْوَرٍ فَالْمُشَلَّلِ

ونقل عن يعقوب : عَزْوَرُ وادٍ قريب من المدينة .

٢ – من النصوص المتقدمة يفهم أن ثنية الجحفة تدعى عَزْوَر ، وهذه الثنية في أول الجحفة حيث مسجد النبي ﷺ في ذلك الموضع ، والجحفة لايزال موقعها معروفا ، وقبل أن يصلها المتجهُ من المدينة إلى مكة يمرُّ بكُرَاعِ حَرَّة ممتد ، يسير الطريقُ القديم شرقه ، وقبل أنْ يَصِلَ إلى الجُحفة بنحو عشرة أكيال يجزع طرف الكراع من تلك الحرة التي تدعى الْعَزْوَرِيَّة ، وفيها ثنية تفضي إلى الجحفة في الشمال من الجحفة بقربها (بقرب خط الطول : ٣٩/٠٥° وخط العرض : ٢٢/٤٥°) .

ولاشك أن تلك الثنية هى ثَنِيَّةُ عَزْوَرٍ ، لأَنَّ النصوص المتقدمة تنطبق عليها .

٣ – ثنية الْمَدَنِيِّينَ هي التي عَرَّفَها الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/٢٨٦ بقوله : مقابرُ أَهْلِ مكة بأصْلِ ثنية المدنيين ، وهي التي كان ابن الزبير مصلوبًا عليها ، وكان أول من سهلها معاوية . إلى آخر ماقال . وقال محقق الكتاب الأستاذ رشدي ملحس : وتسمى أيضا كَدَاء ، وهي العقبة الصغرى التي بِأعلى مكة ، يُهْبَطُ منها إلى مقبرة مكة والأبطح ، وذكر ياقوت أنها تسمى عَزْوَر ، ويطلق عليها أهل مكة الْحُجُون . انتهى .

وهذه الثنية تسمى أيضا : ثنية المقبرة ، وثنية المعلاة وهي معروفة وتتوسط عمران مكة الآن ، وكان طريق القادم من المدينة يدخل منها إلى مكة .

٤ – قد يطلق اسم عَزْور على غير الموضع الذي بقرب الجحفة ، وسبق تعريفه ولكنني لم أَرَ فيما اطلعت عليه من سمى ثنية المدنيين بثنية عزور غير ياقوت .

٥١ – *العقيق* : (١٣٤)

يَوْمي ويَوْمَكِ بالْعَقِيْقِ إذ الْهَوَى   مِنَّا جَمِيعُ الشَّمْلِ لَمْ يَتَبَدَّدِ

(العقيق بالمدينة ، وبها عقيق آخر ، العقيق الأكبر فيه بئر عُرْوَةَ التي مر ذكرها ق : ١ هامش : ٣ - والعقيق الأصغر فيه بئر رومة التي اشتراها عثمان - رضي الله عنه - وسيذكرهما الأحوص معًا في ق ٩٣ بيت ٢) .

***العقيقان* : (١٨٤)**

أَصَاحِ أَلَمْ تَحْزُنْكَ رِيحٌ مَرِيضَةٌ ... وَبَـرْقٌ تَلالَا بِالْعَقِيقَيْـنِ لَامِـعُ

١ - تعريف العقيقين بكون أحدهما فيه بئر عروة والآخر فيه بئر رومة تعريف لايقوم على أساس ، فالآبار قد يغور ماؤها ، ويدرس موقعها ، بل إنَّ بعض تلك الآبار حدث لها هذا ، فقد جاء في كتاب « المغانم المطابة » - ٤٤ - عن بئر عروة مانصه :

سألت عنها أهْلَ المدينة فلم يُعَيِّنُوهَا ، وإنما ذكروا لي بئرا عند قصر عروة رجْمًا بالغيب ورميًا للكلام على عواهنه .. إلى آخر ماذكر .

وجاء السمهودي في « وفاء الوفاء » - ١١٣٩ - فقال : كانت شهيرةً ثم دثرتْ حتى قال المجد : إنه لم يجد من يعرفها .

٢ - ويحسن أن يقال في تعريف العقيق في المدينة : هما عقيقان ، العقيق الكبير مبدأه من حَضِير على مسافة تقرب من يوم من المدينة قِبْلِيَّها وينحدر إلى بئر المحرم (ذي الْحُلَيْفَةِ) .

والعقيق الثاني وهو الذي ورد فيه الحديث إنه وادٍ مبارك هو الذي يَمْتَدُّ من بطن ذي الحُلَيْفة إلى مجتمع الأسيال قبلي الجرف ، وانظر لتفصيل ماتقدم كتاب « وفاء الوفاء » للسمهودي .

٥٢ - عكـوة : (٩١)

فَقَالَتْ تَشَكَّى غُرْبَةَ الدَّارِ بَعْدَمَا ... أَتَى دُوْنَهَا مِنْ بَطْنِ عَكْوَةَ مِيْثَبُ :

(عكوة : مثناها عكوتان اسم جبلين منيعين مشرفين على زبيد باليمن . ميثبت : ماء بنجد لعقيل ثم المنتفق ، وقال الأصمعي : هو ماء لعبادة بالحجاز ، وقال غيره :

مِيْثَبُ واد من أودية الأعراض التي تسيل من الحجاز إلى نجد) .

١ – تعريف عكوة منقول من « معجم البلدان » لياقوت ، وبعده : من إحداهما عمارة بن أبي الحسن الشاعر ، من موضع يقال له : الزرائب . إلى آخر ما ذكر .

٢ – حقق الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في بحث نشرته مجلة « العرب » س ٣ ص ٤٢٧ أنَّ جبلي العكوتين يقعان في المخلاف السليمانيّ ، الذي قاعدته جازان ، ويَبْعُدَانِ عن هذه القاعدة نحو خمسين كيلًا في الجهة الشرقية الشمالية وعن قرية جُجَيْرَة بنحو سبعة أكيال ، وأورد شواهد تاريخية تدل على انطباق هذا التحديد على الواقع ، وهما على هذا التحديد بعيدَتان عن مدينة زَبيد واقعتان شمالها ، ولا يشرفان عليها . وفي إحدى العكوتين آثار عمران قديمة .

٥٣ – عُلَيبُ : (٩٢)

وَقَدْ شَاقَهَا مِنْ نَظْرَةٍ طَرَّحَتْ بِهَا ... وَمِنْ دُوْنِهَا بِرْكُ الْغِمَادِ فَعُلَيْبُ

قال : (طَرَّحه – بتشديد الراء ، واطَّرَحَهُ – بتشديد الطاء – وطرحه كَمَنَع رماه وأبعده . وبِرْك الغِماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البر ، وفي حديث الهجرة : لو أمرنا أن نبلغ معك بها برك الغماد . وعُلَيْبُ : موضع بتهامة) .

١ – ما أكثر المواضع في تهامة وما أوسعها .

٢ – للمتقدمين تحديداتٌ واسعة لهذا الموضع لوقوعه على طريق الحج اليماني لاداعي للتوسع في إيرادها .

٣ – عُلَيْبُ لايزالُ معروفًا بهذا الاسم ، وهو وادٍ طويل ، يخترق تهامة من شمال بلدة الحَجْرَة (حَجْرَةِ دَوْسٍ) غير بَعيدٍ عنها بقرب خط العرض : ٢٠/١٥ وخط الطول : ٤٠/٥٨° ويمتدُّ مُتَّجهًا صوب الغرب ، متعرِّجًا ، حتى يصب فى البحر بقرب درجة العرض : ٢٠/١٥° ودرجة الطول : ٤٠/٣٥° . ويعرف أسفل الوادي باسم الشَّاقَّةِ اليمانية ، وهو واقع جنوب وادِي حَلْيَة الذي يعرف الآن باسم الشاقَّة الشَّامِيَّة ، ويقع جنوبَ وادي عُلَيْبَ وادِي دَوْقَة .

٥٤ - عَيْرَان : (١٠٩)

أَقْوَتْ رُوَاوَةُ مِنْ أَسْمَاءَ فَالسَّنَدُ فَالسَّهْبُ فَالْقَاعُ مِنْ عَيْرَيْنِ فَالْجُمُدُ

(... عَيرانِ : جَبلاَنِ يقال لأحدهما عَيْرٌ الوارد والآخر عَيْرٌ الصادر ، وهما متقاربان . قال عَرّامُ : هُمَا عن يمِينك ببَطن الْعَقِيقِ وأَنْتَ تُرِيْدُ مَكَّة) .

هذا التعريف لياقوت ، ولكن هنا إشكال في قول عرام عَن عَيْرَيْنِ أنهما عن يمينك ببطن العقيق وأَنتَ تريد مكة وهذا القول في رسالته « أسماء جبال تهامة وسكانها » - ٤٢٥ « نوادر المخطوطات » - ونصه :

ويحيط بالمدينة من الجبال جبلان أحمران من عَنْ يمينك وأَنت ببطن العقيق تريد مكة ، ومن عن يسارك شَوْرَانُ ، وهو جبل يطلُّ على السُّدِّ كبير مرتفع . انتهى .

ووجه الإشكال في كلام عرام هو أن المتجه إلى مكة من المدينة يدع جَبَلَ عَيْرٍ على يساره لا على يمينه ، ولو قيل بأن صحة العبارة : (وأنت ببطن العقيق تريد المدينة) لَصحَّ ، ولكن لايقع جبل شوران على يسارك كما ذكر بل على يمينك أيضا لأنه خلف عَيْرٍ ، شَرْقه .

وقد أوضح السمهودي وغيره أن جبل عَيْرٍ في قِبلة المدينة ، وفي شرقي العقيق ، وأن فوقه جبلا آخر ، يسمى باسمه يقال له عَيْرٌ الصادِرُ ، وللأول عيرٌ الوارد - « وفاء الوفاء » ١٢٦٩ .

وعير جبل لايزال معروفا يشرف على المدينة ، ويمتد طرفه حتى يبلغ العقيق ، بقرب ذي الحُلَيفة (آبار عليٍّ) على بعد نحو اثني عشر كيلا من المدينة .

٥٥ - عَيْنَبُ : (٢٦٧)

أَلاَ أَيُّهَا الرَّبْعُ المُحِيْلُ بِعَيْـنَب سَقَتْكَ الْغَوَادِي مِنْ مَرَاحٍ ومَعْزِبِ

قال أستاذنا السامَرَّائي - ٤٣ -: (في « معجم البلدان » : عَيْنَبُ اسم أرض من بلاد الشِّحْرِ بين عُمَانَ واليمن ، وفي « معجم ما استعجم » : عينب موضع في الحجاز) .

١ – من المستبعد أن يقصد الشاعر الأحوصُ المدني موضعًا بعيدًا عن بلاده .

٢ – هناك اختلاف في ضبط الاسم هل هو (عنبب) بنون بعدها باءان موحدتان، أو (عينب) بياء مثناة بعد العين وبعدها نون فباء ، وقد أشار إلى هذا الاختلاف البكرى في « معجم ماااستعجم » في رسم الاسمين .

٣ – يظهر لي أن صواب الاسم (عنبب) بعد النون باءان موحدتان ، وأنه لا عبرة بما ورد في كتاب « جمهرة اللغة » – ٣٦٨ الطبعة الثانية – من أن عينب موضع وأنه تصحف عليه ، فعنبب من أمثلة سيبويه على ماذكر ياقوت في رسمه في « معجم البلدان » .

وجاء في كتاب « شرح أشعار الهذليين » – ٩٣٧ – في قصيدة لأبي صَخْرٍ الهذلي :

قُضَاعِيَّةٌ أَدْنَى دِيَارٍ تَحِلُّهَا ... قَنَاةُ وَأَدْنَى مِنْ قَنَاةَ الْمُحَصَّبُ

وَمِنْ دُوْنِهَا قَاعُ النَّقِيْعِ فَأُسْقُفٍ ... فَبَطْنُ الْعَقِيْقِ فَالْجُنَيْبُ فَعُنْبُبُ

ويؤيد هذا أَنَّ البكري قال : رأيته بخط ابن الأعرابي بعنبب ، بضم العين وتقديم النون على الباء . وابن الأعرابي هو الذي روى شعر الأحوص ورآه البكري بخطه ، كما في مواضع من كتابه « معجم ماااستعجم » .

وعلى هذا فينبغي أن يكون (عنبب) هذا بقرب النَّقيع وأُسقف والعقيق ، وكلها في ضواحي المدينة ، والجنيب أو الخبيت الذي قال عنه البكري في رسمه : على بريدين من المدينة . وأكثر تلك المواضع مما ورد ذكره في الأحوص .

٥٦ – *الغديران* : (٢٧٥)

سيأتي شاهده في (المداخن) .

فقد وصف الشاعر دارَ حبيبته بأنها بلقع بأجزاع الغديران ، والأَجزاعُ جمع جِزْعٍ : منقطع الوادي ومُنْعَطَفُهُ ، وكثيرًا ماتوجد الغدران في أجزاع الأَودية ، وتكثر في وادي النَّقِيع عند اتصاله بوادي العقيق ، لانحدار السيل من مكان مرتفع

في أرض صلبة ، يحفرها فيجتمع فيها الماءُ ، ويبقى مدة طويلة . ومن تلك الغدران غَدِيرُ مُزْجٍ ، الذي ذكره الشاعر وسيأتي . وقد يكون أراد غيره من الأغدرة الكثيرة في المواطن التي كان يألفها حول المدينة إن صحت نِسْبَةُ الشعر إليه .

٥٧ - غزال : (١٣٤)

وَبِالنَّعْفِ مِنْ فَيْفَا غَزَالٍ ذَكَرْتُهَا ... فَطَالَ نَهارِيْ واقِفًا وَتَلَدُّدِي

(النعف ماانحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل في الوادي ومثله الخيف وفيفا غزال : أصله بالمدِّ . والفيفاء الصحراء الملساء ، وقد أضيف إلى عدة مواضع . منها فيفاء الخبار وهو بالعقيق . وفيفاء رشاد . وفيفاء غزال بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح) .

١ - الفيفاء : كل أرض واسعة ، والتعريف منقول عن « معجم البلدان » ، ولكن القول بأن (فيفاء غزال بمكة) غريب ، وإن قال به ياقوت ، فمواضع مكة قد حددها المعنيون بتاريخها كالأزرقي والفاكهي وغيرهما ، ولم أَرَ من عَدَّ فيفاء غزال في مكة سوى ياقوت . وأغرب في استدلاله بقول كثير :

أُنَادِيْكِ مَاحَجَّ الْحَجِيْجُ وكَبَّرتْ ... بِفَيْفَا غَزَالٍ رُفْقَةٌ وأَهَلَّتِ

ولعله فهم من التكبير والإهلال بالحج أو العمرة وقوعَ المكان بمكة ، والأمران يقعان من الحاج أو المعتمر عند ميقات الإحرام الخارج عن مكة .

٢ - أقرب إلى الصواب قول البكري في « معجم مااستعجم » : غزال ثنية بين الْجُحْفَةِ وعُسْفَان . وأورد شاهدًا من شعر كُثَيِّر ، وفي رسم فيف أشار إلى أن الأحوص قصد ذلك الموضع . ومعروف أَنَّ الْجُحْفَةَ من مواقيت الإحرام ، وأَنَّ عُسْفَان قبل مكة للقادم من المدينة .

٣ - بل لقد أوضح موقع (غزال) هذا كُثَيِّر حين وصف رحلة أحبابه في الاتجاه من الجنوب إلى الشمال ، فبعد أن ذكر (فَيْدَةَ) الواقعة جنوب عسفان قال « ديوانه » - ٣٩٥ -:

قِلْنَ عُسْفَانَ ثُمَّ رُحْنَ سِرَاعًا   طَالِعَاتٍ عَشِيَّةً مِنْ غَـزَالِ
قَارِضَاتِ الْكَدِيْدِ مجْتَزِعَاتٍ   كُلَّ وَادِي الْجُحُوْفِ بِالْأَثْقَالِ
قَصْدَ لِفْتٍ ، وَهُنَّ مُتَّسِقَاتٌ   كَالْعَدَوْلِيِّ لَاحِقَاتِ التَّوَالِي

ثم ذكر دَوَّةَ وسُرَيْرَ الْبُضَيْعِ ومَدْرَجَ الْعَرْجِ ومواضِعَ أخرى بقرب المدينة . ووصْفُ كُثَيِّرٍ لموقع غَزَالٍ لايدع مجالا للشك في كونها واقعة بين عُسْفَانَ وبين (لِفْتٍ) ، وعسفان بلدة معروفة ، ولِفْتُ ثَنِيَّةٌ تخترقْ حَرَّةً واقعةً شمال وَادِي خُلَيْص .

٤ – ونجد للبكرِّي نصًّا صريحًا في تحديد موقع غزال حيث قال : « معجم مااستعجم » ٩٥٦ : غزال ثَنِيَّةُ عسفان تلقاها قبله بأرْجَحَ من ميل . انتهى . وهذه الثنية معروفة ، وكانت تسلك في العهود القديمة للمتجه إلى عسفان من الشمال . أما الآن فقد انحرف عنها الطريق ، تقع ثنية غزال بقرب خط الطول : ٥/ ٣٩° وخط العرض : ٤٥/ ٢٢° ، وهي تبعد عن مكة نحو تسعين كيلًا على وجه التقريب .

٥٨ – الغَمْر : (١٤١)

عَفَا السَّفْعُ فَالرَّيَّانُ مِنْ أُمِّ مَعْمَرٍ   فَأَكْنَافُ قُرْحٍ فَالجُمَانَانِ ، فَالْغَمْرُ

قال المحققان (... الغمر : بحذاء تُوْزٍ شرقيُّهُ جبل يقال له : الغمر (النسر) ، وتوز من منازل طريق مكة من البصرة معدود في أعمال اليمامة) .

وورد اسم (ذي الغمر) فيما نسب للأحوص من الشعر، ولكن المحقق الدكتور عادل رجح نسبته لابن الدمينة (٢٧٧) وأشار الدكتور السامرائي إلى ذلك وإلى المجنون ، وأغرب في النقل عن « معجم البلدان » أن ذا الغمر بئر قديمة بمكة ، إذ لاصلة لهذه البئر بهذا الشعر المنسوب إلى شعراء بعيدة بلادهم عن مكة .

١ – تعريف الغَمْرِ حسبما اتفق عليه المحققان نقله صاحب « معجم البلدان » عن أبي عُبيد السكوني ، وأستاذنا السامرائي جعل كلمة (النسر) مكان الغمر الثانية ، ولم أعرف مصدره .

٢ – لوصح البيت للأحوص ، وانطبق ماأورده المحققان الكريمان على المواضع المذكورة وأنها التي أراد الشاعر لجاز القول بأنه يأتي بكلام بعيد عن الحقيقة ، إذ كيف يُعقل استطاعة محبوبته الحلول في هذه الأمكنة المتباعدة بين شرق الجزيرة (السفح) وغربها (الريان)وشمالها (قُرْح والغمر) في عهد ماكان يسوغ لقبيلة أن تخالط أخرى في منازلها التي تخصها . على أن البكري في « معجم مااستعجم » – ١٠٦٢ ذكر أنها (مواضع متدانية) . وهذا لا يتفق مع ماعرف به المحققان الأماكن المذكورة .

٣ – الغَمْرُ يسمى به مواضع من أشهرها :

جبل في حِمَى فَيْد ، وهو الواقع شرق تُوْزٍ ، الذي لا يزال معروفًا باسم (التُّوْزِيّ) في الشمال الشرقي من بلدةِ سَمِيْراء بنحو ثلاثين كيلًا ، وغرب بلدة فَيْدٍ بنحو خمسين كيلًا (بقرب خط العرض ٣٥/٢٦° ، وخط الطول ٥٠/٤١°) .

ومنهل ورد ذكره في « السيرة النبوية » في خبر سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن إلى بني أسد ، كان في بلادهم يقع غرب الجبل المذكور بمسافة بعيدة .

وواد بين الشام وتَيماء من روافد وادي نَيَّان ، فيه منهل يدعى الغمارية معمور ومأهول .

ووادٍ في أعلى وادي نخلة الشامية التي هي من أودية مكة ويعرف بغمر ذي كندة .

كل هذه المواضع المتقدمة وردتْ في الأخبار والأشعار ، وليس بينها ماهو قريب من المدينة بلدة الشاعر الأحوص ، ولا مايقرب من المواضع التي كرر ذكرها في شعره .

٤ – والذي أراه أن هذا البيت ليس للأحوص الذي شحن شعره بأسماء مواضع بقرب المدينة ، أو في النواحي التي سافر إليها كاليمن والشام .

٥٩ – *الفتح* : (١٤٦)

أَلَمْ تَعْجَبَا لِلْفَتْحِ أَصْبَحَ مَابِهِ ... وَلَا بِلِوَى الْأَرْطَى مِنَ الْحَيِّ وَابِرُ

(الفتح : لاريب أنه مكان ، واجتهدت فلم أعثر عليه في المعاجم . فلعله محرف . ولوى الأرطى : قال ياقوت : هو في الأصل منقطع الرملة يقال : قد ألويتم فانزلوا . إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضا موضع بعينه قد أكثرت الشعراء من ذكره . وخلطتْ بين اللوى والرمل فعزَّ الفصل بينهما ، وهو واد من أودية بني سُليم .. لوى الأرطى في شعر الأحوص بن محمد . ولم يحدده . ويقال : مابالدَّار وابر ، أي أحد) . وقال الدكتور السامرائي – ٨٠ –: الفتح لم أهتد إلى معرفته .

وأُضيفُ إلى رَأْي المحققين الكريمين عن (الفتح) أن قبل البيت بيتًا يفهم منه أن الشعر ليس للأحوص وهو :

تُخَبِّرُ – وَالرَّحْمـٰنِ – أَنْ لَسْتَ زائِرًا دِيارَ الْمَلَا مَا لَايَمَ الْعَظْمَ جابِرُ

ونقل المحقق : (الملا : موضع من أرض كلب ، والْمَلَا أيضا لبني أسد) وقال الدكتور السامرائي : الملا مابين نَقْعاء ، وهي قرية لبني مالك بن ثمامة بن عمرو بن جندب من ضواحي الرمل . انتهى وصواب (نقعاء) : (بَقْعاء) وسيأتي عند الكلام على الملا زيادة إيضاح عنه . وأيًّا كانَ الموضعان فلا صلة لهما بالمواضع التي يتكرر ذكرها في شعره من مواضع بلاده أو التي يتطرقها في رحلاته إلى الشام أو اليمن .

٦٠ – فَلْجُ : (٢٣٦)

أَأَنْ نَادَى هَدِيْلًا ذَات فَلْج مَعَ الْإِشْراقِ في فَنَنٍ حمامُ ؟

(فلج : واد بين البصرة وحمى ضَرِيَّة ، في طريق مكة ، وهو من منازل بني العنبر ابن عمرو بن تَميم) ونحو هذا التعريف لفلج أورد أستاذنا الدكتور السامرائي محيلًا إلى « معجم البلدان » .

١ – لم يوضّح المحققان الكريمان موقع (ذاتَ فَلْج) المنصوبة من الإعراب ، فالمنادي الحمام ، والمنادَى الهديل على مافسره الدكتور كمال – ١٧١ –: (والهديل تزعم الأعراب أنه فرخ كان زمن نوح (ع.م) فمات عطشًا فيقولون إنه ليس من

حمامة إلا وهي تبكي عليه) . قد تكون (ذات فَلْج) . منصوبة بنزع الخافض كما في قول مُزاحم العقيلي :

وَقَالُوا تَعَرَّفْهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِنًى ... وما كُلُّ مَنْ وَافَى مِنًى أَنَا عَارِفُ

وعلى هذا تكون رواية (بَطْنَ فَلْجٍ) التي أشار إليها المحققان أصح ، إذ الموضع يسمى فَلْجًا ، وبَطْنَ فَلْج ، فهو وادٍ عظيم ، ذُوبَطْن ، وقَدْ كَوَّنَ فَلْجًا ، أي شَقًّا واسعًا طويلا يخترق شرق الجزيرة إلى الخليج العربي .

٢ - المسافة بين البصرة وحمى ضَرِية تبلغ نحو (٤٠٠) ميل كما حددها المتقدمون وتعريف المواضع بسكانها أصبح لا يفيد في هذا العصر الذي انتقلت فيه القبائل القديمة من مساكنها ، بل جهلت أكثر تلك القبائل ، كبني يربوع - وأدنى فلج من البصرة لا يزيد على ٩٠ ميلًا ، ولكن أعلى الوادي يمتد حتى الدهناء ، وكان يقطعها حتى تبلغ فروعه وسط حَرَّة خَيْبَر في شرقي الحجاز ، ولا يزال أثر مجرى الوادي يَبْدُو أثناء مواقع قليلة الرمال من الدهناء ، ومن خرافات العامة أن جبل سنام الواقع بقرب البصرة في أسْفل الوادي كان قد انجزع من حَرَّة خَيْبَرَ شرق المدينة ، وسار مخترقًا الجزيرة حتى استقر في مكانه ، وَشَقَّ بمجراه وادي فَلْج ، ويقولون بأنه يشبه تلك الحَرَّة في طبيعة تكوينه ، وما ينبت فيه من أشجار ونبات .

٣ - وقع في كلام بعض المتقدمين خلط بين (فَلَجٍ) بفتح اللام و (فَلْج) بإسكانها ، والأول قد يذكر مُضَافًا (فَلَج الأفلاج) ويراد به مِنطقة واسعة في جنوب نَجْدٍ ذَاتُ أفلاج - أنهار - كثيرة ، تعرف الآن باسم الأفلاج ، والثاني يراد به هذا الوادي الذي أصبح الآن يعرف باسم الباطن ، والباطن يقصد به الوادي العظيم ، كما يقال باطن الرياض هو واديها الذي كان يعرف باسم العرض .

٤ - أُنْشِئَ في الباطن (فَلْج) في القرن الماضي هُجَرٌ اسْتَقَرَّ بها بعض أهل البادية ، منها (الْحَفَر) بفتح الفاء الذي كان يعرف قديمًا بِحَفَر أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل الذي تولى إمارة البصرة في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٧ من الهجرة ، ومنذ نحو عشر سنوات عُمِرت الْحَفَرُ حتى أُصْبَحَتْ مدينة كثيرة السكان ، حديثة

العمران ، تُضَاهِي بذلك كبريات المدن في المملكة .

٥ - فَصّلْتُ الكلام عن (فَلْجٍ) في قسم المنطقة الشرقية من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » - ١٣١٥ إلى ١٣٣٠ - ومما قلت : من شرق الدهناء يَتَّضح مجرى وادي فَلْج منحدرًا نحو الشرق ، من فَوق منهل الثامي (المجازة قديما) مارًّا بأُمِّ الْعُشَر ومواضع أخرى أشهرها مدينة الحفر ، ثم يستمر مُشرِّقًا بميل نحو الشمال إلى قرب الخليج حيث يختفي في السهول هناك . وهذا معنى قول صاحب « النقائض » - ٤٨٥ -: فلج لبَلْعَنْبَر وهو مابين الرُّحيل إلى طرف الدهناء وهو المجازة . انتهى والرحيل يبعد عن البصرة نحو ٦٠ كيلًا (فلج بين خطي الطول : ٤٦/٥٥° و ٤٧/٣٠° وخطي العرض : ٢٧/٣٠° و ٣٠/٣٠°) .

(يتبع)

النصير الطوسي
وكتابه « التجريد »*

(الباحث : عباس سليمان)

عرض ونقد وتحليل : د. يوسف زيدان**

نصير الدين الطوسي أهم شخصية علمية في شرقي العراق خلال القرن السابع الهجري ..

والدراسة التي نعرضها هنا خطوة على طريق فهم هذه الشخصية ، التي لاتزال محتاجة إلى الكثير من الجهود للإفادة مما قدمته للعلم .

هكذا يقول د. يوسف زيدان ، الذي يتتبع في هذا البحث دراسة السيد عباس سليمان بالعرض والتحليل والنقد ، ويثير الكثير من الأسئلة التي تفتقر إلى الإجابة ، كما يصحح عددًا من المقولات التي لم تستند على أسس قوية .

« المجلة »

* رسالة دكتوراه نوقشت في أواخر عام ١٩٩٠ في قسم الفلسفة بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، وحصل صاحبها على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى .

** باحث مصري متفرغ .

يعد نصير الدين الطوسي [محمد بن محمد بن الحسن] من أشهر رجال العلم العربي في القرن السابع الهجري ، وله أيضًا مكانته المتميزة كأحد كبار الفلاسفة والمفكرين الدينيين فى زمانه .

وُلد الرجل فى جُمادى الأولى سنة ٥٩٧ هجرية = فبراير ١٢٠١ ميلادية ، وعاش حياةً حافلة بالإنتاج العلمي والتقلبات السياسية والدينية . وتوفي وهو في الخامسة والسبعين ، وقت غروب الشمس ، يوم الإثنين ، ثامن عشر ذي الحجة سنة ٦٧٢ هجرية ، الموافق ٢٦ يونيو ١٢٧٤ ميلادية .

* * *

فيما عدا الدراستين اللتين قدمهما عبد الأمير الأعسم[١] وعارف تامر[٢] ، لم يهتم الباحثون العرب العصريون بالطوسي ، على الرغم من أن الأقلام الاستشراقية توقفت عنده[٣] ، والمصادر التاريخية الإسلامية حفلت بترجماته ، والمكتبات الخطية مليئة بنسخ مؤلفاته .

من هنا تأتي أهمية رسالة الدكتوراه التي قدمها الباحث عباس سليمان بعنوان « نصير الدين الطوسي أول كاتب لقلعة أَلَموت ، دراسة وتحقيق لمخطوط : تجريد العقائد » .

هذه الرسالة نوقشت أواخر ١٩٩٠ بكلية الآداب – قسم الفلسفة – جامعة الإسكندرية ، ونال صاحبها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى .

بدأ الباحث رسالته ببيان أهمية دراسة وتحقيق تراث نصير الدين الطوسي ، وهي أهميةٌ ليست في حاجةٍ لبيان ! فالرجل وتراثه كانا حقًا فى حاجةٍ لدراسةٍ وتحقيق ، إذ هو أهم شخصية علمية في شرق العراق خلال القرن السابع الهجري ، وكان من المؤسف أن تنأى عنه الدراسات الأكاديمية في معاهدنا العلمية حتى الآن .. بل إننا

(١) د/ عبد الأمير الأعسم : « الفيلسوف نصير الدين الطوسي .. » وقد طُبع هذا الكتاب مرتين ، الثانية منهما صدرت عن دار الأندلس ببيروت ، عام ١٩٨٠ .

(٢) عارف تامر : نصير الدين الطوسي في مرابع ابن سينا ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٣ .

(٣) غالبًا ماتأتي اهتمامات الباحثين في التراث العربي كصدى لاهتمام المستشرقين به ! وبخصوص الاهتمامات الاستشراقية بالطوسي ، يمكن مراجعة مقالة شتروتمان عنه بدائرة المعارف الإسلامية ، وكذلك مقالة بلوشيه بدائرة المعارف الكبرى .. ومن البحوث الخاصة بالطوسي ، ماكتبه G.M.Wickens في مقدمة تحقيقه لمخطوطة « The Nasiran Ethics » أو « أخلاق ناصري » التي نشرها بلندن ١٩٦٤ .

سنرى في آخر هذا المقال ، أن الطوسي لايزال في حاجة لدراسة وتحقيق .

تنقسم الرسالة إلى جزأين : الأول يضم دراسة عن الطوسي وأعماله وعقائده ، والآخر يشتمل على تحقيق مخطوطة « تجريد العقائد » وهي من مؤلفات الطوسي المعروفة ..

يستند عباس سليمان إلى حشدٍ كبيرٍ من المصادر والمراجع التاريخية ، ليقدم لوحات متتالية عن حياة نصير الدين الطوسي ، لكنه يغفل عن أوسع ترجمة تاريخية للطوسي ، وهي الترجمة الواردة في [أعيان الشيعة] لبهاء الدين العاملي . ومع ذلك فقد استطاع أن يقدِّم معلومات طيبة عن الطوسي ، ويتعرض لأهم وقائع حياته .. تلك الوقائع التي من أهمها « علاقة الطوسي بالمغول ، وموقفه من سقوط بغداد » ، فالمعروف أنه انضم إلى حاشية قائد المغول [هولاكو] بعد سقوط قلعة « ألَموت » التي كانت معقل الإسماعيلية من الشيعة[1] ، وأعلن بشكل رسمي أنه شيعي « اثنى عشرى » واستطاع آنذاك إقناع هولاكو بأنها عقيدة لاتثير الغضب – فقد كان هولاكو غاضبًا على الإسماعيلية – وبأنه على علم بالفلك والتنجيم يتيح له التنبؤ بما سيقع لهولاكو في المستقبل !.

وبهذا ، صار الطوسي مستشارًا لهولاكو وكاتبًا لمراسلاته ، وهو الذي كان من قبل كاتب قلعة ألَموت التي هدمها المغول .. ثم يهوِّن الطوسي على هولاكو دخول بغداد ، ويشجِّعه على ذلك ، حتى كان ماكان من قتل وتشريد وفظائع وهتك أعراض . يقول الباحث :

« ويستمر الطوسي بعد ذلك في الجانب المغولى ، مضمرًا في نفسه محاولة إنقاذ التراث الإسلامي الذي ضاع بسقوط بغداد ، ومحاولًا إقناع هولاكو بالإصلاح .. وقد تمَّ للطوسي الإصلاح الأكبر حينما أقنع هولاكو ببناء مرصد مراغة ، واجتهد كثيرًا في جمع الكتب »[2] . لكن الباحث يعود فيقول : « وأقام الطوسي ببغداد وتصفَّح أحوال الأوقاف ، وأشرف على أحوال الفقهاء والمدرسين والصوفية ،

---

(١) ظلت هذه القلعة تناوئ الخلافة العباسية ببغداد ، وتشق عصا الطاعة للخلفاء الذين عجزوا عن تدميرها لبسالة سكانها من الإسماعيلية وشدة بأسهم في الحرب .. وظلت القلعة معقلًا للشيعة الإسماعيلية حتى قضى عليها المغول عند زحفهم على الممالك الإسلامية .

(٢) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، الجزء الأول ، ص ٣٤ .

واستمر الحال على هذا الوضع إلى أن يئس الطوسي من عجزه عن إنقاذ بغداد ، إلى أن مات في سنة ٦٧٢ هجرية[١] .

اضطراب علمي :

وبمقارنة هاتين الفقرتين يبدو لنا اضطراب الباحث اضطرابًا علميًا بين محاولته الدفاع عن الطوسي ، وماتقرره الحقائق التاريخية .. هو يريد أن يعتذر للطوسي بأنه « أضمر إنقاذ التراث » لكنه لاينكر أن الطوسي ساهم في تدمير هذا التراث بمعاونته المغول على دخول بغداد ، ويصرِّح بأن الطوسي « يأس من عجزه عن إنقاذ بغداد » .

وأعتقد أن هذه القضية كانت بحاجة إلى وقفة أطول من الباحث ، كي يغوص في تحليل شخصية الطوسي من الناحية النفسية والسياسية .. وإنني لأتساءل : هل كان الطوسي مؤمنًا حقًا بعقيدة معينة ؟ وكيف ينتقل بهذا اليسر من اعتناق المذهب الإسماعيلي إلى إعلان المذهب الاثنى عشري ، وكلاهما من مذاهب الشيعة ؟ وكيف يتعاون مع أعداء الدين الإسلامي ؟ هل بمنطق العداء للخلافة السُّنيَّة في بغداد ، أم رغبةً في الوصول إلى مكانة سياسية مرموقة لدى أيِّ فريق ؟ وهل كان يُحيي بالفعل التراث حين شيَّد مرصد مراغة ، أم أنه كان مدفوعًا بروح البحث العلمي المجرد ؟ وكيف كان هذا الرجل ينظر للمغول ؛ مجرد غزاة ، أم قوة بلا عقل تحتاج للترشيد والتوجيه .

كل هذه الأسئلة الكثيرة ، بحاجةٍ إلى إجابة عميقة تستند إلى حقيقة موقف هذا العالم الفيلسوف . والثابت واليقيني أن عملية الحفاظ على تراث العرب بعد سقوط بغداد ، يعود الفضل فيها لعلماء مصر والشام من أمثال ابن النفيس والسيوطي وغيرهما من العلماء الذين أعادوا تدوين التراث العربي في القرن السابع الهجري ، مع تزويده بما حصر له من شروح . ولا أعتقد أن الطوسي يشاركهم هذا الفضل ! بل هو - فحسب - يسعى ببناء « مرصد مراغة » إلى أن يصل إلى مجد علمي شخصي .. ولم يكن الهدف من المرصد ، يزيد في تفكير هولاكو ، عن اكتشاف المستقبل بقراءة الطالع واستطلاع النجوم . ولقد استغلَّ الطوسي هذا اللون في التفكير ، فشجَّع هولاكو على بناء المرصد ، وكان الأمر مقضيًا .

وينقلنا الباحث إلى لوحة أخرى من حياة الطوسي ، عنوانها (المؤثرات الفكرية على

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥ .

شخصية الطوسي) ومع مافي العنوان من استخدام غير دقيق لحرف الجر - كان الواجب أن يقول « في » بدلًا من « على » - إلا أن مايهمنا هنا هو مضمون ماتحت العنوان .

خصَّص باحثنا هذا الفصل لتناول أساتذة الطوسي الذين تلقى على أيديهم ، وتلاميذه الذين تلقوا عنه .. وهو أمرٌ لايسوغ العنوان ، إذ إن (المؤثرات) لفظة واسعة تشمل المعاصرين للطوسي ، وتشمل أيضًا حوادث الزمان ووقائع حياة الرجل وتقلباته ، إلى جانب مالا حصر له من الأفكار التي تعرَّض لها الطوسي . كل هذه مؤثرات ، لكن الباحث اكتفى بالحديث عن معاصري الطوسي ، فكان عليه أن يجعل الفصل بعنوان (أساتذة الطوسي وتلاميذه) .

خطأ تاريخي :

ويقع الباحث في خطأ تاريخي فاحش ، حين يعدِّد أساتذة الطوسي فيذكر منهم (فريد الدين داماد النيسابوري) ويقول إنه (فريد الدين العطار) ثم يترجم للعطار على أنه أستاذ الطوسي ..

والحقيقة أن فريد الدين العطار ليس هو فريد الدين داماد النيسابوري ، وكان على الباحث أن يتحقق من ذلك فى الصفحات الخمس التي تحدَّث فيها عن العطار على أنه فريد الدين داماد أستاذ الطوسي ، خاصة أن المعروف عن العطار أنه : « فريد الدين أبو حامد محمد بن أبى بكر إبراهيم بن أبي يعقوب إسحق ، الصوفي ، الشاعر ، صاحب منطق الطير ، المتوفى ٦٢٧ هجرية[(١)] .. ولم ترد لفظة « داماد » في اسمه ولقبه إطلاقًا . ثم أين هي صوفية الطوسي التي من المفترض أنه تأثر بالعطار ..

وثمة ملاحظة هامشية ، هي أن الباحث يورد عبارة مجلوبة من أحد المصادر الشيعية المعاصرة ، تقول : وأَبى العطار طوال حياته أن يلوِّث موهبته الشعرية بإنشاد المدائح[(٢)] ! وهي عبارة تشير ضمنًا إلى أن العطار لم يمدح النبي - ﷺ - شعرًا ،

---

(١) بخصوص الشاعر الصوفي فريد الدين العطار . يمكن الرجوع لبحث د. عبد الوهاب عزام : التصوف وفريد الدين العطار .. وهناك ترجمة وافية له فى « نفحات الأنس » لعبد الرحمن جامي .

(٢) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، ص ٥٢ .. والباحث يعتمد هنا على « تاريخ الأدب الفارسي » تأليف : رضا زاده شفق ، ترجمة : محمد موسى هنداوي .

إذ إن لفظة « إنشاد المدائح » على إطلاقها ، تعنى « المدائح النبوية » ، وهو معنى اكتسبته اللفظة مع طول الاستعمال .. وهناك العديد من المدائح النبوية وذِكْر شمائل الرسول مبثوثة في طيَّات « منطق الطير » وغيرها من أعمال العطار ! وحقيقة أمر هذه العبارة ، هي أن العطار لم يمدح أحدًا من ملوك زمانه أو كبار رجال الحكم . يقول العطار :

* شكرًا لله ، فلم ألجأ إلى قصر ، ولم أكن ذليلا لكل حقير .
* ولم أُطْعَم خبز ظالمٍ مطلقًا ، ولم أختم كتابًا بذكر أحدهم مطلقًا[1] .

هذا هو المراد من عبارة العطار ، ولو دقَّق فى الأمر ، لكان بمقدوره أن يوضِّح المراد من كلمة « المدائح » أو يستبدلها بلفظ « مدح الحكام » حتى تتخذ الكلمات دلالتها المحددة في السياق .

وأهم مايقدمه عباس سليمان في الباب الأول من رسالته ، هو ذلك الحصر الممتع لمؤلفات الطوسي والنسخ المخطوطة لكل مؤلَّف منها . ولاشك في أنه اجتهد كثيرًا في جمع مادة هذا الفصل ، وكان بإمكانه أن يتجنَّب مشقة التنقيب ، لولا أنه – فيما يبدو – أراد أن يقدِّم قائمة وافية بأعمال الطوسي .. ومن تلك القائمة نكتفي هنا بالإشارة إلى أهم مؤلفات الطوسي مثل :

* شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا .
* مصارع المصارع .. وهو ردٌّ على كتاب « مصارعة الفلاسفة » للشهرستاني .
* تحرير المجسطي لبطلميوس .
* تحرير كتاب ظاهرات الفلك لأُقليدس .
* الأزياج الفلكية (الشاهي – الإيلخاني – الخاقاني) .

---

(١) فريد الدين العطار : منطق الطير ، دراسة وترجمة د/ بديع جمعة ، بيروت – دار الأندلس – ص ٣٧ .

* تحرير أصول الهندسة لأقليدس .
* تحرير كتاب المناظر لأقليدس .

ثم يتوجّه الباحث نحو الإسهام الحقيقي لنصير الدين الطوسي ، وهو إسهامه في ميدان العلوم الطبيعية ، فيعقد بابًا بعنوان « إسهام الطوسي في تقدم العلوم في القرن السابع الهجري » ، ويجعل من فصول الباب إطلالات متنوعة على جهود الطوسي : في الرياضيات وتناوله للمصادرة الخامسة[1] ، وفي الفلك وانتقاده لكتاب المجسطي مقترحًا نظامًا جديدًا للكون أبسط من نظام بطليموس ، وفي الموسيقى وربطه الدقيق بين الأنغام والتناسب الرياضي .. وتلك هي – في اعتقادي – القيمة الحقيقية للطوسي في تراث الإسلام ؛ وسوف نعود لهذه النقطة بعد .

العقيدة الإسماعيلية :

بعد ذلك تتعرض الرسالة للجانب العقائدي عند الطوسي ، فيحدثنا الباحث عن عقائد الإسماعيلية وفلسفتها ، هذه العقائد وتلك الفلسفة التي اعتنقها الطوسي في الطور الأول من حياته .. ولنوجز ذلك الجزء من الرسالة في هذه الفقرات :

« في عهد جعفر الصادق ، تولى عهد الإمامة ابنه إسماعيل ، وذلك بموافقة ورضى والده . لكن جعفر الصادق حينما سمع بأن فريقًا من الفرس وعلى رأسهم « أبي الخطاب الأسدي » كانوا في صحبة إسماعيل ، وأنه تأثر بمقالتهم في « تأليه الأئمة » أعلن سحب موافقته على أن يكون ابنه إسماعيل هو الإمام « السابع » من بعده ، وعيَّن « موسى الكاظم » بدلًا منه .. وتمسك الفرس بإمامة إسماعيل وصارت لهم دعوة تُعرف بالإسماعيلية أو السبعية – نسبة إلى الإمام السابع إسماعيل ، تمييزًا عن الاثنى عشرية التي تكمل سلسلة الأئمة إلى الإمام الثاني عشر .

---

(١) تقول هذه المصادرة – التي وضعها أقليدس في كتابه الأصول – مانصه : « إذا قطع مستقيمين آخرين ، وكان مجموع الزاويتين الداخلتين في نفس الجانب أقل من زاويتين قائمتين ، فإن الخطين المستقيمين إذا مُدا إلى مالا نهاية ، سوف يلتقيان في الاتجاه المقابل للزاويتين الأقل من قائمتين » .

وقد ظلت هذه المصادرة تشغل بال الرياضيين زمنًا طويلًا قبل الوصول إلى حلّ لها ، وكانت وراء ظهور مايُعرف بالهندسات اللاإقليدية التي وضعها ريمان ولو بتشفسكي وغيرهما اعتمادًا على مصادرات أخرى وتصورات مخالفة لتصور أقليدس عن طبيعة استواء السطح .

وأخذت الدولة العباسية تطارد محمد بن إسماعيل ، إمام الفرقة ، ففر هاربًا إلى خوزستان ثم إلى الديلم ثم إلى السلمية بالقرب من حمص ، وهنا بدأ دور « الستر » بالنسبة للأئمة الإسماعيليين ، أي اختفاء الأئمة وحكمهم للعالم كله دون أن يراهم أحد ..

واستمر الحال على ذلك حتى قامت الدولة الفاطمية بمصر ، والتحمت الدعاوى الباطنية بالعقيدة الإسماعيلية في شكل حكم رسمي لمصر ، فقد أعلن « أبو عبيد الله المهدي » في المغرب قيام الدولة الفاطمية المهدية ، مدعيًا أنه أحد أئمتهم ، وحينما تولى معد بن تميم (المعز لدين الله الفاطمي) الحكم في المغرب ، أرسل « جوهر الصقلي » إلى مصر وانتزعها من العباسيين ، وأنشأ مدينة القاهرة والجامع الأزهر ؛ وبذلك استقرت الدعوة الإسماعيلية في مصر .. » .

انتهى كلام الباحث ، ملخصًا ، وهو كما نرى سردٌ تاريخيٌّ للتطور السياسى لفرقة الإسماعيلية ، لكن المزعج في الأمر ، أن الباحث يعقب سرده التاريخي بفقرة مشتبكة تقول :

« ويمكن القول إن حركة الخطَّابية والمباركية التي تفرعت منها حركة القرامطة ، قد تداخلتا مع الإسماعيلية ودعاتها ومؤسسها ، وبذلك التحمت الدعوة الباطنية كلها بالعقيدة الإسماعيلية ، وكان من أثر هذا كله أن ظهرت هرطقة جديدة ودعوة أفرزتها الإسماعيلية من جديد ، وهي دعوة الدروز التي ابتدعت فكرة تأليه الحاكم بأمر الله .

هكذا تجتمع المتناثرات في فقرة الباحث ، فيجمع بين الخطابية والمباركية والقرامطة والإسماعيلية والباطنية والدروز . وتأليه الحاكم بأمر الله ، كل هذه المذاهب والأفكار يجمعها الباحث في فقرة واحدة ، ثم يصفها أخيرًا بالهرطقة – وهي لفظة شاعت في العصور الوسطى المسيحية أيام محاكم التفتيش .. ولاشك أن الفقرة تحتاج لفك اشتباك ومزيد من التحليل والترفق في إصدار الأحكام ، وخاصةً أن الفقرة ترد في بحث أكاديمي متخصص .

ويفصِّل الباحث أهم الأفكار الإسماعيلية (الإمامة – التأويل الباطني – المثل والممثول – نظرية الدور – نظرية العقول العشرة) ليجعل من ذلك توطئةً للكلام عن تطور الدعوة الإسماعيلية في إيران ، وفي قلعة « ألَموت » بالذات .. ولهذه القلعة تاريخ مثير ، نتوقف عنده قليلًا ، معتمدين على العرض الطيب الذي يقدمه الباحث :

« ظل الحسن بن الصبَّاح يدعو للمذهب الإسماعيلي في كل بلد ينزل به ، فاستجاب له عدد كبير من الناس ، ثم استقر ابن الصبَّاح ببلاد فارس وأراد تأسيس دولة إسماعيلية تكون مركزًا للدعوة بدلاً من مصر ، فهداه تفكيره لقلعة ألموت لما تتمتع به هذه القلعة من المناعة . وألَموت ، آلة أموت ، كلمة تعني : عُش العُقاب .. فقد كان لطائر العقاب عُشًا بها ، وهي تقع على بعد ستة فراسخ من قزوين .

ونجح الحسن بن الصبَّاح في تحويل جنود القلعة إلى المذهب الإسماعيلي ، فحملوه إلى القلعة في احتفال سنة ٤٨٣ هجرية ، ثم دفع ثلاثة آلاف دينار لحاكم القلعة ليسلمها له ، ولم يكن أمام الحاكم إلا أن يقبل ، لأن الجنود صاروا طوع إرادة الحسن بن الصبَّاح .. ومن اللحظة الأولى ، بدأ ابن الصبَّاح في تأليف جيش قوي ومنظم من الإسماعيلية ، بسط سلطانه على ماحول القلعة من بلدان . ونادى الحسن الصبَّاح بعقيدة التعليم التي تعني أن يكون للناس في كل عصرٍ إمام يتلقون عنه المعرفة ، إذ إن المعرفة بالله لو كانت ممكنة بالعقل ، لكان كل العقلاء مؤمنين ، ولما اختلف أهل العقل على شيء .. ووضع ابن الصبَّاح دستورًا لأتباعه يقوم على الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يتردد في تطبيق أحكام الشرع حتى إنه أمر بقتل ابنه محمد لاتهامه بشرب الخمر ، لأن شرع فرقة الإسماعيلية يتشدد في تحريم الخمر ، وأمر أيضًا بقتل ابنه الأكبر حسين ، لأنه اشترك مع آخرين في قتل شيخ مشايخ قهستان . وهكذا لم يجد الحسن بن الصباح وريثًا من عقبه يخلفه في حكم الإسماعيلية ويتولى من بعده شئون القلعة ، فاستدعى بزرك أميد الذي تولى الإمامة سنة ٥١٨ واستمر في انتهاج نفس المنهج الصباحي طوال أربعة عشر عامًا هي فترة حكمه ».

وتولى بعده ابنه محمد بن بزرك أميد .. وقد سار الابن على نفس المنهج أيضًا ، ووجه عناية خاصة للفرقة الفدائية التي كانت تحتل المكانة الأولى في الجيش الإسماعيلي .

ثم تولى الحسن بن محمد بن بزرك أميد الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٧ ، لكنه ظل ينسخ الرسوم الشرعية والقواعد الإسلامية التي التزم بها الإسماعيلية طوال فترة ولاية أسلافه ، وبلغ به الأمر أنه جعل قِبلة الصلاة في الوجهة المغايرة لقبلة أهل الإسلام ، وأسقط عن أتباعه فروض الدين وألزمهم بأن يقرنوا اسمه بعبارة : على ذكره السلام .. ثم جاء بعده ابنه محمد بن الحسن الذي كان أكثر غلوًا من أبيه وكان يدعي الفلسفة والحكمة .

واعتدل الحال بولاية جلال الدين الحسن بن محمد ، سنة ٦٠٧ هجرية ، فقد أعاد للفرقة الإسماعيلية أحكام الدين الإسلامي وأمر ببناء المساجد وإقامة الصلاة، وارتبط بعلاقات سياسية طيبة مع حكام العالم الإسلامي بما فيهم الخليفة العباسي ببغداد .. وفي عهده عادت ثقة المسلمين في عقيدة الإسماعيلية ، وابتعدت فرقته عن الإباحية والإلحاد اللذين ظهرا إبان حكم أبيه وجده .

لكن الانتكاس جاء مع ولاية ابنه علاء الدين سنة ٦١٨ ، فقد عادت إلى الإسماعيلية نزعات الإلحاد والإباحية ، وظلت توفد الفدائيين إلى الأمراء والملوك لاغتيالهم .. وقد أمر علاء الدين بتأسيس مكتبة إسماعيلية ضخمة ، أحضر لها المخطوطات القيمة من مختلف الأقاليم ، ووجه عناية خاصة لدور العلم فازدهرت العلوم الفلسفية والفقهية ، وكان نصير الدين الطوسي من الذين ساعدوا على هذا الازدهار ، ولذلك يعدُّ أول كاتب لقلعة ألموت .

بدأت علاقة الطوسي بالقلعة سنة ٦٢٥ هجرية ، حين نزل ضيفًا على الوزير ناصر الدين عبد الرحيم محتشم ، فمكث هناك ثمانية وعشرين عامًا هي أخصب فترات حياته العلمية ، ففي « ألموت » كتب الطوسي ووضع المؤلفات في العقيدة والفلسفة والرياضة والفلك . وفي هذه المرحلة من حياته انتسب للمذهب الإسماعيلي، الذي تبرأ منه

بعد خروجه من القلعة معلنًا انتسابه للمذهب الاثنى عشري .. وهناك من الباحثين مَنْ يؤكد إسماعيلية الطوسي منذ صغره ، وهناك مَنْ يقول إنه أُجبر على العيش في القلعة بالقوة .

ويعرض عباس سليمان لرأى الفريقين في إسماعيلية الطوسي ، فنرى في الفريق المؤكد إسماعيليته كلًا من : عبد الأمير الأعسم – مصطفى جواد – كامل الشيبي – عباس عزاوى – عارف تامر .. وفي الفريق القائل بأن الطوسي كان مرغمًا على هذه العقيدة نجد : محمد حسن آل ياسين – عبد الله نعمة الله – قدرى طوقان .

ويختم الباحث هذه النقطة بقوله : « وهكذا اختلف المؤرخون حول إسماعيلية الطوسي واثني عشريته ، وعلى الرغم من أننا أشرنا إلى كلا الفريقين ، فإننا لانتحيَّز إلى واحدٍ منهم (هكذا في النص ، والصواب : منهما) وعلى هذا يجب أن نوضح الاتجاه الذي نميل إليه في معالجة هذه المشكلة ، وهو أننا نميل إلى اعتبار الطوسي فيلسوفًا من الطراز الأول ، وأنه كان ينتمي إلى الشيعة سواء الإسماعيلية أو الاثني عشرية .. وبذلك فإن الطوسي يعتبر في نظرنا فيلسوفًا فحسب ، تأثر بالعقيدة الإسماعيلية في فترة من فترات تطوره الثقافي . أما اثني عشرية الطوسي ، فإننا نرى أن إعلانه بذلك كان بتأثير من المغول ، حيث وجد الطوسي المخرج الذي يخرجه من هذه الأزمة بإعلانه هذا . وحتى حينما انضم الطوسي إلى هذا المذهب ، وجدناه فيلسوفًا يعالج المسائل العقائدية من منطلق فلسفي » .

رجل علم :

هذا هو رأي عباس سليمان ، بنصه ، ولنا عليه الملاحظة التالية : لم يوضح لنا الباحث مايقصده بكلمة « فيلسوف » فنحن نعرف أن الفلسفة نوع من التفكير الذي يعتمد على العقل ، ولايبدأ من أي اعتقادات مسبقة . وبهذا المعنى ، فإن كان الطوسي فيلسوفًا ، فهو ليس إسماعيليًا ولا اثني عشريًا ، فكلا الفرقتين تقول بعصمة الإمام وضرورة اتباع أقواله ، والفلسفة لاتعترف بعصمة إمام ولا تقر اتباع أقوال معينة مهما كان مصدرها ، بل هي تقوم على التأمل العقلي المجرد .. وإذا كان الباحث

يقصد بلفظ « فيلسوف » أن الطوسي كان متحررًا في تفكيره . وليس نمطيًا ، فهذا أيضًا لايستقيم ! لأن الطوسي في قلعة ألَموت كان « ملتزمًا » بعقائد الإسماعيلية ، وهو بعد سقوط القلعة « مؤمنًا » بعقائد الاثني عشرية ، ولا يتفق الالتزام ولا الإيمان مع التحرر في التفكير الذي ربما يكون الباحث قد قصده . فما هو الحل إذن ؟

يبدو أن الطوسي كان أولًا وأخيرًا رجل علم ، ونحن نقصد بالعلم هنا : العلم الطبيعي والرياضي .. لكنه كان يعيش في منطقة ازدحام عقائدي وتوتر سياسي ، فكان عليه أن يسلك بين ذلك سبيلًا يمكنه من البحث العلمي ، ومايريده الطوسي يتطلب الاستقرار ، فليستقر مرة في كنف قلعة ألموت ، ومرة في كنف المغول ! هو لايهمه في أي جانب سيكون اليوم وإلى أى جانب سيميل غدًا ، كل مايهمه هو الاستمرار في البحث العلمي . ولهذا ، استطاع الطوسي وهو مستقر في قلعة « ألَموت » أن يضع مجموعة من المؤلفات تزيد على الثلاثين ، ثلثاها أو أكثر علمية ، وبضعة منها عقائدية تذر في أعين مراقبيه الرماد . ولنتأمل في قائمة مؤلفات الطوسي التي وضعها في قلعة ألموت طيلة الأعوام الثمانية والعشرين :

١ – أخلاق محتشمي .

٢ – أخلاق ناصري .

٣ – شرح الإشارات .

٤ – أساس الاقتباس .

٥ – مطلوب المؤمنين .

٦ – روضة التسليم .

٧ – روضة القلوب .

٨ – رسالة في التولي والتبري .

٩ – أوصاف الأشراف .

١٠– تحرير المجسطي (في علم الفلك) .

١١- تحرير أصول الهندسة لأقليدس .
١٢- تحرير أكر مانالاوس .
١٣- تحرير كتاب ثاوذوسيوس في الأيام والليالي .
١٤- تحرير كتاب أرسطرخس في جرمي النيرين ومابعدهما .
١٥- تحرير كتاب اسقلاوس في المطالع .
١٦- تحرير كتاب الطلوع والغروب لأوطولوقس .
١٧- تحرير كتاب المساكن لثاوذوسيوس .
١٨- تحرير كتاب الأكر لثاوذوسيوس .
١٩- تحرير كتاب معرفة الأشكال البسيطة والكرية لبني موسى بن شاكر .
٢٠- تحرير كتاب المعطيات في الهندسة لأقليدس .
٢١- تحرير كتاب المأخوذات في الهندسة لأرشميدس .
٢٢- تحرير كتاب الكرة والأسطوانة لأرشميدس .
٢٣- تحرير كتاب الكرة المتحركة لأوطولوقس .
٢٤- شرح كتاب الثمرة في أحكام النجوم لبطلميوس .
٢٥- كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة (= علم الفلك) .
٢٦- التذكرة النصيرية في الهيئة .
٢٧- زبدة الإدراك في هيئة الأفلاك .
٢٨- الرسالة المعينية في علم الهيئة .
٢٩- رسالة حل مالا يُحل .
٣٠- بيست باب در معرفة اسطرلاب .
٣١- تقويم علائي .

وإذا عرفنا أن هذه القائمة مرتبة - بشكل تقريبي - طبقًا لتاريخ تأليف كل عمل منها ، أدركنا أن الطوسي كان في أول نزوله القلعة يستميل حكامها بتآليف ذات

طابع عقائدي . ولما اطمأن هناك ، راح يصنِّف ويؤلِّف في علوم الهندسة والفلك .

مرصد مراغه :

وعندما استقر المقام بالطوسي جوار « هولاكو » ووجد المال والسلطة والإمكانيات المتاحة ، حقق عملًا علميًا تطبيقيًا لم يكن يتيسر له وهو مع الإسماعيليين ، وذلك هو : بناء مرصد مراغة .. ذلك المرصد الذي اندفع عباس سليمان واصفًا إياه بقوله « هو أهم حدث في القرن السابع ، ذلك المرصد الذي حفظ لنا التراث الإسلامى وأنقذ كثيرًا من العلماء والفلاسفة والفقهاء .. »(١) . وهي بدون شك عبارة حماسية جارفة ، وإلا فقد شهد القرن السابع الهجري أحداثًا أعظم ؛ وإذا كان المرصد قد أسهم في تطوير البحث الفلكي ، فلا يعني هذا أنه « حفظ لنا التراث الإسلامي » فهذا التراث – كما ذكرنا من قبل – حفظته القاهرة .

وأخيرًا ، فمن المؤكد أن الطوسي جمع في المرصد علماء الفلك ، ولكن السؤال : كيف أنقذ هذا المرصد الفلاسفة والفقهاء ؟ وماذا كانوا يفعلون فيه ؟!

لقد استفاد الطوسي من صحبته للمغول استفادةً علمية تطبيقية لم تكن متاحةً له إذا صحب غيرهم ، وماعليه بعد ذلك إن أعلن عن اثني عشريته أو كان إسماعيليًا أو حتى مغوليًا .. فقد تم له المراد ، بقطع النظر عن مسألة الاعتقاد ؛ تلك المسألة التي أرى – من جانبي – أنها لم تكن الشاغل الأكبر لهذا العالم الفذ .

ولنعد إلى سيرة الطوسي كما يقدمها لنا عباس سليمان في رسالته ، فنقرأ عنده العبارة التالية : « يتضح لنا أن الطوسي استطاع أن يثري المكتبة الإسماعيلية في قلعة أَلَموت .. ففي عهد الإمام علاء الدين بن جلال الدين ، استطاع أن يؤلف ويحرر مالا حصر له من المؤلفات القيمة التي تتناول مختلف العلوم والفنون ، وخاصة : الفلسفة

---

(١) عباس سليمان : نصير الدين ، الجزء الأول ، ص ١٥٥ .

والرياضيات والفلك . ومن ثَمَّ ازدهرت العلوم الإسماعيلية (!) مرةً أخرى على يد نصير الدين الطوسي الذي يستحق في نظرنا أن يطلق عليه : أول كاتب لقلعة ألموت » انتهى كلام الباحث بحروفه ..

مبحث جديد :

ثم نأتي للباب الأخير من دراسة عباس سليمان ، وهو أضخم الأبواب حجمًا ، إذ يبتدئ بصفحة ٢٨٦ ويستمر إلى خاتمة الدراسة في صفحة ٤٠٥ ، وقد وضع له باحثنا عنوانين : الأصول الكلامية لفلسفة الإسماعيلية عند الطوسي – تطور علم الكلام إلى الفلسفة ومنهجها .. ولا أدري السر في وضع أكثر من عنوان واحد للباب ، هل تردَّد الباحث أمام اختيار أحد العناوين بالذات فوضعهما معًا ؟ أم أنه لم يستطع دمج العناوين في عنوان واحد ، مثل : الفلسفة وعلم الكلام عند الطوسي – الطوسي وتأسيس علم الكلام الفلسفي – حدود الفكر العقائدي لدى الطوسي – دور الطوسي في تطوير الفلسفة وعلم الكلام -- تأصيل الطوسي لعقيدة الإسماعيلية .. كل هذه العناوين تنطبق على مراد الباحث من هذا الباب ، فكان من الممكن أن يختار أحدها !

والفصل الأول من الباب بعنوان [تأسيس المنهج الفلسفي لعلم الكلام عند الطوسي] ويهدف عباس سليمان هنا إلى أن يحدد كيفية استفادة الطوسي من الفلسفة ومنهجها العقلي ، في إبداع علم كلام جديد يبحث في العقائد بشكل عقلي متفتح .. ولاشك أنه مبحث جيد وأسلوب جديد في معالجة نصوص الطوسي ، وكان يمكن للباحث أن يضع أيدينا بيسر على هذه النقطة المبتكرة ، لولا أنه أسهب في تفاصيل متعبة لاتثري بحثه ، وأطال في بيان تفاصيل كان في غنى عنها . فهو مثلًا يبدأ الفصل بعنوان جانبي يقول [المنهج الإسلامي] فإذا به يتحدث عن تطور المنطق عند المسلمين .. مع أن المنهج شيء ، والمنطق شيء آخر ! فالمنهج الإسلامي قد يجمع بين مناهج العلماء التجريبية ، ومسالك الصوفية الإلهامية ، وطرق الفلاسفة العقلية ، استنباطات الفقهاء .. الخ . وما يريده الباحث ، هو بيان « النهج الذي يعتمده

المتكلمون في بحثهم عن الحقيقة » وهو ماذكره الباحث في صفحة ٢٩٦ ، دون أن يلتفت إلى أن مراد المتكلمين لم يكن « البحث عن الحقيقة » بل كان هدفهم « الدفاع عن الحقائق الإيمانية بالأدلة العقلية » بحسب تعريف ابن خلدون ، أو هو « علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحُجَج ودفع الشُبه » كما ورد في تعريف الإيجي[1] .. فالمتكلمون إذن لايسعون للبحث عن الحقيقة ، بل هم يقرُّون حقيقة ماجاء به الإسلام ، ثم يدافعون عن تلك الحقيقة التي آمنوا بها ، ويدفعون عنها شكوك الملاحدة وأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى .

إن باحثنا يرى أن [القياس الصوري] كان هو المنهج المتبع عند المتكلمين والفلاسفة ، ثم يذهب إلى تفاصيل اشتغال الفارابي بالمنطق وجهود ابن سينا المنطقية ، ويتوقف أيضًا عند الجويني إمام الحرمين ، ليخلص من هذا العرض التاريخي لتقرير القضية التالية :

« إن المنهج الأصولي لايصبح [يقصد : لم يعد] هو المنهج الذي ينتهجه علماء الكلام ، بل تدخل الفلسفة بمنهجها لتعطي علم الكلام « المنهج الفلسفي » ، وهذا يعني أن علم الكلام أصبح أكثر تسامحًا مع مدخل الفلسفة وأكثر تقبلًا لها . وفوق ذلك ، لأن المنطق الجديد المستخدم في علم الكلام هو نفسه منطق أرسطو الذي دُرس ودوفع عنه بواسطة الفلاسفة أمثال الفارابى وابن سينا .. ومن ثمة ، تكونت طريقة المتكلمين المتأخرين ، الذين انتبهوا إلى مافي المنهج الأصولي من ضعف وشطط ، فلجأوا ابتداءً من أواسط القرن الخامس الهجري إلى الاستعانة بالمنطق

(١) راجع المزيد عن تعريفات علم الكلام وموضوعه ، في :
- د/ على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الجزء الأول .
- د/ محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (دار المعرفة الجامعية) ص ٢٤٣ .
- د/ أحمد محمود صبحي : في علم الكلام - المعتزلة (مؤسسة الثقافة الجامعية) ص ٢ .

الأرسطي بحيث تعتبر هذه المرحلة فاصلًا بين عهدين رقيقين ، عهد لم يلجأ فيه المسلمون إلى مزج علومهم بالمنطق والفلسفة اليونانية ، وعهد بدأ فيه المسلمون عملية المزج هذه ، وخاصة في نطاق المنطق .. وهذه الحركة الأخيرة قام بها الغزالي ٥٠٥ هجرية ، إلا أننا نعتبر أن ابن حزم ٤٥٦ هو أول من أدخل المنطق إلى علوم المسلمين »[١] .

ويفرد الباحث قرابة عشر صفحات بعد ذلك لجهود ابن حزم والغزالي في المنطق ، ثم يعود أخيرًا لموضوع رسالته ، فيحدثنا – في صفحتين فقط – عن المنهج الفلسفي عند الطوسي ، فيعرض لأقسام المنطق عنده ، ثم يقفز للنتيجة التالية : إن الطوسي قد استخدم المنطق الصوري في كتابه [تجريد العقائد] كأداة ومنهج للبحث والاستدلال ، ومن ثمة ، يعد كتاب الطوسي باستخدامه للمنطق الصوري نموذجًا فريدًا في تأسيس علم الكلام الفلسفي في العالم الإسلامي »[٢] .

ومن الواضح أن الباحث قد أطال في تفصيل أمور تخرج عن نطاق بحثه ، وأجهد نفسه كثيرًا كي يشرح الجوانب المنطقية عند أعلام الإسلام ، حتى إذا جاء عند النقطة الحاسمة ، أعني مايخص الطوسي ومنهجه ، كان الإعياء قد أدركه ، فلم يفصِّل الأمر واكتفى بتقرير النتيجة السابقة ، وهي نتيجة كانت تحتاج إلى تأكيد وبرهنة من الباحث ، اعتمادًا على نصوص الطوسي نفسها .. ومع ذلك ، فما يُذكر هنا للباحث ، هو أنه أوضح لنا موضع الطوسي في التطور التاريخي لمنطق أرسطو عند المسلمين .

ويتوقف عباس سليمان بعد ذلك عند [أثر المعتزلة في علم الكلام عند الطوسي] فيذكر أقوالهم في مشكلة الصفات الإلهية ، ثم يقارنها بما ذهب إليه الطوسي ، موضحًا تأثره بالمعتزلة في قولهم : إن الصفات الإلهية هي عين الذات ، ومتابعته لهم أيضًا في

---

(١) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، ص ٣٠١ .. ونحن لا نوافق على كلام الباحث في جملته وتفصيله ، لكن بيان هذا الأمر يحتاج لبحث مفرد عن تطور المنطق عن المسلمين .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣١٢ .

قولهم بالحرية الإنسانية ونفي الجبرية ، وقولهم بنفي رؤية الله ، وأخيرًا .. اعتماده على منهجه [التأويل العقلي] الذي اعتمد عليه المعتزلة من قبله .

* * *

ويبقى من الجزء الأول قرابة الخمسين صفحة ، هي أهم مافي البحث ، لأن الباحث قد خصصها حقًا لفلسفة الطوسي ، ولم يخرج عن موضوعه كما فعل من قبل . وهو يبدأ الفصل بعبارة مهمة تقول « اقترب علم الكلام عند الطوسي ، بل قد تلاحم ، مع الفلسفة » ثم يؤكد مضمون العبارة من خلال بحثه . للنقاط الآتية :

أ - الألوهيـــة :

يبدأ الطوسي بمناقشة قضية « الوجود » لينتهي - كما انتهى ابن سينا - إلى أن الله « واجب الوجود » وأول صفاته هى [البساطة] بمعنى عدم التركيب ، لأن كل مركب يفتقر إلى أجزائه ، والله غنيٌّ عن العالمين . وثاني الصفات [التمام] فالله تعالى تامٌّ وفوق التمام ، وهو ثالثًا [خير محض] وهو أيضًا [لا مثل له ولاضد] .

ويعقب الباحث على ذلك بأن الطوسي لم يخرج في تعديده للصفات الإلهية عما يقرره الفارابي وابن سينا والفكر الإسماعيلي .

ثم يتناول أدلة الطوسي على وجود الله ، وهي أيضًا مما لم يأت فيه الطوسي بجديد ، فهو يعتمد على دليل [الواجب والممكن] ودليل [الوجوب الذاتي] وهما دليلان ذكرهما ابن سينا من قبل .

ب - العالـــم :

يناقش الباحث هذه النقطة تحت عنوان « مشكلة الخلق » فيبرز كلام الطوسي في قدم الله وحدوث العالم ، وهي نتيجة طبيعية لأدلة وجود الله التي قررها الرجل من قبل .

وينفي الطوسي وجود واسطة بين الله والعالم ، ويؤكد أنها غير معقولة كما يؤكد أن الفعل الإلهي في العالم هو فعل حر يخلو من الضرورة ، أي القول بعلة تدفع الله – سبحانه – لأن يفعل فعلًا معينًا .. وهو تعالى علة كل مايقع من حوداث ومايصدر عنه من أوامر .

ومن الأفكار الجيدة التي يقدمها الطوسي قوله إن للأشياء وجودين : وجودٌ لذاتها وفي ذاتها ، وهذا الوجود يصعب إدراكه من جهتنا ؛ ووجودٌ يتبدى لنا على النحو الذي تستطيعه وسائل إدراكنا .. وكم كنت أتمنى أن يزيدنا الباحث من تفاصيل هذه النظرية ، وأن يرجع لمؤلفات الطوسي العلمية لتأصيل الفكرة والكشف عن جوانبها المختلفة . وخاصةً أنها من الأفكار التي ظهرت بقوة في الفلسفة الحديثة ، وأكدتها البحوث العلمية المعاصرة .

وينفي الطوسي فكرة [الجوهر الفرد] أو مايُسمى [الجزء الذي لايتجزأ] ، وهي من الأفكار التي توسع فيها المتكلمون .. فهو يرى أن كل موجود يقبل التقسيم إلى مالا نهاية له من التقسيمات، فكيف يمكن أن نتوقف عند جوهر فرد لايتجزأ ؟ هذا مايراه الطوسي مخالفًا لطبيعة الأجسام المادية .

وعن مفهوم الزمان يرى الطوسي أنه « مقدار الحركة من حيث التقدم والتأخر العارضين لها باعتبار آخر » فهو يربط بين الزمان والحركة ، ثم يقول بأن « لكل جسم مكانٌ طبيعي » والمكان عنده إما مكانٌ ملاقٍ للمادة ، أو مكانٌ مفارق تحل فيه الأجسام بحركتها . وهو ينفي فكرة [الخلاء] ، ويدلِّل على ذلك بمقدار سرعة الحركة ، وينتهي إلى أنه لابد للمكان من شاغلٍ ما .

ج – النفس :

يرى الطوسي أن النفس « كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة » وهو تعريف لا يخرج قيد أنملة عن تعريف أرسطو . ويضيف إن النفس « مغايرة لما هي شرط فيه » أي مغايرة للبدن ، فهي تسبق الجسم وتبقى بعد فنائه .

ونأتي لمسألة [التناسخ] وانتقال النفس بعد الموت إلى جسد آخر ، وهي من الأفكار التي اتهم بها الإسماعيلية ظلمًا . وهنا نرى الطوسي - كاتب قلعتهم - ينفي التناسخ نفيًا قاطعًا ، لأنه : « لما كانت النفس حادثة ، وعلة حدوثها [الله] قديمة ، فلابد من حدوث استعدادٍ وقت حدوثها ، ثم يتخصَّص ذلك الوقت بالإيجاد فيه . والاستعداد إنما هو باعتبار القابل [البدن] فإذا حدث الاستعداد ، وجب حدوث النفس المتعلقة به .. فإذا انتقلت إليه نفس أخرى منسلخة عنه [أي عن بدن ميت] لزم اجتماع نفسين لبدن واحد ، وهذا محال ، فلا توجد نفسان لبدن واحد »[1] .

وأخيرًا ، يقرر الطوسي خلود النفس ، فهي عنده - وعند سائر المسلمين - لا تقبل الفناء ، لأنها بسيطة في ذاتها ... وهذا البرهان قرره قبل الطوسي معظم الفلاسفة ، ثم أبطل « الآمدي » الاستدلال به !

* * *

بهذا ينتهي عباس سليمان من استعراض الأفكار الأساسية في فكر الطوسي الديني ... وهي أفكار لا تخرج عما قاله الفلاسفة والمتكلمون قبل الطوسي وبعده ! حتى إن القارئ للرسالة يسأل نفسه : أين هي إذن إسماعيلية نصير الدين الطوسي ، أول كاتب لقلعة ألموت معقل الإسماعيلية في فارس ؟ وكيف استساغ مؤرخو السنة اتهام هذه الجماعة في عقيدتها إذا كان كاتبهم يقرر هذه الأفكار التي لا تخرج عن إطار الفكر الإسلامي ؟ وهل هناك مذهب مشهور للإسماعيلية - هو ماحدثنا عنه الطوسي - ومذهب مستور لها ؟ وماهي العناصر الشيعية في فكر هذا الرجل ؟

تساؤلات دون إجابات :

لم يقدم عباس سليمان في بحثه إجابات لهذه التساؤلات المهمة ، ويبدو أن إثبات فكرته عن [علم الكلام الفلسفي] عند الطوسي قد شغلته عن بحث ماسوى ذلك من أفكار .. وهو يخصص الفصل الأخير لبيان طبيعة مايسميه بعلم

---

(١) الطوسي : تجريد العقائد، ص ١٠٤ .

الكلام الفلسفي ، ذلك اللون من التفكير الذي - بحسب عبارة الباحث - يلتقي فيه كلٌّ من الفلسفة وعلم الكلام ، ليكونان معًا أحد العناصر الرئيسية التي شكلت ثقافة مابعد القرن السادس الهجري ..

وهذه الظاهرة الثقافية [علم الكلام الفلسفي] ترجع في نظرة عباس سليمان إلى الأسباب الآتية :

١ - إن الفلسفة وقد واجهت هذا الهجوم التاريخي الشديد - يقصد : على يد الغزالي وابن خلدون وابن تيمية - قد اضطرت إلى الدخول تحت موضوعات علم الكلام والتصوف ، وبذلك تم إشباع الميل الفطري للتفلسف عند المفكرين الإسلاميين ، دون تخصيص بالفلسفة على وجه التحديد .

٢ - ارتباط علم الكلام الفلسفي عند الطوسي باستخدامه للمنطق الصوري كأداة ومنهج للبحث والاستدلال .

٣ - اهتم الطوسي اهتمامًا خاصًا بمذهب المعتزلة الكلامي ، الأمر الذي أدى في النهاية إلى موقف الطوسي الفلسفي العام ، ذلك الموقف الذي يهدف إلى مزج الفلسفة بعلم الكلام .

٤ - أثر الاتجاه الإسماعيلي الفلسفي المتمثل في نظرية الفيض في انطباع الموضوعات الكلامية بالطابع الفلسفي عند الطوسي .

٥ - ارتباط علم الكلام الفلسفي عند الطوسي بالأصول الكلامية في فلسفة ابن سينا .

ثم ينتهي إلى التقرير التالي : « وبناء على ذلك ، فإن الطوسي قد استخدم الفلسفة كأداة للتعبير عن مشكلات علم الكلام ، ولهذا فإن التجاء علم الكلام عند الطوسي إلى التفلسف لم يكن غايةً .. بل كان الهدف النهائيُّ عقائديًا بحتًا ، إذ إن الفلسفة وسيلة من وسائل الوصول إلى إثبات العقائد » .

وقد نقلت كلام الباحث بتمام حروفه وبنفس ترتيبه ، لأنني بصدد نقد وتسجيل اعتراضي عليه .. وسوف أتبع نفس الترتيب :

١ - الفلسفة لم تكن وحدها التي هوجمت من الغزالي وابن خلدون وابن تيمية ، فقد هوجم علم الكلام والتصوف أيضًا هجومًا لا يقل ضراوةً . فما معنى هروب الفلسفة ودخولها تحت موضوعات علم الكلام والتصوف ، وكأنهما يحظيان بما يحظى به الفقه - مثلًا - من تقدير عام !

٢ - استخدام الطوسي للمنطق الصوري لا يؤدي إلى ظهور « علم كلام فلسفي » بالضرورة ، فالمنطق الصوري بقوانينه البديهية مستخدم عند الطوسي وعند غيره ممن لم يظهر عندهم علم كلام فلسفي .

٣ - الاهتمام بمذهب المعتزلة الكلامي - وهو مذهب عقلي - لا يؤدي إلى موقف يمزج بين الفلسفة وعلم الكلام . قد يؤدي إلى تعميق نظرية الحرية الإنسانية والمسئولية السياسية للفرد ، وقد يؤدي إلى مخالفة اعتقاد أهل السنة في إمكان رؤية الله وفي مزيد من التنزيه الإلهي وغير ذلك مما يقرره مذهب الاعتزال ، لكن عملية مزج الفلسفة بعلم الكلام ليست نتيجة مباشرة للاهتمام بآراء المعتزلة ، فقد اهتم بها - مثلًا - الزيدية في اليمن ، ولم يظهر عندهم مايمكن أن نسميه بعلم الكلام الفلسفي .

٤ - الاتجاه الإسماعيلي لم يظهر عند الطوسي الذي قدمه لنا عباس سليمان ، بل إن نظرية الفيض التي ظهرت عند الإسماعيلية ، رفضها الطوسي تمامًا .. وقد نوه الباحث في ص ٣٨١ بذلك قائلًا : « إن إصرار الطوسي على إثبات الاختيار في أفعال الله سبحانه وتعالى ، يعد تصريحًا جليًا برفض نظرية الفيض .. » يضاف لذلك أن تأكيد الطوسي على نفي الواسطة بين الله والعالم ، يعني رفضه لنظرية الفيض التي تقول بتوسط العقول العشرة بين الله والعالم .

٥- ارتباط الطوسي بالأصول الكلامية في فلسفة ابن سينا لايؤكد وجود علم

كلام فلسفي عنده ، فالأَوْلى أن يوجد ذلك عند ابن سينا أولًا ثم يظهر عند الطوسي المستفيد منه ..

ونأتي للتقرير الأخير الذي يقدمه الباحث ، لنعترض بشدة على قوله « إن الفلسفة هي وسيلة من وسائل الوصول إلى إثبات العقائد » فالفلسفة منذ نشأتها في بلاد اليونان ، تمثل تمرد العقل الإنساني على العقائد الموروثة .. وعندما ظهرت الفلسفة عند المسلمين ، جاء الغزالي لتكفير الفلاسفة ! فكيف يقال إنها وسيلة من وسائل الوصول إلى إثبات العقائد ؟!

* * *

وينتهي الجزء الأول من الرسالة بخاتمة ، يجمل فيها الباحث تفصيلات بحثه ، ويشير إلى النقاط التي عالجها في المئات الأربع من صفحات دراسته .. وهي معالجة أجهدته ، ومن شأنها أن تجهد أي باحث غيره ، نظرًا لتفرع موضوعاتها . وقد ظهرت نتيجة الإجهاد الشديد في آخر عبارة من الخاتمة .. فقد تحمس الباحث جدًا ، وطاش سهمه ، فإذا به يقول :

« وهكذا أسهم الطوسي إسهامًا عظيمًا في تبيان ملامح هذا القرن .. فهو بحق يعتبر : أستاذ البشر »!

ولن نعلِّق على هذه العبارة !!

* * *

يخصِّص عباس سليمان الجزء الثاني من رسالته ، لتحقيق [تجريد العقائد] فيبدأ الجزء بمقدمة تحتوي تعليله لاختيار هذا النص بالذات ، فيقول :

« يعطينا الكتاب صورة واضحة لما وصل إليه علم الكلام الفلسفي في هذه الحقبة التاريخية المهمة ، وهو لذلك من أدق كتب التراث الإسلامي التي يتجلى فيها النضج الفلسفي الذي وصل إليه علم الكلام في معالجة موضوعاته ، وذلك من حيث المنهج والمفهوم » .

ويذكر الباحث في المقدمة أن : « المنهج العلمي الذي فرضناه على أنفسنا يساعد على تحقيق الكتاب تحقيقًا علميًا ، وهذا المنهج يتحقق من خلال معالجة ثلاث نقاط ، هى :

أولًا : القيمة العلمية لكتاب التجريد .

ثانيا : دراسة بيبليوجرافية لكتاب التجريد .

ثالثًا : منهج التحقيـق النقدي لكتاب التجريد » .

وفي معرض حديث الباحث عن القيمة العلمية للكتاب ، يعاوده الحماس فينقل عن عارف تامر قوله « إن كتاب التجريد أنفس ماكتبه الطوسي على الإطلاق » . وهى قضية لانوافق عليها وسنعود لها !

ويحدد الباحث خصائص [التجريد] في أنه يمثل خروج الطوسي على آراء ابن سينا وتخلصه من أفكاره ، وأنه كتابٌ يمتاز بدقةٍ متناهية في تحديد الألفاظ والمصطلحات الكلامية والفلسفية ، بالإضافة إلى طابع الإيجاز الشديد الذي عرض به الطوسي لموضوعاته ..

ويقع الباحث في تناقض صارخ حين يقول في الصفحة الثامنة مانصه « وفي يقينى أن الطوسي قد تخلص من تأثير ابن سينا وخرج من الإطار العام الذي وضعه » ثم يقول في الصفحة التاسعة « وثمة خاصية يجدر الإشارة إليها هنا ، وهي ذلك الطابع الفلسفي في عرض الموضوعات ، وهي خاصية تميز التجريد ، فالكتاب لايعطي أية فكرة تدل على ابتعاده عن نهجه السينوى الإسماعيلي الأول » .

ويحدد في معرض تحقيقه عنوان الكتاب ، المراد من كلمة « تجريد » في معناها الشائع والاصطلاحي : ثم يعرض لمقاصد الكتاب ، وهي على الترتيب :

المقصد الأول : في الأمور العامة .

المقصد الثاني : في الجواهر والأعراض .

المقصد الثالث : في إثبات الصانع وصفاته وآثاره .

المقصد الرابع : في النبوة .

المقصد الخامس : في الإمامة .

المقصد السادس : في المعاد والوعد والوعيد .

وعن أثر الكتاب في الفكر الإسلامي ، يقول – معتمدًا على كامل الشيبي وعبد الأمير الأعسم –: إن منهج الكتاب ، صار منذ أواخر القرن السابع الهجري ، نموذجًا يترسمه المؤلفون في علم الكلام ..

ومن لطائف مايذكره لنا الباحث ، أن صبيًا هجا الطوسي فقال :

فاق النصير بحسن تجريدٍ له ... لكنه فيه أساء الخاتمة
ياخاتمًا بالقبح حُسن كتابه ... أو ما خشيت عليك سوء الخاتمة

فقال بعض العلماء :

يامن تردى في الهجاء وقد غدى[1] ... يهجو فتًى رفع الإله دعائمه
هذا الكتاب هو الرحيق ختامه ... بُشراك بالفردوس بَشٍّر خاتمه
ولحسنه قد أذعنت فضلاؤكم ... والمسلمون لفضله متسالمه
فتنافست أشياخكم في فهمه ... تَبَّت يداك وماظننتك فاهمه
جزمت عوامله الرفيعة نصبكم ... واجترَّ عامله فكسَّر جازمه
قاد الكتائب غازيًا بغدادكم ... بالمرهقات الحاكيات عزائمه
ضربت كتائبه الطبول وغادرت ... مستعصمًا شلوا[2] وهدت عاصمه

---

(١) هكذا في الأصل ، والأصوب : غدا .

(٢) وضع الباحث فتحتين على الألف فصارت « شلوًا » وهي غير ذات معنى ! والصواب « شلوا » بمعنى أن كتائب الطوسي أصابت المستعصم بالشلل .

أزعمتَ أن أبا الحسين وجاحظًا ... وأبا الهذيل وواصلًا ومكالمه
قَدْ ميَّزوا أجناسه وفصولـه ... أو أحـرزوا منطوقه ومفاهمه
هيهات لاتغشى النعامةَ بازيا ... أو تستعير من البزاة القادمه
خذها إليك فما أتاك بمثلها ... ركب الحجاز لمثل أنفك راغمه

ومع خطورة مضامين هذه المعارضة الشعرية ، فإن الباحث لم يتوقف عندها بالتعليق ، بل اكتفى بنقلها حتى دون ضَبْط للكلمات - مع أنه بصدد تحقيق تراثي - فبدت بعض الأبيات كأنها مكسورة الوزن .. ولم ينتبه الباحث إلى إنه ينقل النصوص الشعرية من مرجع شيعي هو [ماضي النجف وحاضرها] ولذلك جاء وصف صاحب البيتين بأنه « صبي » يهجو الطوسي ! ولو دقق الباحث قليلًا ، لعرف أن هذا « الصبي » هو أحد علماء السنة الذين يرون في « تجريد العقائد » كتابًا طيبًا ، لولا مافيه من إقرار بعقيدة الإمامة عند الشيعة ، وهو ماجاء بآخر الكتاب .. فانبرى للرد على البيتين شاعرٌ شيعيٌّ يدافع عن تلك العقيدة مؤكدًا أنها « ماأتى بمثلها ركب الحجاز » وبلغ به الأمر أنه يفاخر بما فعله الطوسي حين دلَّ التتار على بغداد ويجعله « غازيًا بغدادكم » . ولا يقف هذا المدافع عن الطوسي عند ذلك ، بل هو يجعل كبار المتكلمين عاجزين عن تمييز « أجناسه وفصوله » قاصرين عن إحراز « منطوقه ومفاهيمه » كما يجعل المعاصرين من متكلمي السنة « متنافسين في فهمه » .. وكان على باحثنا أن يتوقف قليلًا لبيان هذه المضامين المتعصبة ، ويحللها في ضوء الخلاف بين السنة والشيعة . لكنه آثر المرور بسلامٍ ، دون التزام بمؤونة التحليل .

وفي بداية « الدراسة البيبليوجرافية » يركب عباس سليمان فرسه الجامح ، فيقول في السطر الأول :

« يمكننا القول ، ونحن مطمئنون ، إن التجريد هو أخطر المؤلفات الكلامية في القرن

السابع الهجري »[1] . ثم يضيف لذلك تقريره التالى : « إن التجريد علامةٌ بارزة من علامات الفكر الإسلامي » هكذا يفجؤنا الباحث بالتقريرات دون أن يوضح لنا ماإذا كان يقصد الجانب الشيعي من الفكر الإسلامي ، أم أنه يرى كتاب التجريد أهم المؤلفات في هذا القرن على الإطلاق .. وإن كان يريد « الإطلاق » فكيف يتناسى مؤلفات متكلمي السنة في هذا القرن .. وكيف يجوز له هذا « الإطلاق » دون مقارنة كتاب التجريد الذي يقع في ثلاثين ورقة مخطوطة ، بغيره من المؤلفات الكلامية التي وضعها أعيان القرن السابع في عدة مجلدات !.

شروح التجريد :

ومما يحسب بعد أن ذكرنا ما عليه . ذلك الحصر الجيد الذي قام به لشروح التجريد ومخطوطات كل شرح منها .. فقد عدَّد الشروح التالية :

١ – شرح العلامة الحلِّي ، المتوفى ٧٢٦ هجرية . بعنوان : كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد .

٢ – شرح أحمد المصري ، المتوفى ٧٥٧ هجرية . بعنوان : المفيد في شرح التجريد (اقتصر الباحث على كلمة : المفيد) .

٣ – شرح شمس الدين الأصبهاني ، المتوفى ٧٤٩ هجرية . بعنوان : تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد (الشرح القديم) .

٤ – شرح علاء الدين القوشجي ، المتوفى ٨٧٩ هجرية . بعنوان : الشرح الجديد .

٥ – شرح ابن كمال باشا ، المتوفى ٩٤٠ هجرية . بعنوان : تجريد التجريد .

٦ – شرح عبد الرازق اللاهيجي ، المتوفى ١٠٧٢ هجرية . بعنوان : شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام .

---

(١) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، الجزء الثاني ، ص ٢٠ .

٧ – شرح محمد العاملي ، المتوفى ١١٤٥ هجرية . بعنوان : شرح التجريد (بالفارسية) .

٨ – شرح جعفر الإسترابادي ، المتوفى ١٢٦٣ هجرية . بعنوان : البراهين الساطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة .

٩ – شرح محمد التنكابني ، المتوفى ١٣٠٢ هجرية .. بالفارسية .

تلك هي شروح التجريد التي ذكرها الباحث ، وكان الدكتور كامل الشيبي قد ذكر فى كتابه [النزعات الصوفية] ستة شروح أخرى .

أما الحواشي على شروح التجريد ، فتصل لما يقرب من ٢٥ حاشية . وذلك – بالقطع – يدل على مبلغ عناية علماء المسلمين بالكتاب بعد وفاة مؤلفه .

وكنا نتمنى أن يلاحظ الباحث هنا ، أن العديد من تلك الشروح والحواشي وضعها علماء السنة ، مما يعني أن العناية بالكتاب لم تقتصر على علماء الشيعة . ولو كان الباحث في دراسته التي وضعها بالجزء الأول من الرسالة قد لجأ لمقارنة أحد الشروح السنية بواحد من الشروح الشيعية للكتاب ، لكانت هذه المقارنة قد أظهرت له – ولنا – العديد من الجوانب المهمة الناتجة عن قراءتين مختلفتين لنصٍّ كلاميٍّ واحد .

ويخصص عباس سليمان الباقي من مقدمته التحقيقية لبيان المنهج الذي استخدمه في تحقيق الكتاب ، وهو منهج رصين يعتمد على جمع عدة مخطوطات للكتاب ، والمقارنة بينها ، ووضع الصحيح من الألفاظ في المتن والإشارة للخاطىء في الهامش ، وتزويد النص بتعليقات شارحة ومفسرة ، مع تخريج مايرد في النص المحقق من آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وقد اعتمد الباحث في تحقيقه على المخطوطات الآتية :

– نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٠٥/ علم كلام ، طلعت .

- نسخة مكتبة عارف حكمت رقم ٤٨/ توحيد .
- نسخة مكتبة المتحف العراقي رقم ٢٤٢٠/ كلام .

ويقع النص المحقق لكتاب التجريد ، من صفحة ٦١ حتى صفحة ١٦٥ تتلوه فهارس للآيات القرآنية والأحاديث والأثر والمصطلحات والأعلام والفرق والبلدان .

وكان جهد الباحث مشكورًا في التحقيق ، فقد قدم نصًا سليمًا في معظم الأحيان ، ويدل على جودة اختياره للكلمات عند مقابلته بين الأصول الخطية .. ومع ذلك ، فقد وقعت بعض الأخطاء المطبعية التي قد لا تخفى على فطنة القارئ ، لكنها تحتاج إلى تصويب ، وسوف أكتفي - على سبيل المثال - بذكر الأخطاء المطبعية في ص ٩٥ حيث ورد بهامش الصفحة مايلي :

- كلمة : تأثير الايلين .. والصواب : الإيليين .
- كلمة : يخرج من المأذق .. والصواب : المأزق .

كلمة : زيتون الأيلي .. والصواب : زينون الإيلي .

ومما يستدعي الانتباه في هوامش التحقيق أن الباحث لا يبخل بجهده في التعريف بالمصطلحات الواردة بالمتن . وتلك صفة جيدة في المحقق ، لما لها من دور في إعانة القارئ على فهم النص التراثي . فمن أمثلة هوامش عباس سليمان الشارحة للمصطلحات ، قوله في ص ٩٨ معلقًا على كلمة (اسطقس) : « كلمة معربة عن اليونانية stoicheion التي تعنى العنصر ElemenTum المادي على الإطلاق - جمعها : اسطقسات Elements : وقد وردت في استعمالات أرسطو في حديثه عن أصول المادة (د/عبدالأمير الأعسم : المصطلح الفلسفي عند العرب ص ٣٨٢) والإسطقسات هي الأجسام المركبة من العناصر الأربعة : النار والهواء والماء والتراب[1] ..

---

(١) وقع الباحث هنا في خطأ معلوماتي ، فالإسطقسات ليست (الأجسام المركبة) من العناصر الأربعة ، بل هي العناصر الأربعة ذاتها (النار - الهواء - التراب - الماء) التي تؤلف الأجسام .

وإسطقسات عنوان كتاب أقليدس المشهور ، ويسمى أيضًا « الأصول » وقد كان غرض أقليدس في هذا الكتاب بيان أن جميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد ، وهي أبدان الحيوان والنبات والأجسام التي تتولد في بطن الأرض إنما تركيبها من الأركان الأُوَل البعيدة لبدن الإنسان ، وأما الأركان الثواني القريبة التي بها قوام بدن الإنسان وسائر ما له دم من الحيوان ، فهى الأخلاط الأربعة : الدم ، والبلغم ، والمرَّتين - يعنى الصفراء والسوداء .. (ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د . نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت . ص : ١٣٥ . وقارن : د. مراد وهبة : المعجم الفلسفي ص ٢٨ . وقارن أيضًا :

Goichon, A-M.: Lexique de la Langue Philosophique D,Ibn sina . Paris 1938 . p: 5 - 7)

وعندما يرد في كلام الطوسي تعريف النفس بأنها « كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة » يضع عباس سليمان - ص ١٠٢ - هذا التعليق : « تعريف النفس بأنها كمال أول ، تعريف من وضع أرسطو كان له أثره في فلاسفة الإسلام . ومن الملاحظ أن تعريف النفس بالكمال يدل على معنى النفس (!) كما يتضمن جميع أنواع النفوس من جميع وجوهها ، ولاتشذ النفس المفارقة للمادة عنه . انظر : د. محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي . ص : ١٣٥ - د. محمود قاسم : في النفس والعقل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٤ ، ص ٦٩ ومابعدها - د.جعفر آل ياسين : فيلسوف عالم ، دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ . ص ١٦٩ ومابعدها - د. جميل صليبا : من أفلاطون إلى ابن سينا ، دار الأندلس ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٢ ومابعدها - د. إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه) ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، جـ١ ، ص : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ومقدمة كتاب الشفاء ، قسم النفس لابن سينا ، تحقيق : الأب جورج قنواتى ، وسعيد زايد ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ٦ ، ٧ - فلوطرخس : في الآراء الطبيعية التي ترضى بها الفلاسفة ، ترجمة قسطا بن لوقا ،

ص : ١٥٧ – ضِمن كتاب أرسطو طاليس في النفس ، تحقيق : د. عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات بالكويت ودار القلم ببيروت) .

ويوضح لنا الهامشان طريقة عباس سليمان في التعليق على النص المحقق ، وهي بلاشك طريقةٌ لاتدخر جهدًا وتسعى للإحاطة بالموضوع ومصادره المختلفة .. ولكن ، هل كان عباس سليمان مضطرًا لذلك كله ؟ في الهامش الأول ، كان يمكن له أن يكتفي بالتعريف الموجز للفظ (اسطقس) كما ورد في المعجم الفلسفي ، دون هذه الإطالة . وفي الهامش الآخر ، لا أظن أن تعريف أرسطو للنفس بأنها « كمال أول » يقتضى كل هذه المصادر لإثباته ، فهو تعريف مشهور ومتعارف عليه لدى جميع المشتغلين بالتراث الفلسفي . ثم ماالداعي عند ذكر المصادر بالهامش لكل هذه المعلومات عن المصدر ، فهذه المعلومات موجودة بقائمة المصادر والمراجع بآخر الرسالة ، فكان يمكن أن يقتصر الباحث في الهامش على مجرد الإشارة ، ومن يريد المزيد يمكنه الرجوع لقائمة المصادر .. كان يمكن – إذن – لعباس سليمان أن يضع الهامش الثاني ومصادره على النحو التالي : « النفس كمال أول ..الخ ، تعريف أرسطي مشهور . انظر : تاريخ الفكر ١٣٥ – في النفس والعقل ٦٩ – فيلسوف عالم ١٦٩ – من أفلاطون إلى ابن سينا ١٠٢ – في الفلسفة الإسلامية ٧٥٦ – مقدمة الشفاء ٦ – في الآراء الطبيعية ١٥٧ » .

وهذه الملاحظة (الشكلية) تنسحب على معظم هوامش التحقيق ، وتكفل تخفيض (حجم) النص المحقق إلى النصف تقريبًا ، دون المساس بجوهر الموضوع .

موضوعات التجريد :

أما موضوعات كتاب التجريد ، فهي لاتخرج عما تناوله الباحث في دراسته بالجزء الأول من الرسالة ، وقد عرضنا لذلك من قبل .. وتجدر الإشارة – قبل إنهاء الكلام عن النص المحقق – إلى أن الباحث قد أجاد في التعليق على المقصد الخامس من كتاب « تجريد العقائد » وهو مااختصَّ بموضوع « الإمامة » التي ثار

حولها الجدل بين السنة والشيعة ، في هذا الجزء من التحقيق ، نرى الباحث وهو يؤصل القضايا ويحلِّل الآراء ، دون أن يتعصب لجانب معين .. بل إن سماحة الباحث بلغت حدًّا عجيبًا غريبًا ، جعله رغم تعليقاته الكثيرة ، لا يعلق على تجريح الطوسي للصحابة !

ونأتي لأهم وأخطر ملاحظة .. فنحن نعرف أن الطوسي انتقل من المذهب الإسماعيلي إلى المذهب الاثنى عشري بعد سقوط ألموت ، والباحث يقدم لنا الطوسي على أنه « أول كاتب لقلعة ألموت الإسماعيلية » ويصف كتاب التجريد بأنه « يستند إلى الرياضيات .. وهنا نلمس مدى تأثير النزعة الإسماعيلية في الطوسي ، ابتداءً من عنوان الكتاب ، حيث عرف عن الإسماعيلية اهتمامهم بالرياضيات .. (مقدمة التحقيق ص ١٥) » .

ومع ماتقدم ، فالفقرة الأخيرة من « مقصد الإمامة » في كتاب « تجريد العقائد » تنتهي بالعبارة التالية ، ص ١٥٥ : « والنقل المتواتر دَلَّ على الأحد عشر ، ولوجوب (كذا ، والصواب : على وجوب) العصمة وانتفائها عن غيرهم ، ووجود الكمالات فيهم .. ومحاربوا (كذا ، والصواب : محاربو) عليٍّ كفرة ، ومخالفوة (كذا ، والصواب : مخالفوه) فَسَقَةٌ » .

هذه العبارة الأخيرة تطيح تمامًا بكل تصورات الباحث عن المرحلة التي يدرسها في حياة الطوسي ، فهي تشير بصراحة إلى عقيدة الاثنى عشرية الذين يؤمنون بالأحد عشر إمامًا ظاهرًا وبإمامٍ مخفي هو المهدى المنتظر ، ونظراً لاعتقادهم في اثني عشر إمامًا سموا بالاثني عشرية ، أما الإسماعيلية فهم يؤمنون فقط بسبعة أئمة متفق عليهم ، ولهذا يسمون في كتب الأصول بالسبعية .. فقد كان إسماعيل هو الإمام (السابع) كما أشرنا في بداية المقال .

وعلى هذا ، فإن كتاب تجريد العقائد إنما يمثل المرحلة (الاثنى عشرية) في حياة الطوسي ، وهي المرحلة التي لم يهتم بها الباحث أساسًا ، وكانت غايته في الدراسة

وفي التحقيق ، تقديم الطوسي في المرحلة (الإسماعيلية) . ومن هنا جاء عنوان بحثه : نصير الدين الطوسي ، أول كاتب لقلعة ألموت : دراسة وتحقيق لمخطوط تجريد العقائد !

* * *

ولايسعنى في الختام إلا التنويه بجهد عباس سليمان في هذه الرسالة ، دراسةً وتحقيقًا . لقد بذل المجهود الكبير ، وكان يمكن له بقليل من التوفيق وتدقيق النظر ، أن يتلافى الملاحظات التي ذكرناها ؛ وأظنه سيفعل ذلك قبل طبع رسالته والخروج بها على جمهور القراء .

ولي كلمة أود قولها : إن القيمة الحقيقية لنصير الدين الطوسي في نظري تأتي من كونه عالمًا فلكيًا رياضيًا عظيم الشأن ، ولا تقوم بأي حال على كونه ذلك الرجل المتقلب بين المذاهب والزعامات السياسية . من هنا ، فإن مانحتاجه أكثر من الطوسي ، هو معرفة تراثه العلمى .. كفانا ماكتبه ايڤانوف وعارف تامر ومصطفى غالب عن شيعية الطوسي ، ففي ذلك الكفاية والمزيد ، ومادام عباس سليمان قد درس الرجل ، واقترب من تراثه المخطوط ، فنحن ننتظر منه في الأيام القادمات عملًا سوف يظل يذكر له - إذا فعله - وذلك العمل هو : تحقيق مؤلفات الطوسي العلمية .

* * *

صلاح الدين المُنَجِّد والمخطوطات والتغريب

عصام محمد الشّنّطِي*

يعد د. صلاح الدين المنجد أحد الأعلام الذين خدموا بحق تراث هذه الأمة ، في وقت مبكر ، وشغل منصب مدير معهد المخطوطات العربية لمدة ست سنوات . وكان حفل التكريم الذي أقيم له في مدينة جُدَّة بالسعودية اعترافًا بالدور الذي قام به .

حفل التكريم هذا أثمر كتابًا طبع في مكة المكرمة ، وجمع الكلمات التي قيلت في المحتفى به .

وقد أثار الكتاب لدى الأستاذ عصام محمد الشنطي خواطر حول الرجل وجهوده ، وآرائه في قضية تغريب التراث ، فكانت هذه المقالة .

« المجلة »

---

* مدير ثانٍ سابق في معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) .

حمل إليّ البريد بأَخَرَة كتابًا ذا سبع وأربعين صفحة من القَطْع المتوسط ، طبع في مكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ ، يجمع الكلمات التي قيلت في حفل تكريم الدكتور صلاح الدين المنجد ، في مدينة جدّة ، برعاية الأستاذ عبد المقصود خوجه . وكان ذلك مساء يوم الاثنين الواقع في ٤/ ٧/ ١٤٠٥هـ (٢٥/ ٣/ ١٩٨٥م) .

والأستاذ عبد المقصود رجل فاضل يعنىٰ بالفكر العربي والثقافة العربية . فيعقد يوم الاثنين من كل أسبوع حفلا يكرم فيه عالمًا من العلماء ، أو أديبًا من الأدباء ، يلقي فيه المكرَم كلمة عن نشأته وثقافته وعلمه وتجاربه وخبراته وما قدّمه للفكر والثقافة من أعمال . وكذلك تُلقىٰ كلمات أخرىٰ من علماء أو أصدقاء تُرحِّب بالمكرَم ، وتتحدث عن جوانب مختلفة من حياته وعلمه وفكره .

وهذا الكتاب الذي بين يديّ محمدة من محامد الأستاذ عبد المقصود ، راعي هذه الندوات . وقد جاء في الكتاب ماذكره المكرَم عن نفسه ، وكلمات من بعض مَن شارك في هذا الحفل ، تحدّثوا فيه عن جوانب مختلفة عن المكرَم ، أو استفسروا عن مسألة ، أو طلبوا إيضاحًا . وهكذا تشعَّب الحديث بطبيعته - والحديث ذو شجون - فاحتوىٰ بالفعل علىٰ فوائد جمّة في مجال نشاط المحتفىٰ به .

ولا شك في أن هذا الكتاب قد تضمن فوائد كثيرة عن حياة المنجِّد ، ونشأته وأسرته وتعليمه وثقافته واهتماماته ونشاطه وتآليفه وتحقيقاته . علىٰ أن أخطر ما في الكتاب - في رأيي - أمران . أولهما صلة المنجد بالمخطوطات العربية والتراث العربي الفكري ، فكان حديثه عن المخطوطات حديث المخالط لها منذ شبابه ، وكَشف فيه عن قصة توزّع المخطوطات العربية في أرجاء الدنيا . وثانيهما احتواء الكتاب علىٰ ثَبت وافٍ يحصر تحقيقاته ودراساته وبحوثه ، فنعرف منه خصوبة إنتاجه وتنوّعه . وسنقتصر في حديثنا هذا علىٰ

صلة المنجد بالمخطوطات العربية وبالتراث العربي الفكري ، مضربين عن ذكر الجوانب الأخرىٰ .

النشأة والبدايات :

وفي حديث المنجد عن نشأته عرفنا أنه من مواليد دمشق ، وأنه ترعرع في صباه في كنف والده المشتغل بالعلم . وتتلمذ في شبابه إلىٰ الشيخ محمد بهجة البيطار ، والشاعر خليل مَرْدَم . واتصل في عام ١٩٤٠م بعلّامة الشام محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، ومؤسسه . وهو الذي نصحه بالتوجه إلىٰ تاريخ مدينة دمشق وعلمائها ، وإلىٰ التراث العربي المخطوط ، لأنه مهمل – بقول شيخه طاهر الجزائري له – ويحتاج إلىٰ العناية والإحياء . وأن المكتبة الظاهرية بدمشق تحتوي علىٰ سبعة آلاف مخطوطة ، عليه أن يقرأها ليصبح عالم دمشق . فأخذ المنجد يتردد علىٰ هذه المكتبة ويطلع علىٰ مخطوطاتها . وكان يتعهده بالعون فيها مديرها الأول يوسف العش ، ومن بعده مديرها الثاني عمر رضا كحّالة . ثم صحِبَ في هذه الأثناء الشيخ محمد أحمد دهمان ، فأفاد الكثير من علمه . ولاشك في أن توجيه محمد كرد علي له ، هو الذي فتح أمامه باب تحقيق كتب التراث علىٰ مصراعيه . فبفضل تشجيعه حقّق المنجد في وقت مبكر المجلدة الأولىٰ من كتاب « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، وأصدره عام ١٩٥١م . وحقق كتاب « رسل الملوك ومَنْ يصلح للرسالة والسفارة » لابن الفرّاء ، عن نسخة نادرة خصه بها كرد علي ، ونشرته لجنة التأليف والنشر في القاهرة . ونال به جائزة المجمع العلمي العربي بدمشق علىٰ أنه أحسن نصّ محقق .

وعرفنا أيضًا أنه تابع مع دراسته للدكتوراه في جامعة السوربون في باريس دروسا في التاريخ ، وعلم المكتبات ، وعلم الخطوط (الباليوغرافيا) ، وتردد علىٰ متحف اللوفر لدراسة الفن الإسلامي .

وفي عام ١٩٥٤م أوفدته وزارة المعارف السورية إلىٰ إسبانيا ، ليقوم

بفهرسة المخطوطات العربية فيها . و لم يستطع أن يقوم بمهمته لأن الوزارة – بتغيير الوزير – طلبت منه العودة . ولاشك في أنه أفاد من هذه الرحلة فيما يخصّ المخطوطات العربية علىٰ نحوٍ ما .

وعُيّن في عام ١٩٥٥م مديرًا لمعهد المخطوطات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة. وقضىٰ في هذا الموقع ست سنوات كانت سنوات خير عميم وثمر وفير في مجال تخصص المعهد . وأتاحت له صحبة المعهد زيارة كثير من مكتبات العالم الزاخرة بالمخطوطات العربية ، وانتقاء النفيس منها وتصويره بالميكروفيلم ليُحفظ في المعهد ، فيرَجع إليه العلماءُ والباحثون للتحقيق والدرس .

وكان معهد المخطوطات العربية قد أنشىء عام ١٩٤٧م ، فأتمَّ المنجِّد في فترته تنظيمه ، واستكمل أدوات عمله ، وأصبح للمعهد بفضل نشاطه شهرةٌ واسعة في البلاد العربية والإسلامية ودوائر الاستشراق . وفي عهده أصدر المعهد « مجلة معهد المخطوطات العربية » ، وهى أول مجلة أكاديمية جادَّة في هذا الميدان . وعاصر اهتمامَ المعهد بتحقيق ونشر « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي ؛ و « شرح كتاب السير الكبير » للسرخسي . (وأصل الكتاب – السير الكبير – لمحمد بن الحسن الشيباني الفقيه المعروف) ، وكتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري .

الرحلات العلمية :

ومن المدن التي أتيح للمنجد زيارتها في هذه الفترة قاصدًا فيها المخطوطات العربية لينينجراد وموسكو وطشقند وبُخارىٰ وسمرقند وطهران ومَشْهد وباكستان والهند وتونس والمغرب الأقصىٰ والقاتيكان ومكتبة أمبروزيانا في ميلانو . كما أفاد من مكتبات توبنجن وغيرها في ألمانيا .واطلع علىٰ المخطوطات العربية في جامعة برنستون وغيرها من مكتبات الجامعات الأمريكية ، والمتاحف والمكتبات الخاصة .

وقدّرت المجامع اللغوية والجمعيات العلمية في أنحاء شتى فضل المنجد على التراث العربي الفكري ، فانتخب عضوًا مراسلًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والمجمع العلمي العراقي في بغداد ، والهيئة الاستشارية لجمعية المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن ، والمجمع العلمي الهندي ، والجمعية الدولية للدراسات الشرقية .

ودعته جامعات كثيرة ليحاضر فيها ، فكان أستاذًا زائرًا في جامعة برنستون بالولايات المتحدة ، وأستاذًا محاضرًا في جامعة فرانكفورت بألمانيا ، وكلية المعقول والمنقول بجامعة طهران ، وجامعة الملك سعود في الرياض ، وجامعة الملك عبد العزيز بجدّة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، والجامعة الأمريكية في بيروت .

وشارك في خمسة وعشرين مؤتمرًا دوليًا للدراسات العربية والتاريخية والاستشراقية ، عقدت في مدن عربية وإسلامية وأجنبية ، وألقى بحوثًا جادَّة فيها .

وحين ترك المنجد معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عام ١٩٦١م ، لم يترك عنايته بالتراث العربي ، وظلّ قريبًا منه غارقًا فيه ، على نحو ما كان قبل صلته بالمعهد . فأنشأ في بيروت داراً للنشر ، واهتم من خلال أعماله في هذه الدار بتحقيق المخطوطات ونشر الدراسات حولها .

١٥٠ مؤلَّفا :

وبلغت آثار المنجد مئة وخمسين كتابًا في مجالات شتى . وإنّ نظرة عجلى إلى الثَبَت الذي خُتم به الكتاب الذي بين أيدينا ، والمتضمن إنتاج المنجد المتنوع ، لتوضح أن الثبت عامر باهتمامه بالمخطوطات العربية . فله تحقيقات نصوص تراثية في التاريخ والجغرافية والأدب واللغة والفقه والفتاوى ، وعن تاريخ دمشق وعلمائها وآثارها وخططها . وتحقيقات ودراسات عن الخط العربي والخطاطين والنسّاخين ، وفهارس مخطوطات عربية في عدد من المكتبات

الشهيرة ، ومعاجم للمخطوطات المطبوعة . وقواعد تحقيق النصوص ، وقواعد فهرسة المخطوطات العربية وتصنيفها ، وتحقيقات ودراسات سياسية ؛ ودراسات عن المستشرقين ممّن لهم إسهامات في الدراسات العربية . أما مؤلفاته التاريخية والأدبية ، ودراساته الإسلامية ، وكتب الرجالِ والتراجم والطبقات وغيرها فإن كثيرًا منها متعلقٌ بالتراث العربي ، أو تحوم حوله . هذا بالإضافة إلىٰ عدد كبير من المقالات نشرتها مجلات وصحف عربية وأوروبية .

واستطاع أن يضع كتابًا في قواعد تحقيق المخطوطات العربية لينهج المحققون نهجًا علميًا في تحقيق النصوص . وأقرّ مؤتمر المجامع العلمية المنعقد في دمشق عام ١٩٥٦م هذه القواعد منهجًا للتحقيق الصحيح .

وكذلك وضع كتابًا قيّمًا في قواعد فهرسة المخطوطات العربية وتصنيفها ، يُعَدّ رائدًا في بابه . استعرض فيه اهتمام العرب قديمًا بالمكتبات ، وفهرسة الكتب وتطورها في أزمان مختلفة ، وشرح طرقها المتعددة عند العرب والأوروبيين ، وكشف عن صناعة الفهرسة ، وقنّن منهجها ، والأسلوب الذي ينبغي اتباعه في فهرسة المخطوطات العربية . وبهذا شجّع الشباب العرب علىٰ تعلّم هذا الفن الصعب الذي يحتاج إلىٰ صبر وأناة ، وإلىٰ خبرة طويلة ودُرْبة ماهرة ، وإلىٰ اطلاع واسع علىٰ العلوم العربية الإسلامية المختلفة ، وحسْن استخدام المصادر والمراجع . وتعود أهمية الفهرسة وتوجيه الشباب إليها إلىٰ أن كثيرًا من المكتبات العامة والخاصة المحتوية علىٰ مخطوطات عربية ، غير مفهرسة ؛ ولم يُكشَف عن وجودها وتوصيف نُسَخها إلّا القليل منها ، وهذه من كبرىٰ المشكلات التي تواجه المخطوطات العربية .

* * *

علىٰ أن أخطر ما في حديث المنجد في هذه الندوة ، هي مسألة تسرّب التراث العربي المخطوط إلىٰ أوروبا وأمريكا . فما من متحف أو مكتبة عامة في أوروبا تخلو من المخطوطات العربية ؛ النادر منها والنفيس . وقسم من هذه المخطوطات انتقل غَصْبًا كما فعل الفرنسيون في شمال إفريقية ، وفي سوريا ولبنان ؛ والإنجليز في مصر وبلاد

الشرق الأقصىٰ ، والروس في بلاد إيران وتركيا . وأضيف هنا عمّا ذكره المنجد ما نقله الإيطاليون من مخطوطات ليبيا ، فقد رأيت بعضها – وخاصة في الحديث النبوي – قد جلبها بعض القواد العسكريين الإيطاليين إلى مكتبة أمبروزيانا في ميلانو ، أثناء زيارتي للمكتبة في شهر أكتوبر / نوفمبر من عام ١٩٨٩م ، وإقامتي فيها أربعة وعشرين يومًا للاطلاع علىٰ مخطوطاتها العربية البالغة ٢١٣٦ مخطوطة ، والانتقاء منها وتصويره لصالح معهد المخطوطات العربية .

وقسم من هذه المخطوطات انتقل إلىٰ أوروبا عن طريق التجار الذين باعوها بأثمان زهيدة . وذكر المنجد قصة ذلك التاجر الإيطالي في صنعاء الذي كان يبيع الناس الأقمشة والمواد الغذائية ويطلب مقابلها مخطوطات ، فاستطاع أن يجمع ما يقرب من ستة آلاف مخطوطة حملها معه هدية إلىٰ مكتبة الفاتيكان ، ومن ثَمَّ أهدتها هذه المكتبة إلىٰ مكتبة أمبروزيانا .

وذكر كذلك ماصنعه عالم الفلك محمد بن حسن الحلواني (في مصدر آخر اسمه أمين) في المدينة المنورة . وكان هذا جمّاعًا للمخطوطات ، وحمل عام ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) كلّ ما لديه من مخطوطات إلىٰ أمستردام في هولندا ، وباعها إلىٰ مؤسسة بريل Brill في مدينة لَيْدن بهولندا ، وهي بدورها باعت قسما منها – فيما بعد – إلىٰ مكتبة برلين ، وقسمًا آخر إلىٰ جامعة ييل Yale في الولايات المتحدة .

حركة انتقال المخطوطات :

وكشف المنجد عن حركة المخطوطات العربية من بغداد ودمشق والقاهرة إلىٰ أوروبا . وذكر أسماء بعض التجار الذين كانوا يجمعون المخطوطات من دور الأسَر العلمية في هذه العواصم بعد وفاة أصحابها . من هؤلاء نعمان الأعظمي في بغداد ؛ والأستاذ أحمد عُبيد والشيخ حمدي السفرجلاني ، في دمشق ؛ وأمين الخانجي في القاهرة ، وكل هؤلاء كانوا من العارفين بالمخطوطات الجمّاعين لها .

ويحضرني هنا من الدلائل علىٰ حركة البيع هذه أن العلاّمة محمود محمد شاكر كان قد نسخ وهو شاب كتاب « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلّام الجُمَحي عن مخطوطة كانت في صندوق لدىٰ أمين الخانجي . وأصدر الطبعة الأولىٰ منه عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) عن هذه النسخة ناقصًا . وتقدمت السنون وطفق المحقق يفتش عن المخطوطة التي اختفت من عند الخانجي - وكان قد توفي - ليرجع إليها ويتمّ نسخها قبل إصدار طبعة الكتاب الثانية ، إلىٰ أن وجدها قد قرّت في مكتبة شستر بتي في مدينة دبلن بإيرلندا . فأخرج طبعته الثانية عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) بعد أن اطلع علىٰ مصوَّرة منها (انظر السِّفْر الأول من الكتاب ، ص ٩ - ١١ من المقدمة) .

ومثل هذا تمامًا كتاب البَيْزَرَة لمؤلفه بازيار العزيز بالله الفاطمي الذي نشره محمد كرد علي في عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) عن صورة شمسية كان قد صورها المجمع العلمي العربي بدمشق من نسخة وحيدة وُجدت في بيت من بيوتات دمشق ، وبيعت - كما ذكر كرد علي - لأحد علماء المشرقيات . واتضح بعد صدور فهرس مكتبة شستر بتي أن النسخة تلك هي من مقتنياتها برقم ٣٨٣١ . ونعلم أن هذه النسخة كان يملكها عام ١٣٠٨هـ الحاج محمد بن أحمد المغربي ، ثم انتقلت إلىٰ علي بن عمر المهايني ، ومن ثمَّ اشتراها شستر بتي عام ١٩١٣م . (انظر ص ١٢ - ١٣ من مقدمة الكتاب) .

وبالمناسبة فإن اهتمام شستر بتي الإيرلندي هذا بجمع المخطوطات العربية يعود إلىٰ أوائل هذا القرن عندما ذهب إلىٰ أكثر من بلد عربي وجمع مخطوطات نفيسة لا تقدر بثمن . فقد رحل مع زوجته إلىٰ مصر واستقر في القاهرة سنوات عديدة . وكان يقضي يومه في أسواقها وأحيائها ، وأقام صداقات مع عدد من المكتبيين ، وكان له وهو في أوروبا وكلاء في المشرق لجمع المخطوطات العربية . واستطاع شستر بتي آخر الأمر أن يحصل علىٰ ٣٦٥٠ مخطوطة عربية ، وعلىٰ نسخ فريدة من القرآن الكريم بعضها بخط ابن البواب ، الخطاط

المشهور المتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري . هذا غير ماجمعه من المخطوطات الفارسية والتركية والمغولية والهندية ، أودعها جميعًا مكتبته التي سُميت باسمه .

ومن أشهر الذين كانوا يهتمون بشراء المخطوطات العربية في أوروبا في تلك الفترة مستشرق يهودي مغربي اسمه (أ. س. يهودا) ، كان يعيش في إنجلترا ، وكان يشتري من البلاد العربية أنفس المخطوطات ، واستطاع أن يجمع قدرًا كبيرًا منها . ولما توفي انتقل قسم منها بالشراء إلى مكتبة شستر بتي . وقسم ثانٍ اشترته جامعة برنستون وعدده خمسة آلاف مخطوطة ، كلها مما اشتري من دمشق . وقسم ثالث ، في العلوم الطبية لمؤلفين عرب ، اشترته وزارة الدفاع الأمريكية وخصته بمستشفى كليفلاند المشهور بالولايات المتحدة .

أما ر . جاريت R.Garett الأمريكي الذي كان رئيس مجلس إدارة جامعة برنستون ، فقد ذهب في أواخر القرن الميلادي الماضي إلى منطقة حوران في سورية للتنقيب عن الآثار ، فعاد ومعه عشرة آلاف مخطوطة أهداها كلها إلى جامعة برنستون ، وعُرفت في الجامعة بمجموعة جاريت .

حلقات أخرى :

وواضح أن هذه المعلومات التي يذكرها المنجد عن تغريب المخطوطات العربية ، على قيمتها البالغة ، لم تأخذ طابع الاستقصاء . فقصة التغريب هذه طويلة ، وحلقاتها متعددة ومتشابكة . ومن هذه الحلقات ، ممّا لم يذكره المنجد في الندوة ، مكتبة السلطان المراكشي مولاي زيدان السعدي الذي أراد صاحبها نقلها عام ١٦١٢م إلى أغادير على باخرة فرنسية ، فاعترضتها ثلاث بواخر إسبانية صادرت المكتبة ، واستقرت آخر الأمر في مكتبة الإسكوريال الملكية الملحقة بدير الإسكوريال الذي يبعد عن مدريد خمسين كيلو مترًا . وقد شكلت مكتبة السلطان المراكشي المنهوبة ، وغالبها مخطوطات عربية ، قسمًا واضحًا في مكتبة الإسكوريال ، التي تحتوي الآن على ١٨٧٠ مخطوطة عربية .

وكذلك الرحّالة إدوارد جلازر Glazer اليهودي النمساوي ، وهو شيكوسلوفاكي الأصل ، الذي تزيّا بزيّ فقيه عربي ونظم أربع رحلات إلىٰ اليمن مابين سنتي ١٨٨١ - ١٨٩٢م ، وكانت حصيلته منها ٤٩٦ مخطوطة غير مئات النقوش . باع ٢٥٠ مخطوطة منها للمتحف البريطاني في لندن ، و٢٤٦ مخطوطة للمكتبة الملكية ببرلين .

وإن نسيت فلا أنسى الكونت كارلو تيودور لنديبرج ، وهو من السويد ، وقد تسمىٰ بعمر السويدي ، وأتقن العربية ، وطاف في لبنان وسوريا وفلسطين . واستقر في مصر عدة سنوات ، وجمع منها مخطوطات كثيرة . ثم زار عدن عام ١٨٩٥م . وكان له في البلاد العربية عملاءُ عرب وأوروبيون لجمع المخطوطات . وكان يوجههم إلىٰ الاهتمام بمخطوطات التاريخ والأدب (وخاصة الشعر) واللغة والرحلات . واستطاع بعد كل هذه الجهود أن يحصل علىٰ أكثر من ألفيّ مخطوطة ، منها قدر كبير من اليمن . ومازالت المكتبات الأوروبية والأمريكية عامرة بمجموعات منها . وقد أفاد هذا المستشرق مما جمع من مخطوطات فأصدر نصوصًا ودواوين محققة ، ودراسات وبحوثًا أدبية ولغوية .

والمستشرق الإيطالي المعروف جريفيني الذي عُين مديرًا للمكتبة الملكية في مصر خلال الأعوام ١٩٢٠ - ١٩٢٥م ، اهتم هو الآخر بجمع المخطوطات العربية من مصر وغيرها من بلاد العرب . وبلغ مجموع ما رحّله منها أكثر من ١٢٢١ مخطوطة . وهو الذي أقنع كابروتي التاجر الإيطالي ببيع مخطوطاته التي جلبها من اليمن وعددها ١٦١٠ مخطوطة إلىٰ مكتبة أمبروزيانا . ولا زالت هذه المكتبة تحتفظ بهذه المجموعة التي قام جريفيني نفسه بفهرستها . ومن الطريف أنني حين زرتُ هذه المكتبة في شهر أكتوبر / نوفمبر من عام ١٩٨٩م واطلعتُ علىٰ مخطوطاتها لتصوير ما أختاره منها لصالح معهد المخطوطات العربية ، علىٰ نحو ما ذكرتُ قبل قليل ، وجدتُ بطاقة صغيرة باسم جريفيني

في داخل مخطوطة تعود إلىٰ أيام أن كان مديرًا للمكتبة الملكية في مصر، وقد كُتب عليها بالعربية بحروف المطبعة: الدكتور غريفيني، مدير مكتبة الديوان العالي - سراي عابدين، تليفون ١٣٤٤.

وقصة ذلك الراعي الفلسطيني الذي عَثر في ربيع عام ١٩٤٧م، في كهف من كهوف خربة قُمران القريبة من مدينة أريحا في غور فلسطين، علىٰ وعاء من الفخار فيه لفائف مخطوطات من جلود الماعز. وسرعان ما انتهت هذه اللفائف القيمة إلىٰ أحد رهبان الأديرة بمدينة القدس، فباع بعضها إلىٰ الجامعة العبرية الواقعة علىٰ جبل الطور بالمدينة، وبعضها الآخر هربها عبر سورية ولبنان إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكية. (انظر من ١٨ - ٢١ من كتاب ثقافتنا في خمسين عامًا، نشر دائرة الثقافة والفنون، عمَّان، ١٩٧٢م).

وحين دخلتْ أمريكا حلبة التنافس علىٰ مخطوطات اليمن وآثارها ونقوشها منذ سنة ١٩٤٧ م، نظمتْ مؤسسة أمريكية سنة (١٩٥٠ - ١٩٥٢) حملتين علميتين برئاسة وندل فيلبس الذي تسمّىٰ بحسين بن علي بلحارثي، وطوّف في اليمن، ثم عاد محملاً بالمخطوطات والنقوش والآثار.

ولمّا زرتُ عام ١٩٧٧م مكتبة الماتينَدَران (دار المخطوطات) في يريڤان عاصمة جمهورية أرمينيا السوڤيتية، وجدتُ فيها المجموعة الكاملة من مخطوطات مكتبة فروج سلاطيان الأرمني الذي كان يعيش في بيروت وقد جمع هذه المخطوطات العربية، وأهداها إلىٰ تلك المكتبة. وقد شكلت هذه الهدية نصيبًا كبيرًا من مخطوطات الماتينَدَران التي تحتوي - وقت زيارتي إيّاها - علىٰ تسع مئة مخطوطة عربية. وكان المنجد قد فهرس هذه المخطوطات وهي في بيروت في حوزة فروج سلاطيان، وأصدر لها فهرسًا مطبوعًا وجدته في المكتبة المذكورة يستخدمونه للكشف عن هذه المخطوطات وهي في غربتها.

ومازال يعيش بيننا أحد المشاهير من متعقبي مخطوطات اليمن، وهو البروفسور ر. ب سارجنت R. B. Serjeant المستشرق الإنجليزي، والذي تعود صلته

باليمن منذ سنة ١٩٤٠م . وتكررت منذ ذلك التاريخ زياراته إليها والإقامة في مناطقها المختلفة ، بصفةِ باحث أو موظف أو مستشار في بعثة أثرية . وهمّه الأول التفتيش عن المخطوطات العربية النفيسة . وكنت قد قابلته في أحد فنادق مدينة تعز اليمنية في الفترة مابين ٢٦/ ١٠ إلىٰ ٢/ ١١ من عام ١٩٧٤م . وأعلم جيدًا أنه علىٰ صلة حميمة بذوي المخطوطات العربية باليمن . وقد انتفع سارجنت في بحوثه المتميّزة التي نشرها ، ببعض مخطوطات اليمن النادرة التي حصل عليها ، من مثل تاريخ شنبل المتوفىٰ عام ١٥١٤م ، وهو مؤرخ من مدينة تَرِيم في دواخل حضرموت ؛ وتاريخ محمد بن عمر بافقيه ، المعروف بالطيب الشِّحْرِي (في أواخر القرن السادس عشر الميلادي) ، وهو من مدينة الشِّحْر علىٰ ساحل حضرموت . ولا نعلم عدد المخطوطات التي تمكن سارجنت من ترحيلها من المنطقة إلىٰ بلاده ، ذلك لأنه يغلف حرصه الشديد علىٰ اقتناء المخطوطات بكثير من السِّرِّية والكتمان . وربما نستطيع ذلك حين تؤول هذه المخطوطات إلىٰ المكتبات العالمية أو المتاحف الأوروبية الشهيرة . (انظر ص ١٠٤ من كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا ، د. محمود السمرة ، كتاب العربي - الرابع - الكويت ، أكتوبر ١٩٨٤م - وقد صححتُ هنا قوله إن موقع مدينة تَرِيم علىٰ ساحل حضرموت ، والصحيح أنها في دواخلها ، وقريبة من مدينة سيئون) .

علىٰ أن نظرة الإنصاف - بعد هذا الطواف - ترىٰ أن المنجد لم يقصد ، فيما ذكره في هذه الندوة من تغريب التراث ، الاستقصاءَ ، لأن ندوة مثل هذه لا تحتمل إلّا ذكر أمثلة مقتضبة عن التغريب ووسائله . وفي يقيني أن جعبة المنجد ملأى بمعلومات قيمة عن هذا الموضوع ، لذا فإننا نتمنىٰ عليه أن يُصدر كتابًا نوّه عنه في هذه الندوة - سنشير إليه في ختام هذا الحديث - لعله يستقصي فيه هذا الإشكال العظيم الذي تعرّض له تراثنا المخطوط في القرون الأخيرة .

مقولة تفتقر للصحة :

وتساءَل المنجد بعد ذلك أيهما أفضل إبقاء هذا التراث عندنا ، أم بيعه إلىٰ المكتبات والمتاحف في أوروبا وأمريكا ؟ ويجيب عن هذا التساؤل بأنّ حسّ الأوروبيين والأمريكيين بقيمة التراث - أيّ تراث - نامٍ وقوي ، لذلك فقد حافظوا علىٰ المخطوطات العربية التي اقتنوها ، وحفظوها في مكان مناسب بعيدًا عن الحرارة العالية والرطوبة والأَرَضة والسوس ، مع صيانتها المتوالية وتجليدها ، والعناية بتصنيفها وفهرستها ، وطبع هذه الفهارس ونشرها ليطلع عليها الباحثون والدارسون .

والقول الصحيح إن الأجداد حافظوا علىٰ هذا التراث المخطوط عشرة قرون . ولم تتعرض هذه المخطوطات للإهمال والتلف إلا في قرون التردّي الأخيرة . وكان بالإمكان بشيء من التوعية والخدمة أن يحافظوا عليها كذلك . وإن ماصنعه الأوروبيون وغيرهم لا يعفيهم من تهمة انتهاز فرصة فقر أهل التراث وجهلهم بقيمته ،فأخذوه منهم بأثمان بخسة سواء بتقديم المال ، أو المواد الغذائية في مواسم القحط والجفاف ، أو السلاح لتحارب القبيلةُ قبيلةً أخرىٰ - لخلاف فيما بينهما . فضلاً عمَّا أخذوه عنوة وغصبًا لوَهَنِ أصحابه وضعفهم .

علىٰ أن الأوروبيين وغيرهم لم يحصلوا علىٰ ماحصلوا عليه من مخطوطات إلّا بشقّ الأنفس ومختلف الطرق والحيل ، ذلك لأن كثيرًا من مقتني هذه المخطوطات لم يفرطوا فيها برغم حاجتهم الملحّة إلىٰ ثمنها ، لأنّ لها عندهم نوعًا من التقديس ، وهي في البيت مبعث بركة ، ومجلبة خير . لقد لمستُ هذا وشاهدته بنفسي في بعض بيوت مدينة زَبِيد في اليمن من آل الأهدل ، حين زرتها عام ١٩٧٤م . ويُذكَر أن بيوت هذه المدينة تكاد لاتَخلو من المخطوطات ، فقد كانت في سالف الأزمان مركزًا للعلم .

ولاشك في أنه كان من أهداف الأوروبيين وغيرهم الاستحواذ علىٰ المخطوطات لما تنطوي عليه من الفكر العربي الإسلامي ، خاصة مايتعلق منها

بالحروب والجيوش وأدوات الحرب وصناعة السفن والمراكب الحربية ومراسيم الخلافة ومظاهر الحضارة ، الأمر الذي يكشف عن نوايا السيطرة والاستعمار . ويتأكد ذلك حين نعلم أن اهتمام الأجانب بنقل المخطوطات العربية إلىٰ بلادهم ازداد منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

هذا بالإضافة إلىٰ مايحصل عليه الأوروبيون وغيرهم من فوائد مادية . فإن الجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي أخذت تدفع مبالغ طائلة لقاء الحصول علىٰ مصورات مجموعات من المخطوطات في أوروبا وأمريكا ، وهي أضعاف ما دُفع للتجار لقاء شرائها فيما مضىٰ . وأصبحت هذه المكتبات الغربية والمتاحف الأجنبية قبلة الدارسين والباحثين من كل جنس يقضون أشهرًا في تلك الأماكن بغية الاطلاع علىٰ بعض مخطوطاتها سواء كان للتحقيق أو للدرس .

ومهما يكن الأمر ، فإن مقولة إن هؤلاء الغرباء حافظوا علىٰ هذا التراث المخطوط لا تَصْدُق في الوقت الحاضر . ذلك لأن معهد المخطوطات العربية كان قد توجّه بالعناية والرعاية إلىٰ سنّ قانون نموذجي لحماية المخطوطات في الأقطار العربية . وجمع خبراء متخصصين ، ومستشارين قانونيين لوضعه . وعرض المعهد مشروع القانون علىٰ الدول العربية لدراسته وإبداء الملاحظات عليه . ثم أعاد صياغته بناء علىٰ ماتلقّىٰ من ملاحظات ، وطرحه في المؤتمر السادس للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ، الذي انعقد في شهر إبريل من عام ١٩٨٧ ، فأقرّ المؤتمر النصّ النهائي للقانون . وحينئذٍ وجّه المعهد إلىٰ اللجان الوطنية في البلاد العربية قرارَ المؤتمر والنص الكامل للقانون للأخذ به . وسنّت كثير من الدول العربية القوانين التي من شأنها أن تحمي التراث العربي المخطوط من النهب أو التلف . بالإضافة إلىٰ أن الحسّ لدينا بقيمة هذه المخطوطات أصبح فائقًا ، وتعلّمنا صيانتها وتجليدها وفهرستها ، وبهذا ينبغي أن نحتفظ بها ، ونحافظ عليها ، ولا نفرّط فيها .

لقد تفاعل الحاضرون - وهم من ذوي الثقافة والفكر - مع المنجد في حديثه عن تغريب التراث المخطوط ، فأخذ يدلي بعضهم بما يضيفه إلىٰ هذا الموضوع . وهذه فائدة من فوائد الندوات الثقافية . لقد ذكر أحدهم أن مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة كانت تحتوي في عهد الأتراك وأوائل عهد الأشراف علىٰ ١٦٥٠٠ مخطوطة ، لم يبقَ منها في الوقت الحاضر سوىٰ خمسة آلاف . ويعود هذا النقص إلىٰ مدير لها سابق هو إبراهيم الخربوطي الذي كان يأخذ من مخطوطاتها ويبيعها في أوروبا ، ولعله - علىٰ حدِّ قوله - باع بعضها إلىٰ فيلبي . وعبد الله فيلبي هذا هو الرحّالة المشهور الذي زار جدّة وطاف في عسير ونجران وشبوه وتريم وحضرموت والشِّحْر ، وعاد منها بالذخائر التي لا تقدّر . وهو الذي وصف وسط الجزيرة العربية وصفًا مفصلاً في كتابه « قلب الجزيرة العربية » الذي أصدره عام ١٩١١م . ومثل ما حدث لمكتبة عارف حكمت حدث لمكتبة السلطان محمود (المحمودية) بالمدينة المنورة أيضًا .

وإنني أذكُرُ حين زرتُ مكتبة عارف حكمت التابعة لوزارة الحج والأوقاف في الفترة مابين شهري فبراير ومايو من عام ١٩٧٣م في بعثة معهد المخطوطات العربية للاختيار والتصوير منها ، لاحظت نقصًا واضحًا في مخطوطاتها عمَّا هو مرصود في سجلاّتها الأولىٰ ، خاصةً النُّسَخ النفيسة منها . وأذكر أيضًا أن من أساليب العبث في مخطوطاتها غير ما ذُكر أن تكون النسخة النفيسة غير موجودة ، ووضع بدلاً منها كراسة حديثة ، وقد كتبت المخطوطة فيها بخط متأخر .

ويقارب هذا الأسلوب ماتلقاه في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة . فهناك بعض المخطوطات إن طلبتها يأتونك بغلاف النسخة الأصلية القديمة

وبداخله صورة منها ، مع أنها صنّفت في فهارس الدار المطبوعة علىٰ أنها نسخة أصلية . وواضح أن النسخة الأصلية سُطي عليها ، ووضع صورة منها في مكانها . (انظر ص ١٢ من كتاب تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة - الحقبة اليمانية - د. محمد عيسىٰ صالحية ، دار الحداثة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥م) .

وبعد ، فإن المنجد قد ذكر في هذه الندوة معلومة قيمة ، وهي أنه وضع كتابًا بعنوان « ست سنوات في معهد المخطوطات العربية » لم يُطبع بعد . ونرجو أن يهتم واضعه بطبعه ، ويعجِّل في نشره ، لما أحسب فيه من فوائد جمَّة للمعنيين بهذا الميدان ، وليكمل لنا ما ذكره في هذه الندوة من حكاية تشريد المخطوطات العربية وتغريبها .

أبو ريدة* : جهوده في التراث والفلسفة

د. أحمد عبد الحليم عطية**

رحل محمد عبد الهادي أبو ريدة مؤخرًا عن عالمنا ، بعد أن خلَّف تلاميذ ومريدين ، وترك تراثًا غنيًا ، تنوَّع بين البحث والترجمة والتحقيق ، وانصبَّ كله في خدمة الفلسفة العربية الإسلامية .

وقد رأت « المجلة أن من حق هذا الرجل أن تُفتح له الصفحات ، فكلفت د. أحمد عبد الحليم عطية بإعداد هذا البحث الذي يستعرض جهوده في الميادين الثلاثة ، ويكشف عن أثر المخطوطات في إنتاجه ومنهجه .

وهذه دعوة من « المجلة » لزملائه ومريديه لإلقاء أضواء أقوى على القضايا المتصلة بالتراث والمخطوطات في مصنفاته .

« المجلة »

---

* انتقل أبو ريدة إلى رحمته تعالى في العاشر من نوفمبر ١٩٩١م .وكان قد قام بزيارة إلى المعهد قبيل وفاته . رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

** أستاذ الفلسفة المساعد في كلية الآداب – جامعة القاهرة . متخصص في فلسفة القيم والأخلاق . له : الديكارتية في الفكر العربي ، الأصول الاستشراقية في فلسفة د. بدوي ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب .

مقدمــة :

كان الكندي أول الفلاسفة العرب الذين رسموا الطريق لمن أتوا بعدهم من الفلاسفة . وكما كان من حسن طالع الفلسفة الإسلامية أن يؤسس لها الفيلسوف العربي المسلم قديمًا في القرن الثالث الهجري ، فقد كان صاحب « الكندي » محمد عبد الهادي أبو ريدة من الطليعة الواعية التي أسست الدرس الفلسفي المعاصر في العربية .

لقد جاء إنشاء الجامعة المصرية في بداية هذا القرن ليكون علامة مميزة في الحياة الثقافية المصرية بخاصة ، والعربية بعامة ، فقد كان دورها عظيمًا في ترسيخ الثقافة العلمية القائمة على المناهج الحديثة .

في هذه الجامعة تخرج أبو ريدة على أيدي مجموعة من الأساتذة المصريين والأجانب . وكان في مقدمة الأساتذة المصريين آنذاك الشيخ مصطفى عبد الرازق(1) صاحب المدرسة الفلسفية الحديثة في مصر ، الذي تخرج به جماعة من الأعلام منهم عثمان أمين(2) ومحمود الخضيري وعلي سامي النشار(3) وأحمد فؤاد الأهواني وثابت الفندي وتوفيق الطويل ، إلى جانب أبو ريدة الذي اختط منذ البداية خطة واضحة محددة المعالم لدراسة الفلسفة الإسلامية ، والتزم بعمق وجدية بها .

في ٢٤ نوفمبر ١٩٠٩ ولد أبو ريدة بمدينة العريش ، وفي عام ١٩٣٤ أنهى دراسته الجامعية بالجامعة المصرية وسافر إلى باريس ودرس بها ، ثم درس بجامعة بازل

---

(١) ينبغي التأكيد على الصلة القَوية بين الشيخ مصطفى عبد الرازق وتلاميذه الذين واصلوا تدعيم الدراسات الإسلامية وفي مقدمتهم محمد عبد الهادي أبو ريدة وعلي سامي النشار راجع :

د. إبراهيم مدكور [مشرفا] : الكتاب التذكاري عن « الإمام الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا وأديبًا ومصلحًا » ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون - القاهرة ١٩٨٢ .

د. على عبد الفتاح المغربي : المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق دار المعارف - القاهرة - ط ٢ - ١٩٨٧ .

(٢) راجع د. إبراهيم بيومي مدكور [مشرفًا] دراسات فلسفية مهداة إلى روح الدكتور عثمان أمين ، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٩ .

(٣) راجع كتاب المشكاة دراسات مهداة إلى روح الدكتور علي سامي النشار دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية ١٩٨٥ .

بسويسرا ، وحصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٤٥ ، وعمل أستاذا زائرًا بالسوربون عام ١٩٤٨ .

وعين مستشارًا ثقافيا لمصر في مدريد عام ١٩٤٩ ، وكلف بإنشاء المعهد المصري هناك ، وكان أول مدير له حتى عام ١٩٥٣ .

وبالإضافة لعمله بجامعة القاهرة انتدب لإنشاء الجامعة الليبية ورأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ببني غازي ، ثم انتدب ثانية لإنشاء قسم الفلسفة بجامعة الكويت ، وظل يعمل به حتى عام ١٩٨٥ .

ومع عمله أستاذًا بعدد من الجامعات العربية ومستشارًا لعدد من الجامعات الإسلامية ترك لنا حصيلة وافرة من المؤلفات والأبحاث في شتى ميادين الفلسفة والحضارة الإسلامية .

هيأ أبو ريدة نفسه بالإعداد المتأني الجاد ، فسعى لامتلاك أدوات البحث العلمي التي يفتقر إليها كثير ممن ساروا في التخصص نفسه ، فأتقن الألمانية والفرنسية والإنجليزية والأسبانية ، ومن اللغات القديمة اللاتينية واليونانية والفارسية ، بالإضافة لطول باعه في العربية ، وراجع كل المصادر الأساسية في لغاتها المختلفة ، واختار جانبًا محددًا واضحًا مال إليه وانشغل به ، وكان سبيله لقراءة الفلسفة العربية الإسلامية ، هو الجانب العلمي ، أو ما أطلق عليه القدماء الحكمة الطبيعية منذ أول دراساته عن النظام حتى آخر تحقيقاته عن ابن الهيثم .

كان « أبو ريدة » على وعي بمهمته ورسالته ودوره في بداية نشاطه الفلسفي الذي بدأ منذ تخرجه في قسم الفلسفة بالجامعة المصرية عام ١٩٣٤ ، وهو تقديم « تاريخ واسع شامل للفكر الفلسفي الإسلامي » . ورأى أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال وسائل ثلاث متاحة أمام الباحث الجاد وهي : الترجمة الأمينة للكتب الأساسية في اللغات المختلفة التي تتناول الفلسفة الإسلامية ، وتحقيق المصادر الأصلية في فروع

الفلسفة وعلم الكلام وتاريخ العلم ، بالإضافة لتقديم دراسات مبتكرة تحيي الجوانب الهامة في هذه الفلسفة ، وهي عنده الجوانب الفلسفية والعلمية التي اهتم بها كثيرًا وتابعها طوال حياته ، وفي مقدمتها رسالتاه : « إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية » ١٩٣٨[1] بجامعة القاهرة ، والغزالي ومعارضته للفلسفة اليونانية Al Ghazali und seine Wiederlegung der griechis chen philosophie في جامعة بازل سويسرا عام ١٩٤٥[2] .

شغلت الترجمة المرحلة الأولى من حياة أبو ريدة التي بدأت منذ تخرجه واستمرت حوالى اثنتي عشرة سنة .

وإذا عرضنا لترجمات أبو ريدة فسوف نجد أنه اختار بعناية عدة نصوص هامة في تخصصه الدقيق ، تُوَسِّع من فهمنا للفلسفة الإسلامية من جانب وتؤكد على الناحية العلمية من جانب آخر .

ويهمنا أن نشير إلى مسألتين هامتين قبل بيان جهود أبو ريدة في الترجمة ؛ الأولى أن الترجمة كانت بمثابة إعداد وتمهيد وتوفير النصوص الفلسفية اللازمة للتأريخ للفلسفة العربية الإسلامية ، فهي نقطة انطلاق أولى لهدف أعم وأشمل ، وأنها – وتلك المسألة الثانية – جهد فلسفي في الأساس فهي توظيف للأدوات البحثية المختلفة من مراجعة المصادر الفلسفية باللغات المتعددة والاعتماد على المخطوطات الأساسية والاستعانة بها ، وتقديم الترجمة للعربية بدراسة وافية تضع النص المترجم في سياقه بالنسبة لتاريخ الفلسفة الإسلامية ومشكلاتها .

---

(١) د. محمد عبد الهادي أبو ريدة : إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية : دار النديم للصحافة والنشر ، ط ٢ – القاهرة ١٩٨٩ .

(٢) Al Ghazali und seine Wiederlegung der griechischen philosphie , tahâfut al Falasifah , Madrid 1952 .

أولًا : ترجمات أبو ريدة الفلسفية :

قدم أبو ريدة ترجمات لخمسة كتب أساسية اهتمت بالحضارة والفلسفة الإسلامية لبيان صورة الفلسفة والحضارة الإسلامية ، كما تجلت في كتابات الأوربيين ، بالإضافة إلى ترجمة عدد كبير من المواد الفلسفية في دائرة المعارف الإسلامية .

١ - وجهة الإسلام .. لمجموعة مستشرقين :

والعمل الأول الذي قدمه فور تخرجه - هو كتاب « وجهة الإسلام : نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي » كتبه مجموعة من المستشرقين وأشرف عليه هاملتون جب ولويس ماسينيون[١] .

وهذا الكتاب يعرض تطور الشعوب الإسلامية ، وخطوات هذا التطور وظروفه التاريخية والعوامل التي ساعدت عليه ومسلك المسلمين إزاء المدنية الغربية ومقدار قبولهم أو رفضهم لها ، ووسائلهم في حل مشكلاتهم الحاضرة وما أصابوا من نجاح ثم وجهة الإسلام في جملته ومحاولة التوفيق بين أنظمته والعصر الحديث .

وترجع أهمية هذا العمل إلى أنه يوجه أكبر العناية إلى تحليل تيارات الفكر الداخلية بين شعوب الإسلام وما يتردد بينها من نزعات ، ويفصّل ما يشغل بالهم من الناحية الدينية والاجتماعية[٢] .

والحقيقة أن هذه النوعية من الكتب تثير الشك والتساؤلات وتطرح العديد من علامات الاستفهام حول السبب في تأليف هذه الكتب (التقارير) والغرض منها ونوعية المتلقي لها في الغرب . وإذا كان أبو ريدة لم يشغل نفسه بالبحث في ذلك فإنه توقف من خلال التعليقات لمناقشة بعض الأفكار التي يعرضها المؤلفون ، وكلها

---

(١) هـ . جب - ل : ماسينيون : وجهة الإسلام ، المطبعة الإسلامية القاهرة ١٩٣٤ . ترجمة أبو ريدة .

(٢) المرجع السابق ، المقدمة ، ص ٣ .

تتجه نحو تصويب بعض الأفكار الجزئية يقول : « لم أجد في ثنايا الكتاب كثيرًا مما يحتاج إلى التعليق و لم أعلق إلا على بعض الأفكار في اختصار[1] .

٢ - *تاريخ الفلسفة .. لدي بور* :

والعمل الثاني هو كتاب دي بور De Boer « تاريخ الفلسفة في الإسلام » الذي بذل فيه الجهد الكبير « ليعطي قارئه فكرة شاملة عن الفلسفة الإسلامية منذ نشأتها ويبين تطورها ومشهوري رجالها ويهديه إلى مسائلها ، فيهيئه لدراستها الدراسة الوافية »[2] .

ويوضح المترجم أهمية دراسة تاريخ الفلسفة ؛ وأنها وإن نهضت في أوربا في القرن التاسع عشر فهي لاتزال حديثة العهد في مصر .

ويشير إلى قلة الكتب العامة في تاريخ الفلسفة الإسلامية فهناك كتاب « مونك » وكتاب دي بور - الذي يقدم لنا ترجمته ، ثم كتاب كاردي فوا .

إن جهد أبو ريدة في هذا العمل يجعلنا دون أدنى مبالغة ننسب العمل إلى « أبو ريدة - دي بور » معًا !

لقد رغب المؤلف في الإيجاز فلم يذكر المراجع التي رجع إليها ولا المصادر ، حتى إنه كان يترجم النص العربي ولا يدل على مكانه ، فبحث أبو ريدة حتى اهتدى إلى الأصول العربية ، وأضاف كثيرًا من التعليقات بحيث جاءت الترجمة في أكثر من ضعفي حجمها الأصلي مزودة بالإشارات والتنبيهات والتعليقات ، فصَّل ما هو موجز، وأضاف معلومات هيأتها البحوث الجديدة حتى جاء الكتاب أوفى وأعم نفعًا وبداية

(١) المرجع السابق ص ٤ .

(٢) د. أبو ريدة : مقدمة ترجمته كتاب دي بور . تاريخ الفلسفة في الإسلام . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة [١٩٣٨] ص ٤ .

لجهده فى تأريخ أوسع للفكر الإسلامي ، يقول : « لقد أشار عليّ بعض أساتذتى أن أترجم هذا الكتاب ليكون مجملًا شاملًا في تاريخ الفلسفة الإسلامية ... لقد حاولت الاستكمال والاستيفاء بقدر مااتسع بذلك جهدي لأجعل هذا الكتاب ... توطئة لتاريخ أوسع للفكر الإسلامي »(١) .

٣ - الحضارة الإسلامية لآدم متز :

والكتاب الثالث هو كتاب آدم متز « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع » ويخبرنا أبو ريدة أن الذي حبب إليه القيام بهذا العمل ، أنه ليس في كتب المستشرقين على كثرة تآليفهم إلا كتب قليلة تبحث في تاريخ الحضارة الإسلامية على النحو الذي سلكه آدم متز .

ويحدد أبو ريدة طريقته في العمل لنقل هذا الكتاب إلى العربية وهي التحقيق العلمي للمصادر والأصول التي استقى فيها نصوصه ، يقول : « كان لابدّ لي من البحث عن هذه المصادر في فهارس المكتبات الأوربية للمطبوعات والمخطوطات ومراجعة ذلك . وقد استطعت أن أحصل على المواضع التي أشار إليها المؤلف في المخطوطات وكذلك مراجعة الأصول العربية وكذلك وسعت بعض النصوص وبينت مناسبتها وذكرت أسماء الأعلام كاملة وعلّقت تعليقات قليلة جدًا يتطلبها المقام ، على أنّي راجعت كل شيء تقريبًا على الأصول التي ذكرها المؤلف مراجعة دقيقة طلبًا للدقة والضبط »(٢) .

٤ - مذهب الذرة عند المسلمين :

كما ترجم كتاب بينس S. Pines « مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود » . الذي ترجمه في أثناء فترة دراسته بباريس وبازل وحالت ظروف الحرب العالمية دون نشره حتى ١٩٤٦ .

---

(١) الموضع السابق .

(٢) أبو ريدة : مقدمة ترجمة كتاب آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠ ص ز - ح .

وهو كتاب يسير في الاتجاه العلمي الذي شغل به منذ كان طالبًا وظهر في دراسته الأولى عن إبراهيم بن سيار النظام واستمر معه طوال حياته .

قدم للكتاب بدراسة وافية مع ملحق عن مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين في الإسلام[١] .

ومقدمة ترجمته تظهر بوضوح اهتمامه العلمي المبكر ، فهو يدرس موقف المتكلمين والفلاسفة من الكون على ضوء إنجازات العلم . ويرى أن العلم كان يؤيد متكلمي الإسلام القائلين بالذرة على فلاسفة الإسلام الذين أنكروها ، « لاشك أن متكلمي الإسلام[٢] . كانوا في كثير من الأحيان أرزن وأقرب إلى روح العلم من فلاسفته » وذلك يتجلى في رفض المتكلمين للعلوم الخادعة . وهم كانوا من وجه ، أقرب إلى روح الفلسفة لتناولهم الأفكار الفلسفية بالنقد وخصوصًا لأبحاثهم في المعرفة الإنسانية ونقدهم لها ... ومهما يكن من شيء فإن القول بالجزء الذي لايتجزأ كان له شأن كبير في علم الكلام لإثبات بعض العقائد الإيمانية الكبرى مثل : حدوث العالم المفضي إلى إثبات وجود الصانع كما كان أساسًا لوجهة نظر في الكون تنبني على القول بالخلق المستمر[٣] .

وتظهر مقدمة أبو ريدة أهمية الجوهر الفرد في الفلسفة الإسلامية ، وأنه يكشف عن نواح جديدة ويبعث الاهتمام بمشكلات يجب دراستها في الفكر الإسلامي » .

وكما أوضحت فإن أبو ريدة حتى في ترجماته يرجع للأصول ، ويعتمد على المصادر المطبوعة والمخطوطة التي يحققها ويشير إليها في كل عمل من أعماله ، وهو يوضح لنا ذلك في مقدمات ترجماته وتعليقاته عليها ، يقول :

---

(١) أضاف أبو ريدة إلى ترجمته لكتاب بينس ترجمة مقال أوتو بريتزل Otto pretzl : مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين في الإسلام . عن مجلة الإسلام المجلد التاسع ١٩٣١ .

(٢) مقدمة أبو ريدة لترجمة كتاب بينس : مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ط .

(٣) الموضع السابق .

« وكان من حسن حظي أني عرفت مؤلفه العلامة بينس في باريس فرجعت إليه في إيضاح ماالحتجت إلى إيضاحه تحريًا للدقة ، كما أني استطعت وأنا في باريس مراجعة نصوصه التي لاتحصى في مخطوطاتها الكثيرة التي رجع إليها المؤلف ، ولم يكن هذا عليّ بالأمر اليسير »[١] ..

ويضيف في الفصل المعنون مصادر فلسفة الرازي وهو يعرض لتحليل بينس للذة والألم عنده واستشهاده ببعض الآيات القرآنية التي تركها المؤلف :

« كان محل هذه الآيات بياضًا في الأصل ؛ وقد عثرت على فصل عنوانه : « في بيان النفس » في آخر مخطوط رقم ٦٩٦ بمكتبة الأسكوريال ، والغالب أنه كتاب الفوز الأصغر لابن مسكويه ، وهو حكاية عند مذاهب الحرنانيين ، ومنه أكملت هذه الآيات »[٢] .

٥ - تاريخ الدولة العربية .. لفلهوزن :

وكتاب فلهوزن : « تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية » هو العمل الخامس الذي يقدمه أبو ريدة إلى العربية . وهو كما يتضح من عنوانه في التاريخ العربي يعرض في فصول تسعة لقيام الدولة الإسلامية حتى سقوط دولة بني أمية .

ويخصص أبو ريدة مقدمة للحديث عن المؤلف وأخرى عن الكتاب ، فالرجل عالم بارز في دراسات الكتاب المقدس وباحث محقق في ميدان التاريخ العربي ، وهو مفكر متحرر يعتد بالعقل ويعنى بالنقل . وفي عمله هذا لم يكن متحيزًا أو صاحب أفكار مسبقة مع أو ضد العرب ، فقد جمع بين الجد العلمي والعمق والعدالة ، وجمع بين روح العالم وموضوعيته وروح الفنان وذاتيته[٣]

---

(١) المرجع السابق ، المقدمة ص ط .

(٢) المرجع نفسه ص ٦٣ الهامش .

(٣) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٥٨ . والمؤلف معروف في العربية ترجم له د. بدوي كتابه عن الخوارج والشيعة ، القاهرة ١٩٥٩ .

والكتاب يعرض فترة مجد العرب الخالدة وفترة التجربة الكبرى في تاريخهم ، ويوضح كيف قامت دولة العرب على أساس الدين وقوة الإيمان ، والجنس العربي وخصائصه .

ويمكن أن نستنتج خصائص ترجمات أبو ريدة ومنهجه في الترجمة من تلك الإشارات التي يعلن بها في بداية كل نص كيف تعامل معه ، فهو يرى أنه لابد لمن يريد ترجمة كتاب بلغة أجنبية في موضوع إسلامي أن يكون ملمًا بالموضوع عارفًا بالاصطلاحات العربية(١) ، وأن يراجع كتب التاريخ والتراجم وكل مارجع إليه المؤلف من مؤلفات المفكرين العرب ، والاستعانة بالاصطلاح العام الذي جرى عليه الإسلاميون . بالإضافة للعودة إلى الأصول والإلمام بالمصطلح العلمي العربي ، وعليه أيضًا إدراك أنه مترجم عربي يقدم عملًا للقارئ العربي ، وعليه فمن الممكن أن يتوسع في الموجز ويفصل في المختصر ويحقق الأسماء وتواريخ الميلاد والوفاة لأي ممن تحدث عنهم المؤلف دون تفصيل(٢) .

وإذا كان أبو ريدة حريصًا على دقة الترجمة ليقدم فكر المؤلف بشكل يكاد يكون حرفيًا ، فهو في أحيان أخرى يعطي نفسه حرية أكثر كما في ترجمته لتاريخ الدولة العربية الذي نشر عام ١٩٥٨ (حيث لم يكن بد في بعض الأحيان من ترجمة المعنى ترجمة دقيقة وافية بالغرض دون تعنت في التمسك بالترجمة الحرفية خصوصًا إذا كانت الألفاظ العربية المؤدية للمصطلحات الألمانية لم تتوطن بعد في أذهان غالبية القراء العرب)(٣) .

إن السمة الأساسية التي نريد أن نستخرجها من عرضنا لإشارات أبو ريدة لطريقته في الترجمة هو التأكيد على أهمية التحقيق والضبط والعودة للأصول العربية وأغلبها

(١) أبو ريدة : مقدمة ترجمته تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ص د .

(٢) أبو ريدة : مقدمة ترجمته الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ص ص .

(٣) أبو ريدة : مقدمة ترجمة تاريخ الدولة العربية .

في هذه الفترة كان مخطوطًا ، أي أن التحقيق والعودة للمخطوطات كانت أيضًا جزءًا من عمله في ترجمة وتقديم النصوص الغربية في الفلسفة إلى العربية .

البحـــوث

كشف أبو ريدة في بحوثه ميادين بكرًا لم يرتدها الباحثون العرب قبله ، وظهر فيها الضبط المنهجي ، الذي تمثل في امتلاك الأدوات البحثية كالتمكن من كثير من اللغات الأوربية والإلمام بالمصطلحات الفلسفية العربية والمعرفة الواسعة بالمصادر والأصول .

١ – *النظام وآراؤه الكلامية* :

في هذه الفقرة نعرض لأصول البحث العلمي كما ظهرت في أول أبحاثه ، « إبراهيم ابن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية » وهو الذي حصل به على درجة الماجستير .

ولن نتوقف عند الموضوع والمحتوى الذي يعالجه والذي قدمه في بابين : الأول : مدخل عن حياة النظام ، ثقافته ، نواحي نشاطه الفكري والاتجاهات الغالبة على تفكيره ومكانته بين مفكري عصره ومميزاته الشخصية ومؤلفاته ، والثاني : آراء النظام سواء في الإلهيات أو الإنسان أو العالم المادي أو المسائل الأخلاقية والسياسية ، فما يهمنا هنا هو التوجه العام المتمثل في مغزى دراسته للنظام والذي يتضح في حديثه عن الاتجاهات الغالبة على تفكيره : النزعة المادية الحسية ، الاتجاه العلمي ، الاتجاه الجدلي ، الاتجاه إلى التعمق (الناحية العقلية المنطقية) .

إن اهتمامه بالنظام جزء من اهتمامه بعلم الكلام الإسلامي الذي شغل به كثيرًا ربما بشكل يوازي اهتمامه بالفلسفة أو يزيد ، وهو في هذا يتفق مع علي سامي النشار الذي رأى في هذا العلم الفلسفة الإسلامية الأصيلة ، ومن هنا كان توجيه أبو ريدة جل أبحاثه إلى هذا الميدان ، فعلم الكلام الإسلامي وكبار علمائه ، خصوصًا المتقدمين منهم في حاجة إلى مجهود كبير يوجه إلى دراسة المذاهب الخاصة بكل متكلم وإلى

بيان وجهة النظر الموحدة لفرق المتكلمين ، ولجملة هذه الفرق باعتبارها ممثلة لوجهة نظر تقابل الفلسفة الإسلامية كما يمثلها كبار فلاسفة الإسلام من جهة ، وتكون في ذاتها فلسفة لها خصائصها التي تتميز بها من جهة أخرى[١] . هذا هو الهدف الذي وجهه من البداية لدراسة النظام وتحقيق كتاب التمهيد للباقلاني وترجمة مذهب الذرة عند المسلمين لسلمون بينس ، فكيف أدى عالمنا هذه المهمة في بحثه : « لقد اعتمدت فيه على ماستطعت الوصول إليه من مراجع مطبوعة أو مخطوطة في مصر وفي بعض بلدان أوربا ، كما أني جعلته مستوفيًا لأبحاث المستشرقين الأوربيين في الموضوع »[٢] . وهذا ماسنحاول إيضاحه .

لقد أراد أبو ريدة ربط آراء النظام بأصولها الأولى الإسلامية « حاولت أن أربط بين أقواله وأفسر بعضها ببعض محافظًا على ما أنا مقتنع به من ضرورة مراعاة التطور الطبيعي للفكر الإسلامي من حيث منشأ المشكلات وماقيل فيها من آراء تحت تأثير الأصول الكبرى للإسلام . ولم أتابع المستشرقين فيما جروا عليه من رد آراء المتكلمين إلى مصادر أجنبية يعينونها مع التعسف والمبالغة في بعض الأحيان »[٣] .

ويتضح ذلك في مناقشته آراء المستشرق الألماني هورفيتز Horovitz في رده بعض آراء النظام إلى آراء الفلاسفة الرواقيين وتأثير الفلسفة اليونانية في تطور علم الكلام الإسلامي .

رجع أبو ريدة إلى المصادر المختلفة في لغاتها الأصلية ، فبالإضافة للأصول العربية ، هناك كتابات كل من : فستنفالد F. Wistenfild[٤] وماكدونالد Macdonald[٥]

(١) أبو ريدة : إبراهيم بن سيار النظام . كلمة المؤلف ص. ح .
(٢) الموضع السابق .
(٣) المرجع السابق ص. د .
(٤) المرجع نفسه ص ١ .
(٥) المرجع نفسه ص ٥ ، ٨٩ ، ١١٩ ، ١٧١ .

واوليرى O,llary[١] وكاردى فوا Carrade vaux[٢] والفردفون كريمر Kremer[٣] وماكس هـورتن Max Horten الذي كثيرًا ما يعتمد على كتاباته المتعددة[٤] وبروكلمان Brockelman[٥] ومارتن شنيدر M. Schreiner[٦] وهوروفيتز Horovitz[٧] وبرتيزل Pertzl ونيبرج Nyberg[٨] ورينان Renan وفورلارنى Frurlani[٩] وريتر Ritter[١٠] وغيرهما .

وتأتي المخطوطات لتمثل مصدرًا أصيلًا يحرص أبو ريدة على الاعتماد عليه والإشارة له وبيان مايتعلق به من ذكر المخطوط ورقمه ومكانه ، فهو يذكر في كتابه عن النظام مراجعه في الهوامش والملاحظات ، وفيها تلك المخطوطات التي رجع لها مثل : « عيون التواريخ » لابن شاكر مخطوط رقم ١٥٨٨ بالمكتبة الأهلية بباريس[١١] ، والبرهان في عقائد أهل الإيمان مخطوط رقم ٣٢١ عقائد بالمكتبة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة[١٢] ، وعيون أخبار الأعيان فيما مضى في سالف العصور والأزمان لأحمد ابن عبد الله البغدادي مخطوط رقم ٦٦٧٧ بالمكتبة الأهلية بباريس[١٣] . ويشير إلى

---

(١) المرجع نفسه ص ٥ ، ١١ . ترجم هذا الكتاب إلى العربية .

(٢) المرجع نفسه ص ٥ ، ٦٩ ، ١٧٢ . وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية عادل زعيتر .

(٣) انظر ص ٥ ، ص ٨٩ .

(٤) راجع صفحات ٥ ، ١٦ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ .

(٥) راجع ص ٦ ، ١٧١ .

(٦) راجع صفحات ١٣ ، ٥٣ .

(٧) على امتداد صفحات الكتاب ٤٧ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٦٨ .

(٨) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٩) المرجع السابق ص ٧٧ .

(١٠) المرجع نفسه ص ٧٩ .

(١١) المرجع نفسه ص ١ .

(١٢) المرجع نفسه ص ٢ ، ٩٠ .

(١٣) المرجع السابق ص ٣ ، ١٩٤ .

كتاب الذهبي تاريخ الإسلام وهو يوجد مخطوطاً في بعض مكاتب أوربا ويعلق عليه : « إن بعض نسخه غير كاملة »[١] وكتاب أبو المعين النسفي « بحر الكلام » مخطوط رقم ١٥٤ عقائد بالمكتبة التيمورية[٢] والتبصير في الدين للإسفراييني مخطوط بمكتبة الأزهر[٣] وكتاب أبو هلال العسكري « الأوائل » مخطوط رقم ٥٩٨٦ بالمكتبة الأهلية بباريس[٤] والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار مخطوط رقم Glaser 230 بمكتبة برلين[٥] والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم مخطوط رقم ١١ أصول بدار الكتب[٦] وكتاب القاسم بن إبراهيم الحسني ت ٢٤٦ هـ « الرد على الرافضة » مخطوط بمكتبة برلين رقم ١٠١ Glaser[٧] و « التمهيد » للباقلاني الذي حققه فيما بعد مع الأستاذ محمود الخضيري – مخطوط رقم ٦٠٩ بالمكتبة الأهلية بباريس[٨] وكتاب البيهقي «تاريخ حكماء الإسلام» الذي يشير إليه في كثير من أعماله– مخطوط رقم ٣٦٦٦ بدار الكتب المصرية[٩] والمجموع من المحيط بالتكاليف – مخطوط رقم ٣٥٧ عقائد بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية[١٠] والصحائف الإلهية للسمرقندي وشرح الصحائف للعلاء الإسفراييني ، وهما في مخطوط واحد تحت رقم ١٢٤٧ بالمكتبة الأهلية بباريس[١٠] ومفصل المحصل بمكتبة باريس – رقم ١٢٥٤[١١] ، والعقائد الماتريدية – مخطوط رقم ١٤٧ عقائد المكتبة التيمورية[١٢]

---

(١) راجع ص ٥ .

(٢) راجع ص ٦ ، ١٤٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٧ ، ص ١٣٠ .

(٤) ص ٨ ، ص ٦٧ .

(٥) ص ١٦ ، ١٣٤ ، ١٦٢ .

(٦) ص ١٧ ، ٢١ .

(٧) ص ٢٨ ، ١٥٠ .

(٨) ص ٢٨ ، ص ١٣٥ .

(٩) ص ٧٠ .

(١٠) ص ٨٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١١) ص ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٥٨ ، ١٦٠ .

(١٢) ص ١١٠ ، ص ١٧٤ .

وكتاب فخر الدين الرازي « المباحث المشرقية » مخطوط بمكتبة برلين Or-Ouarta[١] وشرح الإشارات للطوسي - مخطوط بمكتبة باريس رقم ٢٣٦٦[٢] والإبانة للأشعري . مخطوط برقم ١٠٧ عقائد بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية[٣] .

ويرجع أبو ريدة إلى المخطوطات في ترجماته أيضًا ، فهو يستعين في تعليقاته على ترجمته لكتاب دي بور « تاريخ الفلسفة في الإسلام » بعدد كبير من المخطوطات . ففي حديثه عن كتاب التفاحة يخبرنا عن مخطوط له بقوله : « وقد رأيت مختصرًا لهذا الكتاب مخطوطًا ضمن مجموعة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وعنوانه « مختصر كتاب التفاحة لسقراط »[٤] . ويشير أيضًا إلى تاريخ المذاهب الفلسفية لسانتيلانا ، وهو مصور بمكتبة الجامعة المصرية[٥] ، والتبصير في الدين ، وعيون التواريخ لابن شاكر الذي يعتمد عليه أيضًا في كتاب النظام كما أشرنا ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ونزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري - مصور بمكتبة الجامعة[٦] . ويبين أن في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية مخطوطًا رقم ٥٥ يتضمن رسالة للكندي في النفس ضمن مجموعة[٧] . وفي حديثة يذكر ماشاهده أو عثر عليه من مخطوطات كما في قوله : « وقد عثرت على مخطوط ينسب له (يحيى ابن عدي) وذلك بالمكتبة التيمورية ، تحت رقم ٢٩٠ أخلاق بدار الكتب[٨] .

---

(١) ص ١٢٣ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) ص ٧٠ .

(٤) راجع هوامش وتعليقات أبو ريدة في ترجمته كتاب دي بور « تاريخ الفلسفة في الإسلام » ، ص ٢٩ هـ ١ .

(٥) الموضع السابق .

(٦) راجع صفحات ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٦٥ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٩ .

(٧) ص ١٢٠ .

(٨) ص ١٥٥ .

٢ – نصوص فلسفية عربية :

وفي كتابه « نصوص فلسفية عربية » ١٩٥٥ يقدم مجموعة من النصوص غرضها تمرين قارئها على الانتقاع بالكتب الفلسفية العربية على نطاق واسع .

وما يهمنا أن نشير إليه في تقديم أبو ريدة لهذه النصوص هو قيامه بإعدادها إعدادًا علميًّا فيما يشبه التحقيق كما يخبرنا :

« فقد رأيت أن أضبطها وأصلح من أمرها بحيث تكون من غير شك أصح من الأصول التي نقلت عنها »[١] .

وهو بالإضافة لتقديم النص يشرح الكلمات الصعبة ويلخص الفكرة الإجمالية له . وهذا مايتضح بأجلى صورة في تحقيقاته المعروفة .

التحقيقـــات

١ – رسائل الكندي الفلسفية :

إن الدراسات عن الكندي لم تنقطع ، وهي في تزايد يومًا بعد يوم ، فمنذ أن عرفت رسائله وأصبحت متوفرة للقارىء والباحث توالت دراسات وكتب عديدة حول الكندي وفلسفته تعتمد على النشرة المحققة الجيدة للرسائل على يد الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة[٢] .

هكذا كتب الدكتور حسام الألوسي في مقدمة كتابه « فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه » الذي نجد في بدايته إهداء يقول :

إلى الإنسان الذي يقترن اسمه واسم الكندي دومًا ، ويشبهه في طيبة الطوية وحب الإنسانية والسيرة الفلسفية الرحبة الأخ والصديق محمد عبد الهادي أبو ريدة رائد

(١) أبو ريدة : نصوص فلسفيه عربية . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، المقدمة .

(٢) د. حسام محيي الدين الألوسي : فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه . دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٧ .

كل دراسة عند الكندي بحق ورمز العالم الفاضل أقدم هذا الكتاب[1] . حقًا لقد توالت الدراسات عن فيلسوف العرب وتضاربت الآراء حول فلسفته . ويمكن القول : « إن الأحكام المعاصرة على مكانة الكندي الفكرية تختلف بين مرحلتين يفصل بينهما نشرة عبد الهادي أبو ريدة مجموعة أيا صوفيا عن رسائل الكندي »[2] . لقد كتب الباحثون عن الكندي ورأيه في العالم بالمقارنة مع أفلاطون وأرسطو »[3] وحققوا بعض رسائله مثل « في الصناعة الكبرى »[4] متتلمذين على صاحب الكندي ورائد الدراسات المعاصرة حوله .

وقد يعيد البعض تحقيق بعض رسائل الكندي - لظهور مخطوطات جديدة لها - كما فعل الدكتور عبد الأمير الأعسم في دراسته الهامة « المصطلح الفلسفي عند العرب » - إلا أن ذلك يؤكد فيما يؤكد فضل أبو ريدة : « إن نشرتنا هذه لرسالة الكندي في الحدود والرسوم لا تلغي الجهد البارز الذي بذله الدكتور أبو ريدة في إخراجها أول مرة ، لكنها تصحح القراءات الغامضة في نشرته وتفصح عن كل مسألة استوقفته حينًا في القراءة أو التعليق »[5] .

تلك شهادة باحثين محققين في الفلسفة الإسلامية .

بل إنني أزعم أن بعض الانتقادات التي وجهت إلى تحقيقاته - وهي قليلة - تفصح عن تناقض أصحابها . فالدكتور عبد الرحمن بدوي ينتقد في كتابه « رسائل فلسفية » ١٩٧٣ تحقيق أبو ريدة لرسالة الكندي في العقل » تمهيدًا لإعادة تحقيقها : « فقد

---

(١) المرجع السابق ، الإهداء .

(٢) انطون سيف : الكندي ومكانته عند مؤرخي الفلسفة العربية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٢ .

(٣) عزمي طه السيد أحمد : الكندي ورأيه في العالم المقارنة مع أفلاطون وأرسطو . رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة الكويت ، إشراف أبو ريدة ، ١٩٧٩ .

(٤) الكندي : في الصناعة الكبرى ، تحقيق د. عزمي طه السيد . دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع ، قبرص ، ١٩٨٧ .

(٥) د. عبد الأمير الأعسم : المصطلح الفلسفي عند العرب . دراسة وتحقيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٨ .

تبين بعد الفحص الدقيق أن نشرة هذه الرسائل كلها (رسائل الكندي) حافلة بالأخطاء ولابد من إعادة تحقيقها كلها من جديد »[1] . فهى – رسالة العقل – على صغرها تحتل مكانة ممتازة ومن هنا كان الاحتفال بها وكثرة الدراسات التي تناولتها ، كما أن هذه الدراسات اعتمدت على مخطوط واحد هو مخطوط أيا صوفيا ٤٨٣٢ .

ويبدو أن بدوي نفسه – رغم نقده هذا – اعتمد أيضًا في تحقيقه على المخطوط نفسه ، إلا أن مايهمنا هنا هو حكم بدوي على تحقيق أبو ريدة لرسالة العقل الذي يتناقض مع حكم آخر على تحقيق أبو ريدة لهذه الرسائل أصدره بدوي في تحقيقه لكتاب أرسطو في النفس ١٩٥٤ فهو تحقيق ممتاز كما يتضح من قوله « راجع النشرة الممتازة لرسائل الكندي الفلسفية التي قام بها الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة والمقدمة التي صدر بها هذه الرسائل »[2] .

ويأخذ الدكتور الأهواني على محققنا إغفاله نسخة مصورة للمخطوط موجودة بدار الكتب المصرية كانت تغنيه عن تلك المشاق التي يصفها لنا من أجل الحصول على المخطوط ، ويظهر لنا الأهواني أسبقيته في تقديم رسائل الكندي ، فقد نشر له ثلاث رسائل هي : كتاب الكندي في الفلسفة الأولى القاهرة ١٩٤٨ ، رسالة النفس – مجلة الكاتب القاهرية أكتوبر ١٩٤٨ ، رسالة العقل ١٩٤٩[3] ، بينما نشرة أبو ريدة للرسائل في جزأين عامي ١٩٥٠ – ١٩٥٤ .

والحقيقة أن تحقيقات أبو ريدة لرسائل الكندي سبقت إصدار الأهواني لرسالة الكندي في الفلسفة الأولى – كما يشير هو نفسه . صحيح أن الأهواني نشر تحقيقه

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي : مقدمة تحقيقه : رسائل فلسفية ، الجامعة الليبية ، بنغازى ، ١٩٧٣ ، ص ٩ .

(٢) د. عبد الرحمن بدوي : مقدمة تحقيق كتاب أرسطو في النفس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٦ .

(٣) د. أحمد فؤاد الأهواني : مقدمة تحقيق كتاب الكندي في الفلسفة الأولى ، القاهرة ، ص ٥٧ ومابعدها . وانظر أيضًا كتابه عن « الكندي فيلسوف العرب » ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص ٧٣ .

١٩٤٨ وأبو ريدة نشر الجزء الأول من رسائل الكندي ١٩٥٠ إلا أن محققنا نشر عدة رسائل للكندي قبل هذا التاريخ بمجلة الأزهر عام ١٩٤٦ هي : رسالة في حدود الأشياء ورسومها « الأزهر مجلد ١٨ عدد صفر ١٣٦٦هـ . ونشر ثلاث رسائل أخرى هي : في إيضاح تناهي الجرم ، في مائية مالا يمكن أن يكون لا نهاية له وما الذي يقال لا نهاية له ، والثالثة في وحدانية الله وتناهي جرم العالم بمجلة الأزهر المجلد ١٨ ، عدد ربيع الثاني ١٣٦٦هـ[١] .

وتدعونا تلك الشهادات التي توضح ريادة أبو ريدة في دراسة الكندي إلى الوقوف أمام تحقيقه لرسائل الكندي الفلسفية .

يقدم أبو ريدة في الجزء الأول من رسائل الكندي الفلسفية أربع عشرة رسالة فلسفية مع مقدمة وتصدير ، المقدمة عن المخطوط ومنهجه في تحقيق الرسائل ، والتصدير حول فلسفة الكندي[٢] . وفي الجزء الثاني يقدم الرسائل العلمية للكندي . والكندي هو أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة ، وهو أيضا أول علمائه .

ويحدثنا أبو ريدة عن مؤلفاته في كتابات المسلمين في الشرق ، كما يعرض لهذه المؤلفات في الغرب ، ويشير للترجمات اللاتينية لها ، فأكبر مجموعة من آرائه توجد في رسالة لاتينية تحوي نقدًا لآراء الفلاسفة التي نشرها P.Mandunnt في لوفان ١٩١١ ، وفيها آراء كثيرة تنسب للكندي ونجدها بمعناها في رسائله .

و نشر أوتولوت Otto loth رسالته في « ملك العرب وكميته » . ونشر البينوناجي A- Nagy رسائل ثلاثًا مترجمة إلى اللاتينية هي : رسالة في العقل ، ورسالة في النوم والرؤية ، ورسالة في الجواهر الخمسة في جزء من مجموعة « تاريخ العصور الوسطى » ١٨٩٧ .

---

(١) د. الأهواني : مقدمة تحقيق رسالة الكندي في الفلسفة الأولى ، ص ٥٨ .

(٢) أبو ريدة : مقدمة تحقيق رسائل الكندي الفلسفية .

ونشر ريتر Ritter رسالة « الحيل في دفع الأحزان » .

ويشير أبو ريدة إلى تحقيق الدكتور الأهواني لكتاب الكندي في الفلسفة الأولى « وقد خالفناه في قراءة كثير من المواضع » .

ويعود بالفضل إلى أهله ويذكر جهود المستشرق الألماني ريتر Ritter الذي اكتشف مجموعة من رسائل فيلسوف العرب بمكتبة أيا صوفيا ضمن مخطوط ٤٨٣٢ . وقد كتب عنها هو بلسنر Plessner في مجلة الأرشيف الشرقي ، المجلد الرابع ١٩٣٢ .

ويصف أبو ريدة مخطوطة الرسائل، التي تشتمل على قسمين، الثاني يبدأ بترقيم جديد ويحتوي على رسائل الكندي مع ثبت بأسماء الرسائل الموجودة بعضها رسائل رياضية ليست للكندي .

أما رسائل الكندي كما يصفها فهي مكتوبة بخط قديم من خط النسخ الكوفي ، خالية من التنقيط ، ترجع للقرن الخامس الهجري ، وأنها ربما تكون لابن سينا ، لكنها ليست من خطه .

والرسائل بخط واحد قديم، وأسلوب واحد والروح التي تسري فيها واحدة .

وهي متشابهة في الغالب في الديباجة والخاتمة .

وفي بعضها إشارات للبعض . وقد نجد مسألة أو استدلالًا في إحداها مذكورًا في الأخرى بنصه تقريبًا .

ويستنتج من ذلك أنها مجموعة رسائل بقلم مفكر واحد وإن اختلفت في موضوعاتها .

وتتطابق أسماء هذه الرسائل مع الأسماء الموجودة في أقدم إحصاء لمؤلفات الكندي .

أما الاصطلاح المستخدم فيها فيبدو أنه من عصر متقدم ، يشبه اصطلاح المتكلمين الأولين في بعض الأمور .

ويستنتج من أسماء الرسائل وتطابقها مع أسماء مؤلفات الكندي ومن مقارنة محتواها والترجمات اللاتينية للرسائل التطابق التام وأنها تنسب للكندي[١] .

ويقدم أبو ريدة بيانًا بأسماء الرسائل وترتيبها كما وردت في المخطوط[٢] ثم يذكر بعد ذلك المخطوطات الباقية لكتب الكندي الموجودة في غير هذا المخطوط ، وهي :

كتاب في كيمياء العطر والتصعيدات ، أيا صوفيا رقم ٣٥٩٤ .

رسالة في علم الكف ذكرها بلسنر ، ومنها نسخة بدار الكتب المصرية .

رسالة في اختيارات الأيام ، مكتبة ليدن تحت رقم ١٩٩ .

رسالة في استخراج الأبعاد بذات الشعبتين ، ليدن رقم ١١٩[٣] .

وإذا كانت الرسالتان الثالثة والرابعة توجدان في الجزء الثاني من رسائل الكندي « العلمية » فهو يعيد ترتيب رسائل مخطوط أيا صوفيا ٤٨٣٢ الذي سيقدم في الجزء الأول ويبدأ بالرسائل ذات الصبغة الفلسفية الخالصة مراعيًا في ترتيبها أهميتها وتقاربها في الموضوع ومكانة كل منها في إعطائنا صورة لمذهب الكندي . ويضيف لهذه المجموعة رسالة النفس ، الموجودة ضمن مجموعة رسائل في الحكمة تحت رقم ٥٥ بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .

إن المشكلة الأساسية في مخطوط الرسائل تكمن في رداءة الخط وقراءة عباراته . « في نص الرسائل أخطاء كثيرة جدًا بعضها في الإملاء وبعضها في النحو »[٤] ويبدو أنها كانت في الأصل إملاء من ممل لا يدقق في التمسك بقواعد الإعراب ، ثم نسخها ناسخ غير جيد المعرفة لما تحويه . والكلمات تكاد تخلو من النقط والصعوبة هنا في أن الكلمة تقبل أكثر من قراءة .

---

(١) المرجع السابق ص ل .

(٢) المرجع السابق ص ل ، م ، ن .

(٣) الكندي : رسائل الكندي العلمية ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، الجزء الثاني .

(٤) مقدمة أبو ريدة لرسائل الكندي الفلسفية ، الجزء الأول .

وقد حل المحقق – كما يخبرنا – هذه الصعوبة على وجهين : الأول أنه ترك بعض الكلمات التي تحتمل أكثر من قراءة دون ضبط لكي يقرأها القارئ على الوجه الذي يرتضيه ، والوجه الآخر هو قيامه بتصحيح بعض الأخطاء من الناحية اللغوية ، وإن كان لا يشير إلى ذلك في الهامش . « أما فيما أشرت إليه فقد حاولت أن أعطي للقارئ مجالًا لقراءة النص من وجهة نظره . وفي بعض الأحيان تعمدت إبقاء الأصل على حاله ، وذلك رغبة في المحافظة عليه وتجنبًا للمساس بأسلوب المؤلف »(1) .

وينصحنا المحقق بأن نضع النص في سياقه التاريخي « علينا أن نتصور أنفسنا في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، فالكندي كان يقوم باستخدام اللغة لأول مرة في تاريخها في التعبير عن المعاني الفلسفية » .

ويحدد جهوده في معالجة النص . ففي حالة النقص فإن عمل المحقق هو إكمال هذا النص اعتمادًا على مواضع أخرى من الرسائل . وأحيانًا يضيف كلمة أو بضعة كلمات للإيضاح ، ويضعها بين قوسين مضلعين مع استخدام علامات الترقيم نظرًا لطول الجمل .

ومن أجل مساعدة القارئ فهو بالإضافة إلى تقسيم النص إلى فقرات ، وشرح الاصطلاحات العامة يقدم مقدمة تحليلية لكل رسالة على حدة توضح موضوع الرسالة .

ويثري د. أبو ريدة تحقيقه بتعليقات ، تظهر معنى كلمة أو توضح قراءاتها المتعددة أو تكشف معنى اصطلاح وتحدد معناه ، ففي كتاب الكندي في الفلسفة الأولى يتناول كلمة (آنية) في هامش طويل يمتد خمس صفحات (٢٦ – ٣٠) ، يعرض معناها عند الجرجاني في التعريفات وأبي البقاء الكفوي في الكليات ، ويناقش وجهة

(١) المرجع السابق ص ص .

نظر عبد الرحمن بدوي ، ويعرض لبحث اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك إنطاكية وسائر المشرق الذي ألقاه في الاحتفال الألفي بالكندي ١٩٦٢ ، وماجاء في كتاب المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ، ومقال هورتن Horten عن معنى الكون من حيث هو اصطلاح فلسفي الذي نشره في مجلة جماعة المستشرقين الألمان ، ويشير إلى ماذكره كرواس في مقاله عن ابن المقفع في مجلة الدراسات الشرقية Orientalia التي تصدر في روما ، مجلد ١٤ عام ٣٣ - ١٩٣٤ ورأي دى بور De Boer الذي يتابع ديترتيشي Dietrici في دائرة المعارف الإسلامية المجلّد مادة Annya ، وما أوردته الباحثه الفرنسية الآنسة جواشون في قاموسها للاصطلاح الفلسفي عند ابن سينا ، باريس ١٩٣٨ ، ويورد قول أرسطو في كتاب الطبيعة ، تحقيق بدوي (ص ٣٣٣) وتعليق بدوي عليه ، وتفسير مابعد الطبيعة لابن رشد ، وعند الصوفية كما جاء في الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلاني[١] .

وبالإضافة لهذا التعليق المطول نجد تعليقاته الأخرى على امتداد الرسالة .

ويضيف في الطبعة الثانية من تحقيق رسالة الكندي « في حدود الأشياء ورسومها » إضافات جديدة ، ويشير إلى وجود نسخة ثانية في مكتبة بروسه على الرغم من أنه لم يتمكن من الحصول عليها ، ويتحدث عن مخطوط آخر بالإضافة للمخطوط الأصلي الذي اعتمد عليه : أيا صوفيا ٤٨٣٢ - وهو مخطوط رقم Add 7473 بالمتحف البريطاني ، وبه عدة رسائل من بينها رسالة الكندي « في ملك العرب وكميته » (ورقة ١٧٦ - ١٧٨) وفيه عدد من التعريفات التي يطابق الكثير منها من حيث النص تعريفات الكندي في رسالته ، لكنها ليست بنفس الترتيب ، وتناول الأستاذ S.M. Stern هذه الورقة في بحثه Notes on Al-Kindis treatise on Definitions JRAS 1959.p.32 -43 . وهو يستشعر أن تلك الحدود ليست للكندي لأنها تتردد في رسالة

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠ .

التعريفات من رسائل إخوان الصفا (الرسالة ٤١١ بحسب طبعة القاهرة ١٣٤٧ جـ٣) . ويتحدث عن تأثير تعريفات الكندي في الفكر والأدب في العصور الوسطى[١] . وغير هذين المثالين نجد تعليقات عديدة بامتداد نشرة أبو ريدة للرسائل .

إلا أن مايهمنا أن نشير إليه هو تلك الظاهرة التي نجدها في عدد من أعماله ، وهي معاودة النظر مع كل طبعة جديدة بناء على النشرات والكتابات التي صدرت حول الموضوع ، وإضافة وتعديل بعض الآراء التي قال بها ، نجد ذلك في رسائل فيلسوفه الأثير لديه « الكندي » حيث يخبرنا بتواضع العالم الحقيقي أنه رغم ظهور دراسات أخرى لفلسفة الكندي لها صبغة أكاديمية فإن دراسة فلسفته وآثاره الموجودة بالعربية أو في ترجماتها اللاتينية لاتزال بعيدة عن الإحاطة والكمال ، وبعض مصنفاته الهامة لايزال مخطوطًا ويخبرنا أنه منشغل في هذه الفترة بإعداد هذه النصوص للنشر ، وأنه بصدد دراسة وافية لفلسفة الكندي وآثاره[٢] .

٢ - *التمهيد للباقلاني*[٣] :

وإذا ماانتقلنا من تحقيقاته الفلسفية إلى تحقيقاته الكلامية فإننا سنجد العمل المشترك الذي قدمه أبو ريدة مع محمود الخضيري ، وهو « التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » للباقلاني الذي صدر عام ١٩٤٧ .

والكتاب من أجل كتب الكلام الإسلامي خصوصًا مايتعلق منها بالرد على المخالفين « ونحن ننشره ليكون حلقة في سلسلة الكتب الكبرى التي تبين تطور علم الكلام من جهة وتبرز المسائل الأساسية التي كانت موضع خلاف بين رجاله ومخالفيهم من جهة أخرى[٤] .

---

(١) المرجع نفسه ص.ص ١١٠ - ١١٢ .

(٢) المرجع نفسه ، تصدير الطبعة الثانية .

(٣) أبو ريدة ، محمود الخضيري محققا كتاب الباقلاني « التمهيد » ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧ . ولا نستطيع أن نحدد - إلا بصعوبة شديدة - جهد كل من المحققين .

(٤) المرجع السابق . المقدمة .

وأبو ريدة من المهتمين بعلم الكلام اهتمامًا خاصًا وكانت رسالته للماجستير – كما قلنا – عن النظام وآرائه الكلامية والفلسفية ففرق المتكلمين تعتبر ممثلة لوجهة نظر تقابل الفلسفة الإسلامية، وتكون فلسفة لها خصائصها المتميزة ، وهي أقرب إلى أن تكون فلسفة الإسلام الأصيلة .

وكتاب الباقلاني « التمهيد » يعبر عن فترة نضج المؤلف : « أما التمهيد الذي بين أيدينا فلاشك أن الباقلاني لم يؤلفه إلا بعد أن كان قد نضج عقله واستحكم في فن الجدل وعرف أصول مذاهب المخالفين ، لأن هذا كله يتجلى في كتابه . ومما يؤيد ذلك أنه يشير فيه إلى بعض كتبه السابقة[١] . وموضوعه يدور على موضوعات الخلاف بين أهل السنة وبين مخالفيهم جميعا إسلاميين وغير إسلاميين .

ويحدثنا المحقق عن نسخ التمهيد المخطوطة . فهناك نسختان أشار إليهما ريتر هما : نسخة أيا صوفيا رقم ٢٢٠١ ويرجع تاريخها إلى عام ٤٧٨هـ ، ونسخة مكتبة عاطف تحت رقم ٢٢٢٣ ، ويرجع تاريخها إلى عام ٥٥٥هـ . ويبدو أن المحققين لم يطلعا على هاتين النسختين إذ اعتمدا نسخة ثالثة هي المخطوط رقم ٦٠٩٠ بالمكتبة الأهلية بباريس « اعتمدنا عليه وحده في هذه النشرة نظرًا لصعوبة الحصول على غيرها أيام إعدادنا الكتاب للنشر »[٢] . ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى عام ٤٧٢هـ ، أي أنها أقدم من النسختين الأخريين .

ويصفها المحققان بأنها تقع في ٩٨ ورقة من مقاس ٢٢ × ١٦ تشمل كل صفحة ٢٣ سطرًا . والخط أندلسي واضح يتصف بالجمال .

ويشيران إلى وجود ترجمة للبلاقلاني على صفحة العنوان الملحقة بهذه النشرة . ويوجد على ظهر الورقة الأولى فهرس بما يحويه الكتاب من أبواب لكنه بخط مختلف .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٩ .

تلك مشكلة هامة لم يقف أمامها المحققان وسوف نناقشها بعد قليل .

ويناقش المحققان اسم الكتاب « التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » ويرجحان أن هذا العنوان الطويل إضافة من أحد العلماء أو الناسخين ، بالإضافة إلى إننا لانجد للكتاب هذا الاسم عند أحد ممن ذكره ، فاسمه التمهيد كما جاء لدى القاضي عياض في ثبت كتب الباقلاني . ومن هنا ففي الاسم زيادة .

ويخبرنا المحققان في المقدمة بطريقة إعدادهما للنص المحقق فقد أثبتا بين قوسين مضلعين مايشير إلى ماتحويه أبواب الكتاب ومسائله ، كما وضعا في أحيان قليلة كلمة أو بضعة كلمات بين قوسين لتوضيح المعنى ، بالإضافة للتعليقات التي زودا بها التحقيق مع ترجمة للباقلاني لم تنشر من قبل جاءت في كتاب « المدارك » للقاضي عياض .

والذي يستوقفنا في تحقيق أبو ريدة وزميله للتمهيد هو تلك الملاحظات والتعليقات التي توضح كثيرًا من المسائل ، وأهمها تلك التي توضح وتفسر ما جاء عن النصارى وبيان مواضع الآيات المختلفة وأقوال المسيح كما وردت في الأناجيل[1] . والتعليق على ماذكره الباقلاني عن الأريوسية فقد أفاضا في الحديث عنها بسبب قلة معرفة المسلمين بها إذ لم تظهر عنايتهم بها مع أنها أقرب المذاهب المسيحية إلى التوحيد الإسلامي .

ويوضح تعليق أبو ريدة على الخرقدانية أو خرمدنية مدى إلمام المحقق بالفارسية وإتقانه لها ، فالحزمدنية أو كما يقال الخرمية على سبيل الاختصار اسم فرقة تستمد مقالاتها من أصول إيرانية مما قبل الإسلام .

ويوضح أبو ريدة الآراء المختلفة في اشتقاق هذه الكلمة فيرفض اشتقاق الكلمة

---

(١) تنسب هذه الملاحظات في الغالب للأستاذ محمود الخضري الذي كان أكثر اهتمامًا وتعمقًا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى .

من خرم اسم بلدة تابعه لأردبيل كما ذهب إلى ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان ومرجليوث في دائرة المعارف الإسلامية .

كما يستبعد الرأي الثاني القائل أنها نسبة إلى خرما اسم زوجة مزدك .

ويتفق مع الرأي الثالث القائل بأن الكلمة مركبة من لفظتين فارسيتين : خرم ، وهي صفة معناها فرح ، و « دان » أو « دين » بمعنى الدين .

ويشير إلى حديث البلاقلاني عنهما وأنه ربما يكون مستمدًا من كتاب الحسن بن موسى النوبختي « فرق الشيعة » ، ويقدم مراجع لها مثل كتاب السيد غلام حسين صديقى عن الحركات الدينية الإيرانية في القرنين الثاني والثالث .

والقضية الأساسية التي يثيرها تحقيق أبو ريدة / الخضيري للتمهيد هو اعتمادهما على نسخة واحدة فقط رغم معرفتهما بوجود نسخ أخرى للكتاب ، مما جعلهما يصدران أحكامهما على أساس محتويات هذه النسخة دونما اعتبار لما جاء في غيرها من نسخ .

ففي تعليقهما على موضوعات الكتاب وأنها جاءت كاملة كما يتضح من خطبة التمهيد التي وجهها القاضي أبو بكر إلى ابن عضد الدولة « وهذا في نظرنا دليل على أن النص كامل لم يقع فيه خروم و لم يمسه شيء من الحذف»[(١)]. وحين يذكر الباقلاني أنه سيتكلم عن التعديل والتجوير فالأمر محسوم « فلعل الباقلاني سها فلم ينجز ماوعد مكتفيا بعبارات متفرقة في هذا الموضوع ذكرها في مناسبات مختلفة في أكثر من فصل من فصول التمهيد »[(٢)] .

ويناقش المحقق السبب الثاني الذي يمثل أقوى دليل على عدم اكتمال النص ، وهي مناقشة تحتاج إلى مناقشة ، فهناك فهرست ملحق بالمخطوط الباريسي – الذي اعتمد

(١) المرجع السابق ص ٢٦٠ .
(٢) الموضع نفسه .

عليه المحققان – يقع في ظهر الورقة الأولى ، أي قبيل ورقة العنوان ، وهو بخط مخالف وإن كان بمداد شبيه بمداد الكتاب .

وينشر المحققان هذا الفهرست الذي يحتوي على ٦٨ فقرة (أو فصلًا) ، ٢٥ فقرة منها غير موجودة بالمخطوط[١] .

ويعلق المحقق على هذا التباين بين الفهرست وماورد في النص ، فهناك تكرار في موضوع الفقرة ٢٦ ، ٣١ ، كما أنه ذكر التعديل والتجوير– فقرة (٤٣) في ثنايا الفصول المختلفة ، بالإضافة إلى أنه استبعد بعض الفصول التي لم تدخل في كتب الكلام إلا بعد عصر الباقلاني الخاصة بموضوع الأرزاق والأسعار . انظر الفقرتين ٣٨ ، ٣٩[٢] ، والفقرة ٤٢ المتعلقة باللطف من تجديدات متكلمي الشيعة .

ويجدان عذرًا لنقص الفقرات من ٤٤ حتى ٤٩ التي تدور حول الهدى والضلال ومعنى الدين والإيمان والإسلام بحجة أن المؤلف يميل إلى الاختصار[٣] ، والفقرتين ٥٠ ، ٥١ في النبوة والإمامة لأنهما تكرار لموضوع ،استوفى المؤلف بحثه في عناوين أخرى مفصلة[٤] .

ويتوقف المحققان عند الفقرة رقم ٣٠ المتعلقة بالاستواء على العرش المذكورة بالفهرست وغير الواردة بالنص ، فقد اقتبس ابن تيمية هذه الفقرة وعرض لها تلميذه ابن القيم في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

ويستشهد المحققان بعرض ابن القيم ويستنكرانه « نحن نجد عند تأويل هذا معنى

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

(٢) ويبدو أن الذي دعا المتكلمين المتأخرين إلى إدخال هذين الموضوعين في علم الكلام هو مشاهداتهم أن كتب الفلسفة . كانت تحتوي على أبواب في تدبير المنزل ، وهي تعالج مسائل الكسب والأسعار . ونظرًا لأن المتكلمين رغبوا في أن يقوم الكلام مقام الفلسفة أقحموا في كتبهم كل ما اعتاد الفلاسفة أن يعنوا به .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٣ .

(٤) الموضع السابق .

نستشعره فيه بشيء من التجسيم يتعارض مع مذهب الباقلاني واتجاهه في التوحيد »[١] . ويستنتجان عدم صدق نقل ابن تيمية وابن القيم عن الباقلاني .

ونحن هنا أمام مأزق فالقول بصدق نقل ابن تيمية وابن القيم معناه أن النص الذي يقدمه أبو ريدة / الخضيري ناقص والحل الآخر هو القول بتباين بين كلام الباقلاني وما نقله ابن تيمية وابن القيم ، يقول المحققان : « إننا لانستطيع عند ملاحظة التعارض البين بين مذهب الباقلاني ومعنى ماينسبه إليه هذان المؤلفان المعروفان بالتحيز إلا الشك في صحة نقلهما »[٢] .

ومن هنا يصدران هذا الحكم - الذي يحتاج إلى نقض - ونحن نثق على كل حال بنسخة التمهيد التي بين يدينا ثقة أقوى من ثقتنا بنقل ابن تيمية وابن القيم[٣] .

والحقيقة أنه أمام معرفة المحققين بمخطوطين آخرين لنص التمهيد لم يرجعا إليهما وعدم معرفتهما بمحتواهما فالسؤال المطروح هو هل ما في مخطوط باريس الذي اعتمدا عليه مطابق لما في مخطوطي أيا صوفيا ٢٢٠١ وعاطف رقم ٢٢٢٣ . وإن كان هناك تباين في المحتوى بين المخطوطات الثلاث فأيها أصح ؟.

إن احتمال وجود الفقرات الناقصة في مخطوط باريس في المخطوطين الآخرين مطروح ، ويدعمه الفهرست الملحق المثبت بظهر صفحة العنوان . ويزيد من ترجيح الرأي القائل بنقص مخطوط باريس اعتماد مؤلفين إسلاميين عليه ونقلهم عنه . وعلينا أن نناقش قضية اختلاف تفسير ابن تيمية وابن القيم لأقوال الباقلاني ، فاحتمال النقص أو الحذف جائز لأن الأجزاء الناقصة هي الفقرات من ٢٧ حتى ٥١ ، أي جزء متصل من المخطوط وليس أجزاء منفصلة . إذن فاحتمال فقد أو ضياع هذا الصفحات وارد .

(١) المرجع نفسه ص ٢٦٥ .
(٢) الموضع السابق .
(٣) الموضع نفسه .

وربما - وهذا هو الاحتمال الثاني ، وهو احتمال ضعيف - يكون فهم الناسخ - وهو كما يخبرنا المحققان من العلماء المحققين لنص الباقلاني - شبيهًا بفهم المحققين ، ولذلك فضل حذف هذه الأجزاء .

وأعتقد أننا لا نستطيع الحسم في هذه المسألة ما لم نقم بمقارنة بين النسخ المخطوطة الثلاثة لمعرفة هل هناك نقص في مخطوط باريس أم هو كما يزعم المحققان مكتمل ، وماهى حقيقة نقل ابن تيمية وابن القيم عنه ؟

إن احتمال نقلهم عن أحد المخطوطين الآخرين مسألة مطروحة ، والسؤال كيف يثق محقق في مخطوط واحد ويطمئن إليه مع كل هذه المشاكل رغم معرفته بوجود مخطوطات أخرى لم يطلع عليها !؟ .

لاشك أن نص الباقلاني لم يحظ بما حظيت به رسائل الكندي الفلسفية من اهتمام على الرغم من الجهد الكبير المبذول في الاستعانة بمراجع أوروبية بلغات مختلفة وفي الرجوع إلى عدد كبير من المخطوطات لتحقيق هذا النص الهام .

وقد نشر الأب رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي نص التمهيد نشرة ثانية اعتمادًا على المخطوطات الثلاثة . ويظهر في تحقيق مكارثي أن الأجزاء الناقصة في مخطوط باريس موجودة في مخطوطتي إستانبول ، وتبين أيضًا أن النقص الموجود في مخطوط باريس ليس من المخطوط الأصلي بل وقع بعد كتابة المخطوط الأصلي . والنقص في مخطوط باريس يشمل الصفحات من ٢١٢ - ٣٧٩ من نشرة مكارثي ، إلا أن نشرة مكارثي التي بين أيدينا ليست كاملة فقد أسقط نشر الأبواب المتعلقة بالإمامة(١) .

٣ - الاستبصار للقرافي وثمرة الحكمة لابن الهيثم :

لم تتوقف صلة أبو ريدة بالمخطوط العربي عند الفلسفة وعلم الكلام فقط ، بل امتدت لتشمل اهتمامه الأثير لديه بالحكمة الطبيعية أو ما نطلق عليه تاريخ العلم العربي . وكما ترك للباحثين في الفلسفة عمله الهام في « رسائل الكندي الفلسفية » و « التمهيد للباقلاني » فقد شغل في نهاية حياته بعملين في البصريات ، أحدهما للحسن بن الهيثم والثاني للإمام القرافي (ت ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م) .

---

(١) مكارثي : محقق كتاب التمهيد للباقلاني ، المكتبة الشرقية - بيروت ١٩٥٧ .

قدم أبو ريدة في الندوة السنوية الثانية للجمعية الفلسفية المصرية (يوليو ١٩٩٠) بحثًا بعنوان « الإمام القرافي وكتابه الاستبصار فيما تدركه الأبصار » عرض فيه للحالة العلمية في مصر وتحدث عن شخصية القرافي وكتابه مع عرض لمقدمته ومحتوياته .

والإمام القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م) إمام كبير في علم الفقه والأصول والعلوم العقلية ، وكان من المهتمين بالعلم الطبيعي ، وخاصة البصريات .

وفي كتابه نستطيع أن نجد شهادة على أن واجب عالم الدين في الإسلام أن يشتغل بالعلوم الطبيعية ، وشهادة على أحوال الحياة العلمية بين المسلمين في ذلك العصر .

وبعد المقدمة يعرض خطبة الكتاب (مقدمة المؤلف) ويخبرنا أنه قد تم تحقيق كتابه هذا « الاستبصار فيما تدركه الأبصار » من مخطوطات عدة من القاهرة وإستانبول والأسكوريال ، وأنه سينشر في معهد تاريخ العلوم الإسلامية في فرانكفورت في ألمانيا تحت إشراف فؤاد سيزكين .

ويرتبط بهذا العمل ويسبقه تحقيقه « مقالة عن ثمرة الحكمة » للحسن بن الهيثم . وقد طبعه بالقاهرة ١٩٩١ . وكان قد تقدم بهذه الدراسة والتحقيق لتكون ضمن الكتاب التذكاري المهدي إلى الدكتور زكي نجيب محمود الذي أصدرته جامعة الكويت ١٩٨٩ .

ويخبرنا أبو ريدة بتواضع العالم ودقته ونزاهته العلمية أنه لم يجزم في ذلك الوقت بنسبة المقالة إلى ابن الهيثم « لكنني بعد ماذكرته تأملت كلام ابن الهيثم وأسلوبه وبعض عباراته في كتابه : « حل شكوك كتاب إقليدس في الأصول » وجدت شبهًا ملحوظًا وازدادت ثقتي بنسبة المقالة إلى ذلك العالم الإسلامي الكبير ابن الهيثم[1] .

والعمل يتكون من تقدمة (خاصة بالطبعة الثانية) وتصدير والنص المحقق (مقالة في ثمرة الحكمة) والتعليقات والملاحظات .

---

(١) أبو ريدة : مقدمة تحقيق رسالة ثمرة الحكمة للحسن بن الهيثم . القاهرة ١٩٩١م .

ويعرض أبو ريدة في تصديره للرسالة لمنهج ابن الهيثم ونقده للمعرفة العلمية .

ويحدد هدفه معطيًا كل بيانات المخطوطة التي اعتمد عليها يقول : « إني أردت أن أقدم رسالة في المنهج اطلعت عليها منذ عام ١٩٦٩ في مكتبة كوبر ولو بإستانبول تحت رقم ١٦٠٤ في مخطوط يرجع تاريخة إلى سنة ٧٥٤هـ كما نجد ذلك على ورقة ١١٣و . وتشغل الرسالة الورقات ٤١ و — ٥٩ و ، وعلى وجه الورقة الأولى هذا العنوان كتاب « ثمرة الحكمة لابن الهيثم »[١] .

ويتضح جهد أبو ريدة في التدقيق في نسبة الرسالة إلى ابن الهيثم ، فبعد تردد في النشر درس وبحث وحقق النسبة اعتمادًا على المقارنة بين ماجاء بها وأسلوب ابن الهيثم في مؤلفاته المختلفة .

كما ضبط نص الرسالة وحللها وقسمها إلى أقسام ، وأعطى كل قسم عنوانًا يتفق وما جاء به يقول « نحن نقدم هذه الرسالة بعد أن ضبطنا نصها بقدر الإمكان ووضعنا عناوين بين مضلعين على سبيل الاجتهاد في تقسيمها وبيان ماتضمنته من عناصر »[٢] .

إن هذه الرسالة تمثل امتدادًا لتحقيقه رسائل الكندي الفلسفية وخاصة الجزء الثاني الرسائل العلمية .

وتأتي رسالة ابن الهيثم لتوضيح أثر دراسة الرياضيات على دارس الفلسفة .

(١) المصدر السابق ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣ .

خاتمـــة

إن أبو ريدة (١٩٠٩ – ١٩٩١) يمثل مرحلة هامة في البحث الفلسفي هي مرحلة الانتقال من الدرس الفلسفي الاستشراقي للفلسفة الإسلامية إلى التأسيس العلمي للدراسات العربية المعاصرة في ميدان البحث الفلسفي .

ويمكن القول دون أدنى مبالغة إن جهود أبو ريدة وجيله – مدكور ، عفيفي ، النشار – تعد في كثير من جوانبها أكثر دقة ومنهجية والتزامًا بأساليب البحث العلمي من جهود كثير من الباحثين في الفلسفة الإسلامية في الجيل الحالي الذين توفرت لهم كافة السبل لتقديم صورة أكثر شمولية للفلسفة العربية الإسلامية ، فقد ترك لنا أبو ريدة حصيلة وافرة من الأعمال في شتى ميادين الفلسفة والحضارة العربية الإسلامية .

ويهمنا هنا أن نشير – بالإضافة إلى ماسبق – إلى جهوده في العديد من المؤتمرات العلمية التي شارك فيها مثل :

– « الحضارة الإسلامية ، أسسها ومميزاتها ومكانتها بين الحضارات العالمية » . المؤتمر الثالث للسيرة النبوية ، قطر . نوفمبر ١٩٧٩ .

– « بين الإمبراطور فردريك الثاني وابن سبعين » ندوة الوجود العربي الإسلامي في الثقافة الصقلية ، بالمر . ديسمبر ١٩٨٠ .

– « الإسلام في مواجهة التحديات ماضيًا وحاضرًا » ملتقى واقع الإسلام وتحديات العصر ، الجامعة التونسية . نوفمبر ١٩٨٤ .

– « توازن حياة الإنسان بين آراء الحكماء وتعاليم الإسلام » . الملتقى الإسلامي المسيحي الرابع ، الجامعة التونسية ، إبريل ١٩٨٦ .

- « الفلسفة ، تحديات منها وإليها » ملتقى الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٨٩ .

- « العلاقات بين الفكر الفلسفي الإسلامي ، والفكر الفلسفي الأوربي » . المؤتمر الدولي « آفاق العلاقات العربية الأوربية » مدريد . مارس ١٩٩٠ .

- « خطة مقترحة لتجديد علم الكلام » ، ندوة الجمعية الفلسفية المصرية « نحو علم كلام جديد » ، القاهرة . يونيو ١٩٩٠ .

- « تجديد الحضارة المعاصرة » . منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، اليوم العالمي للتنمية الثقافية ، باريس مايو ١٩٩١ .

إن هذا الجهد للدكتور أبو ريدة ، يحدد مكانته في ميدان الدراسات الفلسفية العربية المعاصرة ويضعه في الصف الأول من الرواد المؤسسين بحيث تقرنه دائمًا بالكندي ، فكلاهما مؤسس لمرحلة : الأولى في القرن الثالث ، والثانية في القرن العشرين .